





# باص ابو راضي

(قصص)

محسن حنيص شوكت

1-1	باص ابو راضي .....	5
1-2	موقع راضي للزواج بدون قاضي....	13
1-3	خمسة اعراس لم يرقص بها أحد..	25
1-4	ستوديو جليل .....	41
1-5	مختبر حاتم بديوي .....	48
1-6	متوالية عطوي .....	64
1-7	اختراق جيوب الرب .....	75
1-8	لاعب النرد الخفي .....	86
1-9	ارحيم المنكوب .....	101
1-10	شبابيك الفرجة .....	106
1-11	وجه الجرادة .....	113
1-12	شفيفة المنجنيقة.....	122

## باص ابو راضي

ورث راضي سلمان عن أبيه باص خشبية سعة (33) راكبا الى جانب خمسة افواه مفتوحة عليه اطعامهم. كان طالبا في الفلسفة بجامعة بغداد عندما رحل والده دون سابق أنذار. لم يكن أمامه سوى ترك مقعده الدراسي والجلوس خلف مقود الباص. غير انه لم يكف عن التفلسف. اكتشف ان مبنى كلية الآداب المقابل لمقبرة الانجليز في باب المعظم ليس المكان الوحيد لدراسة الفلسفة. يمكن لباص الخشب ان تكون بديلا اذا ملئت بالكتب والخمرة. كان التفلسف هو الملاذ الوحيد لتخفيف العبء الثقيل الذي تركه والده. لحسن الحظ أن ذلك لم يكن يكفه اكثر من زجاجة وقدر وبضعة ليمونات حامضة. اما الطاولة فهي باص الخشب نفسه. وهكذا اصبحت صومعة لتأملات راضي واستراحته الليلية من اعباء النهار. كانت الباص هي الوسيلة الوحيدة لنقل اهالي مدينة (القاسمية ) الى مركز العاصمة. وحين انتقلت ليد الأبن كانت في طور الشيخوخة ( فولفو موديل 1942 ) ومليئة بالعلل، تسعل دخانا أسودا، ولا تنهض الا اذا استيقظ الحي كله ودفعها نصف ميل. وحين تسير تطلق صريرا يوقظ الموتى الراقيدين في قبورهم، تشتغل يومين لتستريح اسبوعا. وهي ترفض ان تعمل في الشتاء، وكذلك في شهري تموز وآب. كانت تنام في قطعة ارض متروكة وراء البيت، مسيجة بحزام كثيف من نبات السرو والقصب. وبمرور الأيام تحولت الى حانة لشباب الحي ومكان لمواعيد العشق السري . وفيما عدا الهاريين من الحروب والذين لاسقف لهم، تستضيف الحانة بين الحين والآخر روادا من أزمنة غابرة سحيقة في القدم ومن أمم شتى: فلاسفة، وعلماء، وشعراء، ورسامين، وموسيقيين كلاسيكيين، ونساء جميلات رحلن وتركن غصة ورغبة (نوجة) مفتوحة للابد، ورجال دولة، واباطرة، وزعماء محليين، وقطاع طرق غير ملثمين، ومجرمي حرب، وملوك سلبت عروشهم، وسياسيين اثبتوا افلاسهم، ورجال دين غارقين في الأثم، ومتصوفين أحرقوا علنا، وصعاليك مفلسين، وأنبياء قطعوا صلتهم بالسما فلم يعد احد يصدق بهم ، وطغاة يشعرون بالندم، وغيرهم. هذا هو عالم راضي سلمان بعد عبوره حاجز النصف ( نصف زجاجة عرق ). غير أن الخمرة وحدها لا تكفي لاستدارة التاريخ، وجعل الموتى يخرجون تلقائيا الى الحاضر. فلي تكتمل العدة، ويسهل اختراق الزمان، كان لابد من اذن ربانية تتمتع بأصغاء ذري. في اول جلسة في الباص الخشبية لاختراق الغيب، كنت النديم والاذن الذرية المفتوحة على تأملات راضي، والشاهد على قدرته في استدعاء موتاه. الكثير منهم رحل وهو يحمل سرا. تركوا وراءهم لغطا. وعودتهم الى الحياة ولو لبضع دقائق سوف يرفع الكثير من الغموض

والحيرة. ولقد تم طرح التساؤلات العالقة، والرغبات التي لاتغادر الذاكرة. فتحت جرار الخمرة، وأعدت صحنون المزة: من سلاطة ولبن ولبلي وباقلاء بنية مرشوشة بالبطنج وخيار وطرشي وشرائح ليمون. قلت له : (من الآن أذني تحت أمرك. كلي أصغاء ذري). وهذا ما كان مطلوب بالضبط. الاصغاء في أقصى درجاته هو المركبة اللازمة لعبور الزمان. تتسع الباص ل 33 راكبا. راضي وانا حجزنا مقعدين، وما تبقى أي 31 مقعدا تركت للراكبين من ازمة بعيدة، والذين سنمر عليهم في رحلتنا. بعد عبور حاجز النصف وصعود الخمرة الى اليافوخ بدأ راضي بايقاظ الأرواح النائمة والتحدث معها. اليكم الركاب ال (31) الذين تم ايقاظهم.

\*\*\*

**1- 7: محمد القصبجي، ام كلثوم، محمد عبدالوهاب، أسمهان، فريد الأطرش، زكريا احمد، ليلى مراد.**

أريد ان التقط معكم صورة فوتوغرافية كي اعلقها في بيتي. الصورة القديمة التي جمعتكم لم يعد لها وجود بعد ان أزيلت عن الجدار عام 1987. ففي أواخر ذلك العام اقتحمت بيتي مفرزة من رجال الأمن. فتشوا مقتنياتى وكتبي، بحثوا في الجدران فوجدوا صورة لم تعجبهم. سألوني عنكم: من هؤلاء؟ أجبت: أنهم أحب المخلوقات الى نفسي. انهم عطية الله الى هذه الأمة المبتلاة بالقسوة. انهم ترياقي اليومي الذي يمتص نقمتي ويدفعني للعيش في عالم افتراضي اقل توترا. (والرئيس؟ سألوني بحدة وغضب، اين مكانه في بيتك؟ اين صورة السيد الرئيس؟). بقيت ساكتا، لم يكن لدي جواب. عندئذ حطموا الصورة بأعقاب البنادق. كتفوني وجروني الى مديرية الأمن. اضيفت تهمة جديدة هي خلو البيت من صورة الرئيس، الى جانب التهمة الأولى وهي التستر على الهاربين من الحرب وأيوائهم في بيتي. انهالت علي السياط (القابلوات). رحت اعدّها. توقفوا عند الرقم سبعة. لا اعرف أن كان ذلك صدفة. فهو نفس عددكم في الصورة. اي مقابل كل واحد منكم اكلت سوطا. والآن لقد رحل الرئيس، ورحلت معه صورته، ولم يبق سواكم في قلبي. هل يمكن ان تستيقظوا؟ اريد ان التقط معكم صورة لأعلقها من جديد. لقد اعددت الكاميرا والضوء والجدار. لن آخذ من رقدتكم الأبدية وقتا طويلا. هل يمكن ان تخرجوا دقيقة واحدة؟

\*\*\*

**8- الرائد الطيار مزاحم عبد الجبار الجنابي (زوج عمتي صفية).**

عمتي صفية مازالت صغيرة وجميلة، وقد ترملت بعد سقوط طيارتك وهي في طريقها لضرب الموانئ الإيرانية اثناء الحرب. انها مازالت تحمل عنك صورة القديس الشهيد.

ما زالت عمتي تواصل تقواها وبراءتها وثقتها المطلقة فيك. هذه الصورة المثالية لا تسمح لها بالزواج رغم الحاح الجسد. يبدو ان عمتي ورغم عيشها معك لسنوات طويلة الا انها لا تعرفك جيداً. لاتعرف عمتي اي شيء عن عفتك التي تشهد لها مواخير شارع بشار في البصرة، وعن نسائك الموزعات في اربع مخيمات للغجر. ليس لدى عمتي اية فكرة عن تهتكك الذي وصل الى درجة النوم مع ثلاث عاهرات في سرير واحد. كانت لذتك القصوى في لطع الشقوق الفاسقة وامتصاص عصارتها. مما يؤكد ان لسانك لم يكن بارعاً في الكذب فـ\_\_\_\_\_ط، ولكن في اللطـ\_\_\_\_\_ع أيضاً.\_\_\_\_\_ا.

عزيزي مزاحم : هل تأذن لي ان اقول لها الحقيقة كي تتحرر من ظلك وتتمتع بحياتها؟

\*\*\*

## 9- خالد بن الوليد .

هل صحيح يا خالد انك طبخت رأس مالك بن نويرة في قدر قبل ان تنام مع زوجته اسماء بنت سنان؟ سماك الرسول ( سيف الله المسلول ). هل لهذا اللقب علاقة بالأباحية الدموية التي طبعت سيرتك؟ حين ارسلك ابو بكر الى العراق كانت خطتك ان يكون الذعر هو طلائع جيشك، ان يدخل الرعب قبلك الى المدينة التي تغزوها. نجحت خطتك نجاحاً عظيماً. هنا تكمن (عبقريتك ) العسكرية التي نفتخر بها نحن العرب. وقبل ان تدخل مدينة (الحيرة ) كنت قد قطعت رؤوس ألفي مسيحي من الأنباط. وهو نفس عدد الرؤوس التي قطفها مسلحو داعش حين دخلوا سنجار والموصل و تكريت. إضافة إلى قطع الرؤوس هناك تناظرات اخرى تتعلق بسبي النساء وتهديم المعابد ورمي الجثث الدامية في النهر كي تمنحه لونا آخر. الفرق الوحيد بينكما هو النهر ، فقد صبغت يا خالد بالاحمر نهر الفرات، بينما صبغت داعش نهر دجلة.

\*\*\*

## 10 - نعيم عبود الفريجي ( خالي ).

خ\_\_\_\_\_الى العزيز\_\_\_\_\_ز :

قضيت اربعين عاماً وانت وراء مقود حافلة النقل. عملت حتى آخر لحظة من عمرك. لم تتوقف عن السياقة الا اذا توقفت الحافلة لعطل او صيانة. كنت تسوق الحافلة حتى وأنت نائم. لم تنهأ يوماً استراحة واحد. حين دخلت في الغيبوبة التي اعقبت حادثة الاصطدام لم يكن هناك من شغل سوى احصاء ثروتك. كان الورثة على عجل من أمرهم. لم ينتظروا حتى توقّف قلبك. بدأوا بعد المرات التي ذهبت فيها الى البصرة. في غرفة الاستراحة بمستشفى القاسمية ( الجوار ) تطايرت الارقام من افواه ورثتك

لتضرب الشبابيك. اربعون عاما وانت تقطع بحافلتك (دك النجف) الطريق البري بين بغداد والبصرة وبمعدل 300 رحلة في السنة. اي ان هناك 12000 رحلة ذهابا و 12000 أيابا. وبذلك يكون المجموع 24000 سفر. في كل مرة تكون الاجرة ما يعادل 100 دولار. اي ان ثروتك ياخالي: 2400000 دولار (اي مليونين واربعمئة الف دولار). وبعد ان اعلن الطبيب وفاتك رسميا، هرع ورثتك جميعا الى غرفتك ليفتشوها، لنقل أنهم نبشوها نبشا. قلبوا عاليها سافلها فلم يجدوا شيئا. فتشوا اركان البيت وسقفوه. دقوا جدرانهم وزواياهم وطيته. حفروا الحديقة شبرا شبرا. اين دفنت مالك يا خالي؟ اولادك محتارون وصار كل يشك بالآخر. أخرج من موتك لبضعة دقائق يا خال قبل ان يتقاتلوا .

\*\*\*

## 11- ناصر عفلوك ( شرطي عتيق يسكن في نفس الحارة):

جارنا العزيز ناصر: لدي خبر يخص آخر أحفادك ( عبد علي ). لا أعرف ان كان يسرك ام يزعجك؟ هذا الخبر يحتاج الى استعادة قدر من الماضي البعيد. في عام 1939 نزحت من مدينة العمارة لتسكن بغداد. انتسبت الى سلك الشرطة ( الكمارك ). وفي أول غزوات البادية اكتشفت ان شرطة الكمارك هم الحماية لمهربي الأغنام، فحمدت الله على نعمته. ابلت بلاءا حسنا. وفي ظرف سنتين اشترت دارا. غير أن الطمع جعلك ترتكب اخطاء لم يغفروها لك، فتم نقلك الى الشرطة المحلية. وحين بدأ نهب بيوت اليهود (الفروود) عام 1941 ظهرت مواهبك جلية، فقد سلبت لوحداك ثلاثة دور لليهود بينما كان واجبك ان تحميها. وحين سقطت الملكية عام 1958 وصل أبناك (منخي) قصر الرحاب متأخرا قليلا فلم يجد سوى بدلة الوصي عبدالأله وحذاءه. وفي بدء الحرب العراقية الإيرانية كان حفيدك ( خضير ابن منخي ) اول الداخلين الى المحمرة. وقد بلغني انه استاجر سيارة حمل من البصرة ونقل بيتا كاملا بكل محتوياته من اثاث واجهزة كهربائية. وعند غزو الكويت دخل خضير بشاحنة طويلة ( قاطرة ومقطورة ) حيث نقل محتويات بيت البهبهاني. لكن سيرة احفادك لم تستمر على نفس المنوال يا ناصر، فقد حدث أنحراف خطير أشكل على المراقبين جميعا هو سلوك حفيدك عبدعلي بن خضير ( المنتسب الى الشرطة ايضا، ويحمل رتبة عريف)، سلوك يشبه التمرد. ينبغي ان اعلمك ان يوم 9 نيسان 2003 هو يوم سقوط صدام، وفي نفس الوقت كان مناسبة كبيرة للنهب العام. غير ان الغريب في الأمر ان عائلتك وبتوجيه من حفيدك (عبدعلي) لم تتلطف باي عمل من اعمال النهب والسرقة للمال العام التي شاعت في ذلك اليوم. ليس هذا فحسب بل ان حفيدكم اوكلت اليه مهمة حماية بنك الرافدين في منطقة الكرادة ( الزوية ) عام 2009، فتصدى ببسالة لمجموعة مسلحة اقتحمت البنك يقودها حراس احد المسؤولين البارزين في الدولة ( تسرب للشارع اسم المتهم الاول وهو نائب رئيس الجمهورية: عادل عبد المهدي). وقد استشهد حفيدكم مع سبعة آخرون من رفاقه. ونجح المسلحون في سرقة ( 8 ) مليار دينار عراقي. لقد خرج



حفيدكم (عبد علي ) في امانته المفرطة عن السياق العام الذي رسمته لهم، فوصل الى النهاية التي وصل اليها.

والآن اود ان اعرف منك يا ناصر: هل انت راض عما فعله؟

\*\*\*

## 12- 21 : أعظم القتلة:

سوف اقرأ اسماءكم مع ارقام ضحاياكم بالحد الأدنى الذي تتفق عليه المصادر.

ماو ( 15 مليون ضحية ) . ستالين ( 12 مليون ) . هتلر ( 6 مليون ) . الملك ليوبولد - بلجيكا ( 2 مليون ) . هيدكي توجو - اليابان ( 1.5 مليون ) . أسماعيل انور باشا - تركيا ( 1.5 مليون ) . بول بوت - الخمير الحمر ( 1,2 مليون ) . كيم أيل سونغ - كوريا الشمالية ( 1,1 مليون ) . منغستو مريام - اثيوبيا ( 800 الف ) . ياكوبو غوفون - نيجيريا ( 600 الف ضحية ) .

ايها السادة منذ زمن طويل وانا احلم بلقائكم. ليس الغرض هو ازعاجكم او ادانتكم على الأرواح التي أزهقت، ولكن هناك مسألة شخصية جدا ومعرفية الى حد كبير: هو انني عاجز عن تصوركم: كيف تنامون؟ هل تغمض اجفانكم؟ ام انكم في أرق ابدى؟ هنالك حادث في حياتي يطاردني على الدوام، وكلما تذكرته اشعر بالعار. تشاجرت مع صديق ورفعت يدي وصفعته على خده. لكنه لم يرد علي. تركني وهو يمسخ دمعة وقفت على طرف جفنه. في تلك الليلة لم انم. عند الفجر وقفت على باب داره وبدأت أعوي مثل ذئب جائع، فخرج الى مذعورا ليجدني في حالة يرثى لها. ركعت وقبلت ركبتيه، وطلبت منه ان يصفعني كي أنام. انا عاجز عن ذبح دجاجة. بل انا عاجز عن سحق عنكبوت. وقد سبب هذا العجز خلافا بيني وبين زوجتي، التي تطلب مني تنظيف سقفوف البيت من العناكب وقتل الفئران بالزرنيخ. لا اعرف ايها السادة من هو اقربنا الى الطبيعة: انتم أم أنا؟ في احيان كثيرة تبدو الطبيعة وكأنها تقف الى جانبكم وتدعم خصائصكم. الحيوانات البرية والطيور والاسماك تمارس اعمالكم يوميا. ولكي يعيش الحوت يتطلب ان يبتلع ملايين الاسماك يوميا، وكذلك تفعل النسور والذئاب. هل اركن الى هذه الحقيقة لكي افهمكم؟ احتاج احيانا الى قدر ضئيل جدا من خصائصكم، على الاقل لأحل مشكلة تنظيف السقوف.

\*\*\*

## 22- النبي محمد (ص)

يتهمك احد احفادك من بنتك فاطمة وهو السيد احمد القبانجي بأختراف فكرة (خاتم الانبياء). يقول أن ذلك له علاقة بذريتك الخالية من الولد. وانك تركت أمر الخلافة معلقا لأنه لم يعد يعنك، ليس لك فيه لا ناقة ولا جمل. ويفسر القبانجي زيجاتك بنفس السبب . يقول ان كثرة زوجاتك لا علاقة لها بالجنس واللبيدو ولا المصاهرة مع القبائل كما يشاع، بل لسبب هام جدا: هو رغبتك في الحصول على ولد يرث دولتك. لم يرد احد حتى الآن على السيد القبانجي. هل يمكن ان تخرج يارسول الله لتدافع عن نفسك بدل ان يتولى ذلك جهاز الاطلاعات الايراني؟ لقد تنازع القوم بعد موتك، وانشقت الأمة نصفين، وسالت دماء كثيرة يا رسول الله . لماذا لم تحسم الأمر؟ ثم ما قصة (الغدير) وهل أوصيت حقا لأبن عمك بالخلافة من بعدك؟

\*\*\*

## 23- فيدور دوستوفسكي:

لدى اخبار ليست سارة عن روسيا، ايها الكاتب العظيم. منذ ان رحلت والادب الروسي خال من العمالة، ولا يحضى بالاقبال مثلما كان. لم يأت حتى الآن عمل يتجاوز ( الاخوة كرامازوف) التركيب العظيم الذي صنعه. لازال مسرح البولشوي يعيد تقديم بحيرة جايكوفسكي وبجعاته لزوار موسكو. روسيا في تراجع مستمر على الصعيد الانساني، لكنها تتقدم على الصعيد العسكري والمافياوي. تملك روسيا اكبر جيش في العالم، ولديها افضل منظومة صواريخ عابرة للقارات، وترسانة نووية تكفي لتدمير ثلاثة كواكب غير الارض، وفوق ذلك كله يحكمها بوتين وبطانته. هل تعرف من هو بوتين؟ انه أحد أساقفة الكي جي بي ( KGB). لن أحدثك عن هذه المافيا. من الافضل ان تنام تحت حطام روسيا القيصرية، فهي أقل وطأة. ابق هناك، لن ادعوك ان ترى روسيا اليوم لأنك ستتألم كثيرا. محبتي لك ايها الجبل الانساني العظيم.

\*\*\*

24- اسماعيل انور باشا ( وزير الحربية )،

25- طلعت باشا ( وزير الداخلية )،

26- جمال باشا ( وزير البحرية).

أنتم قادة انقلاب 1913 في تركيا. انتم المتهمون الرئيسيون بمجازر الارمن (1915-1918). ايها السادة، ان أعمالكم سببت مشكلة للجيل الحالي، ولأنضمام تركيا الى اوربا. العسكر يرفضون الاعتراف بما اقترفتموه، والارمن يصرخون، وهيجوا اوربا ضد بلدكم. لماذا لا تتحملون المسؤولية؟ لماذا لا تعلنون عدد الضحايا واماكن المقابر الجماعية؟ هنالك تضارب كبير في الارقام. الارمن يقولون أن ضحاياهم تجاوزوا المليونين والمصادر التركية لا تعترف الا برقم (300 الف)، وتقول ان البرد هو الذي قتلهم. تركيا بقيادة اوردوغان تبتعد يوميا عن اوربا، وتقترب حدودها من السعودية والباكستان. هذا الأمر يسبب قلقا لجيرانها. أيها الباشوات: هنالك فرصة ان تعيدوا اتجاه تركيا نحو اوربا. أن تستيقظوا لبضعة ساعات لتقولوا الحقيقة. لن يعدمكم احد فانتم موتى أصلا.

\*\*\*

27- 28: الزعيمان عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف:

هنالك مجزرة حصلت في اليوم الأول الذي اعلنتم فيه جمهوريتكم. من منكم اعطى الاوامر بتصفية العائلة المالكة في قصر الرحاب صبيحة 14 تموز؟ أنت يا عبد الكريم، ام انت يا عبد السلام، ام كلاكما؟

\*\*\*

29- ورقة بن نوفل.

أيها القس العارف بأساطير الأولين. ياورقة: انت الوحيد الذي يعرف سر محمد. لقد اختفيت فجأة مثل ضيف شرف في فلم صامت بالأسود والأبيض. قلت شيئا وسكت. متى تخرج لتكتب مذكراتك. هنالك دور نشر كثيرة. فخري كريم واسع ( المدى ) في شارع المتنبي ببغداد، واعتقد انه لن يتردد في نشر مذكراتك. وهناك (جمل) خالد المعالي الرابض في كولونيا - المانيا، والمستعد لنقل أسرارك الى آخر بقعة في الأرض.

\*\*\*

### 30- محمد باقر الصدر.

ماذا يجري ايها الشهيد والفيلسوف الكبير؟ اللصوص يقولون انك زعيمهم. لقد غيروا اسماء الشوارع ووضعوا اسمك، ورفعوا صورتك في الدوائر الرسمية، ونصبوا لك تمثالا في طريق المطار. أتباعك سراق من طراز نادر ايها العالم والفقيه. من علمهم هذه اللصوصية الفائقة؟ هل هناك تعاليم سرية غير (فلسفتنا) و (اقتصادنا) كنت تتبادلها معهم؟ منذ عام 2003 والعراق يحتل المرتبة الاولى في الفساد العالمي، واتباعك هم القادة. هل يمكن ان تطل على حاضرتنا ولو ليوم واحد لترى بنفسك؟ لقد نهبوا كل شيء ووضعونا على حافة الافلاس. لابد ان تخرج ايها الفيلسوف قبل أن تنهار صورتك، وتسقط مع سقوطهم الوشيك. صورتك في خطر يا أبا جعفر؟

\*\*\*

### 31 - بتول نعمة العكلي ( زوجة ضيدان غازي النوفلي، تسكن في نفس الحارة ).

هنالك شامة ( خال ) في كتفك الأيمن لم يخلق الله منها سوى نسخة واحدة. كان من المستحيل ان أراها وانت حية، فقد كانت مقفلة على جميع العيون في الارض ما عدا عين واحدة. نساء الحي وحدهن يعرفن لماذا يعبدك ضيدان. يسمعن منك تفاصيل مدمرة. تروين لهن كيف يرتعش حين يبصر شامتك، فيمرر أصابعه مثل معتوه، ثم يشمها ويلثمها، فيتعباً سلاحه بالبارود، ليصرخ ملتحفا فتخرج طلقته. اصبحت مزارا للتبرك واثبات قدرة الخالق على خطف الأبصار. وفي حمام النساء تحيط بك العيون المبهورة والاجساد العارية، وتمر الأصابع بحذر شديد على تلك الدرة السوداء للتأكد انها ليست وهما او خداع بصري. وحين رحلت عن الدنيا أبا ضيدان الا ان يغسلك بيديه، ونام فوق جثتك لاصقا شفثيه على زهرتك السوداء. اصبحت جسدك المسجى والمقلوب على الوجه مزارا لعيون النساء. جاءتك وفود من احياء اخرى للتأكد من المعجزة قبل ان ينقض عليها الدود المتأهب على حدود الحفرة المعدة لك. وحين دفنك ضيدان لم يعد قادرا على الحب. تزوج مرتين، لكنه كان يبحث كل مرة عن شامته، وحين لا يجدها ينام وحيدا باردا مثل مرمري العراء. لا اعرف يا بتول ان كان ما اطلبه مخدشا للحياء، او فيه تجاوز لحرمة جار وفي مثل المرحوم ضيدان. ولكني افترض انك ميتة، وزوجك أيضا قد لحقك، وأرى الموت فاصلا بين الممكن والمسحور. تحيل.

ولدواعي لا افهمها تماما، أتوسل إليك ان تعودي الى الحياة دقيقة واحدة، لتريني شامتك.

\*\*\*\*\*

# موقع راضي للزواج بدون قاضي

دخل (راضي سلمان) عالم الانترنت عقب سقوط صدام 2003، فقام بفتح موقع اليكتروني للزواج يحمل أسمه ( موقع راضي للزواج بدون قاضي ). الموقع متخصص بالزواج دون إذن من أحد. بلا نقود، ولا حدود، ولا شهود. ويخلو من وجود قاض أو معمم أو أوراق أو موافقة الأهل أو أية عقبات دينية أو مذهبية أو قومية أو أيديولوجية أو جغرافية. ولا يوجد شرط مادي مثل المهر أو السكن أو الشهادة أو الوظيفة. وبمرور الوقت أصبح لديه بنك من المعلومات وعدد من المشتركين أتاح له الفرصة لتسهيل اللقاءات مع رؤوس على وسادة واحدة، وتزويجهم مجاناً. الباص الخشبية التي ورثها عن أبيه، تحولت الى حانة وملقى سري للعشاق، وملاذ للحب الممنوع في المدينة. في البدء كانت اللقاءات مقتصرة على شبان وشابات ( القاسمية ) شرق دجلة، ممن يودون النظر الى بعضهم عن قرب أو لمس أصابع بعضهم، ثم تطورت الى السماح بالتقبيل والعناق، وصولاً الى الجماع داخل الباص. أصبحت باص ابو راضي المكان الذي يتحول فيه الحب الأليكتروني ( software ) الى حب من لحم ودم ( hardware ). مع الايام توسعت رقعة الموقع، عبر القاسمية وحدود البلاد الى العالم العربي.

\*\*\*

## اليكم عينات من عروض الزواج التي وصلت للموقع:

\*\*\*

انا شاب عربي مسلم دون سن الاربعين. أقدم الخيانة الزوجية. ومستعد للزواج من امرأة عربية مسلمة مخلصه وتقديس الحياة الزوجية، ومستعدة ان تقبل ان أخونها حتى لو في سرير الزوجية.

\*\*\*

انا غجرية نازحة سورية من منطقة الجولان المحتل واعيش في السيدة زينب. تزوجني احد العراقيين المدعو (ابو زمن) لكنه لم يدخل علي من الأمام. كل ما كان يفعله معي هو من الخلف. بعد ان فاض بي الكيل قلت له: (حبيبي أبو زمن: هيك ما بنجيب ولاد) وترجمتها للفصحى: حبيبي ابوزمن، بهذه الطريقة لن يكون لنا أطفال. استشار أبو زمن طبيباً جراحاً في امكانية عمل ممر يوصل فتحة الدبر بالرحم، وبذلك يسمح لحيامنه الالتقاء بببوضي، لكنني رفضت العملية الجراحية خوفاً على حياتي. تركته وعدت الى اهلي وطلبت منه ان يطلقني.

عزيزي راضي :

انا الآن حرة. ومازلت املك غشاء بكارة سليم مئة بالمئة. واعرض نفسي مرة أخرى للزواج. ولا مانع ان يكون عراقي، ولكن بشرط ان لا يكون على شاكلة ( أبو زمن).

\*\*\*

انا بائعة خضار في سوق ( مريدي ). اخذتني امي الى السوق منذ ان بلغت السابعة. صوتي جميل يصلح للغناء، لكنني استهلكته في النداء على بضاعتنا يومياً. يقولون لي دائماً انني نسخة من وردة الجزائرية. كنت اموسق البصل، واغرد الطماسة، واتلاعب بحروف المد في الباذنجان حتى يصبح موالاً. وبسبب صوتي فقد كنا نجذب الزبائن فلا يتركون محلنا الا وهم محملين بالخضار. وحين كبرت كبرت معي موهبتي، فصرت اخلط الفلفل ببليغ حمدي، و سيد مكوي بالشلغم، واحياناً اصرف الخيار الذابل برياض السنباطي. وبهذه الطريقة لا يذهب للمزبلة اي شيء من بضاعتنا. كانت امي اكبر المشجعين لي على مواصلة النداء والترويج بهذه الطريقة. حتى انها كشفت لي انه بسبب صوتي فان ايرادنا الشهري يتضاعف، واننا قادرون ان نشترى بيتاً جديداً من طابق واحد. دفنت اربعين عاماً من عمري تحت تلال الخضار. كانت امي خلالها تضع كل اربع سنوات طباقاً جديداً الى البيت. بقيت بلا رجل . لم اضع اية صبغة فوق خدي، ولا كحل في عيني. لم ار من الدنيا سوى سواد الباذنجان، وحمرة الطماسة. كنت اريد شيئاً لكنه ضاع . الآن لا اعرف ماذا اريد:: مرة اريد ان اكون مجنونة ، ومرة اريد ان احرق نفسي ، ومرة اريد ان اهرب الى المجهول، وفي كثير من الاحيان اريد ان اكون مغنية. ترى امي انني لن اتذوق طعم الاستقرار الا اذا جاءت قسمتي وتزوجت.

فماذا تقول انت ياراضي. هل مازالت هناك قسمة؟

\*\*\*

نحن ( 150 ) فتاة من الطائفة اليزيدية. تم اغتصابنا وتوزيعنا كسبايا عند دخول (داعش) الى سنجار- الموصل. استطعنا الهرب من معسكر الأغتصاب. مازلنا بحالة جيدة. والكثير منا اغتصبوا لمرة واحدة فقط. وهناك بيننا من ثقت بالاصابع بسبب عدم توفر الوقت. لاتوجد اغشية بكارة. درجة الشبق غير معروفة. الذروة الجنسية ( الاورغازم ) غير مضمونة. رعشتنا خامدة كجناحي طير مذبوح. واصوات الشبق عواء ذئب جائع في ليل طويل. هناك جرح لا يندمل يمنعا من الالتحام التام. حين يركبنا الرجال نشعر بالغثيان، وحين تمسنا اصابعهم يخرج من جلودنا قيح بلون اسود. شهوتنا حليب مر. ونكاحنا خلاء م وحش .

هل هناك من يقبل بنا يا راضي؟

\*\*\*

انا رئيس جمهورية سابق للعراق، بقيت في منصبي اربعة اشهر وحصلت بموجبه على راتب تقاعدي قدره ( 29 ) مليون دينار اي ما يعادل ( 22 ) الف دولار شهريا. كان حلمي ان اوجد العراق والم مكوناته الرئيسية ( الشيعة، والسنة، والكرد، والمسيحيين ) تحت قيادتي، غير ان الفترة القصيرة لم تسمح بذلك. احاول الآن ان احقق حلمي بطريقة أخرى. املك فيلا كبيرة في لندن. وضعت في غرفة النوم سريرا يكفي لخمس أنفار. سوف اوجد العراق في سريري هذا. لذلك ابحت عن اربعة فتيات كل واحدة تمثل احدى المكونات الرئيسية ( شيعية ,وسنية , وكردية ,ومسيحية ). علما ان المعاشرة ستكون موحدة، لا فدرالية، ولا اقاليم، ولا كونفدرالية .

\*\*\*

انا شاب في الاربعين. اسمي (ي. م. م). نزحت من الموصل بعد دخول داعش اليها. اعيش حاليا في مجمع للنازحين في مدينة القاسمية – الرصافة- بغداد. لاملك سكنا مستقلا. لم المس امرأة حتى الآن. وبسبب كثرة التشهي والتحديث ضعف بصري، وامتألت مقلتي بماء ابيض. يعتقد الطبيب ان هذا الماء هو السائل المنوي، الذي صعد من الخصيتين الى العين. نصحني الطبيب بالزواج فورا، غير اني مفلس بكل معنى الكلمة. حتى انني ازلت الجيوب من ثيابي. لازلت مدينا لصاحب (مقهى المفلسين) في الموصل عن اقتداح الشاي التي شربتها بالدفع الآجل. وجهي يشبه الجرادة، وهو الأثر البيولوجي للافلاس الطويل، لكني املك رغبة عارمة في الالتحام بالمرأة التي تقبل بي، وضمن لها نار متقدة سحيقة في القدم، ولا تنظفيء ابدا.

\*\*\*

انا فتاة مغربية أمازيغية. ارغب ان أكون زوجة لعربي مسلم مشرق. ولدي شرط واحد: أن لا يعتبرني من الجواري او السراري او الأماء او ماملكت يمينه او ما أفاء الله عليه.

\*\*\*

انا دودة كتب. احب القراءة والهدوء وأكره الأطفال. تزوجت من امرأة اشترطت علي 12 شرطا نفذتها لها جميعا. بالمقابل كان لي شرطا واحدا هو أن نعيش بلا أطفال، لكنها لم تلتزم به. في كل مرة كانت تكذب علي: مرة في توقيت الأيام الحرم، ومرة في تاريخ صلاحية حبوب منع الحمل، وفي ثلاث حالات لأني سكران. واكتشفت لاحقا أنها تبتلع (ذروق الفار) بدل حبوب منع الحمل، وهي نوع من الحلوى المحلية الرخيصة كانت تشتريها بكميات وفيرة من سوق الشورجة. وفي ذروة الجماع (الاورغازم) كانت تتشبث بي، ولا تتركني انسحب بدعوى انها فقدت الوعي بسبب اللذة، فينفجر اللغم قبل الخروج من الأرض الحرام. النتيجة الكارثية لهذه الاكاذيب مجيء 12 طفلا، لم اكن راغبا بأي واحد منهم. توقفت كليا عن الكتب. تحولت من قارئ الى أب، او جرد، او ارنب، او اي حيوان ينجب ولا يقرأ. الغرفة التي ابتدأنا بها حياتنا الزوجية لم تكبر ملامترا واحدا، لكن عدد السكاكين فيها \_\_\_\_\_ا تبدال من 2 الى 14. كانت زوجتي مخلصه جدا في كراهيتها للكتب، بحيث ازاحت مكتبتي من الغرفة ووضعت مكانها سريرا مؤلفا من 12 مهد. كانت تهزه يوميا، وحتى قبل ان تضع فيه مواليدها. بعد ان اطمأنت تماما الى العدد الذي خططت له قالت: (الآن ربطتك الى الأبد، فك نفسك ان استطعت). اشعر ان هناك 12 حبلا يلتف حولي ويخنقني. لم تعد حياتنا تطاق. في الفجر قطعت الحبال جميعا وهربت.

عزيزي راضي :

انا اسكن منذ سنوات في مكان مجهول. عدت الى الكتب تدريجيا، وابحث عن زوجة تؤنس وحدتي، ولكن بشرط واحد: هو ان تكون عاقرا.

\*\*\*

نحن ستة اخوة. نبحت عن يتزوج اخانا المدعو (سبتي). ومستعدون لكافة الشروط. أخونا فقد السيطرة على اصابعه. ما ان يبصر انثى حتى تتمدد اصابعه ولا تتوقف الا عند ملامسة ردفها. قبل مدة عبرت اصابعه سطح الدار على جارتنا. هذه ليست الاولى. كل البيوت المجاورة فرغت من ساكنيها، ولم يبق لنا جيران. وحين اقتربت طبيبة الاسنان لتخلع ضرسه انبت شفتيه في حنكها، فخلصناها منه بشق الأنفس. وحين ينام يضاجع العفاريات والجنيات وخفافيش الليل. قطعنا اصبعه الوسطى بعد عشرة محاولات (بعض) في باصات النقل العمومي. حذرنا انه سيفقد اصبعه لكل عشرة بعصات، لكنه لم يتوقف، فقد حتى الآن ثلاثة اصابع، وصرنا نخاف ان نقطع كفه، فربطناه بسلاسل في البيت لحين ايجاد امرأة تقبل به.

العزيز راضي: اذا وجدت من تقبل باخي، فيرجى التأكد من استعدادها لقبول البعض



والعض وباقي الوسائل التعبيرية التي لم يعد اخونا قادرا على التخلي عنها في المعاشرة الجنسية.

\*\*\*

انا موظف حكومي عراقي، فاسد اداريا وماليا. كنت متزوجا من مهندسة زراعية عراقية تنتمي الى طائفة (الايادي البيضاء)، وهم فئة من الخوارج التروتسكيين يقفون في اقصى اليسار. قضت زوجتي خمسة وعشرين عاما موظفة في مديرية الآفات الزراعية دون ان تمد يدها الى المال العام. حاولت مرارا ان اثنياها عن عزمها المضى بهذا النهج حتى سن التقاعد. امتد خلافنا هذا الى سرير النوم. كلما رأيت يدها البيضاء تنكمش تمراتي، ويتضاءل الهر الساكن بين فخذي حتى يغدو فأرا مذعورا يبحث عن ملاذ ليختبئ فيه. كانت تحاول اعادة الحياة الى بكفها الملساء. تظل تعصر الفأر النائم لتوقظه، لكن دون جدوى. تجرب كل انواع الخرطات. يتحرك السرير بأكمله ولا يستيقظ النائم. في واحدة من تلك الليالي الفاشلة صارحتها بالحقيقة: (لا تحاولي يا حبيبتي، لا ينفع ذلك، العيب في كفك). ورحت ادلها على الدواء: (اذهي غدا الى عملي، ادخلي غرفة لجنة المشتريات، وابحثي عن قارورة من الزيت يستخدمونها لختم الوثائق، ضعي في كفك قدرا منه، ثم حرري صكا بمعدات وملابس واجور العمال (الفضائيين) الذين ينفذون مشروع مكافحة الآفات الزراعية القادمة من كوكب المشتري. لاتنسي ان تبقي قدرا من الزيت في كفك، ولا تغسلها ابد. حين تعودين، ادهني فأري النائم، سوف ترينه هرا متوثبا اشد من قوس الصياد). نظرت الى بعينين متورمتين، وضعت اصبعين على انفها، وسحبت منخريها بوجهي في اشارة الى شمها رائحة زنخة، ثم جمعت ثيابها وخرجت من البيت دون رجعة.

عزيزي راضي :

انا الآن اعزب. ابحت عن موظفة حكومية عراقية فاسدة اداريا واخلاقيا، بحيث لا اشعر معها باي عجز جنسي في الفراش.

\*\*\*

انا الرائد ( ج . م . ع). يسموني (أبو خالد) تيمنا بخالد بن الوليد الذي قتل مالك ابن نويرة ونام مع زوجته في نفس الليلة. احب مضاجعة زوجات اعدائي. بدأ هذا الميل لدي عقب تعييني ضابطا للتحقيق في مديرية الأمن العامة ببغداد. هناك مارست اولى تجاربي الجنسية. ابتدأت بزوجات الشيوعيين العنيدون. كانت هذه اسهل الطرق لأنتزاع الاعتراف وتفكيك التنظيمات. كنا نخوض صراعا مريرا معهم يتطلب مثل هذه المشاهد . وكان اغتصاب الزوجة امام أعين زوجها قد أتى اكله سريعا. وحين انتهينا من الشيوعيين رحت ألتهم نوعا آخر اكثر أغراء هو زوجات الاسلاميين ( حزب الدعوة). وساعد انتشار الاخبار

خصوصا من قبل اولئك الذين يوقعون على التعهدات وصكوك البراءة فيفرج عنهم على تفكك هذه التنظيمات من تلقاء نفسها. ونتج عن ذلك توقف العناد في غرف التحقيق وراح اعنى المناضلين يتهاوى ويعترف قبل ان نطلب منه ذلك. خلق هذا التطور نوعا من المأزق. حيث انعدم وجود المناضلين العنيدين. اصبح الجنس بهذه الطريقة غير ممكنا. لقد سقطت الورقة التي كنا نلوح بها. وحين سألتني امي : متى تتزوج ؟ كان من الصعب الاجابة على سؤال امي. كنت آمل ان يختفي هذا الميل بتوقف أسبابه ( اي بخلو جلسات التحقيق من المناضلين المعاندين)، لكنني سرعان ما اكتشفت انني لم أعد التذ بغيره. لقد تغلغل في جسدي ومزاجي. رفضت اكثر من مرة عروض الزواج التي قدمها لي أهلي . وكنت اقدم لهم أعذارا شتى . اصبحت لا ألتذ الا مع زوجات المناضلين. وحين سقطت بغداد هربت والتجأت الى الاردن . أعيش حاليا كآبة وتردد جنسي لا يطاق . أشعر برغبة عارمة للممارسة لكنني لا أجد المرأة التي تحييني . أتحرق شوقا الى زوجات أعدائي.

عزيزي راضي :

انا في محنة. حلمي الدائم هو اللقاء بزوجات المعدومين من المناضلين. انا مستعد لتقديم اية تنازلات او اموال مقابل ان تقبل بي تلك الارامل. لقد سقط صدام ولم يعد لي اية علاقة به، لكنني ما زلت احن لزوجات اعدائه، ولا ابغي سواهن في فراشي. أؤكد لك انني أحترمهن جدا، ولا ارغب بأذلالهن. هل يمكن ان تساعدني في ايصال خطابي هذا.

\*\*\*

انا شاب مسلم عملت فترة طويلة مع تنظيم القاعدة بغرض الاستشهاد والزواج من حورية في الجنة. وقبل ان اكلف بعملية استشهادية صادفت احد المرتدين ( الخارجين من التنظيم ). حدثني عن الحوريات. اخبرني ان لهن زعانف وذبول وحراشف مثل السمك. وقال انهن يتنفس عن طريق الجلد هواء مذابا لا يشبه الهواء الذي نتنفسه. وصف لي سرير العرس قائلا: ( السرير هو اعماق البحر. لكي يحدث التزاوج ينبغي ان تغطس مع الحورية في الماء) وأراني صورة ليست مغرية للنكاح تحت الماء، دفعتني الى الخروج من التنظيم، والبحث عن زوجة بلا زعانف ولا حراشف، وتنفس نفس الهواء الذي نتنفسه.

\*\*\*

انا شابة مطلقة منذ سنتين. لي ستة أخوة، لاهم لهم سوى مراقبتي ومنع وصول اي رجل مني. تحولت الى جمرة تحرق اي اصبع تمتد أليها. الكثيرون من حولي يحلمون بي ولكن كمطلقة وليس كزوجة. لا يوجد من يطفئني فالفرصة معدومة كليا. اصبحت عليلة دون

مرض. اخذتني امي الى العيادة الشعبية. أوصاها اخوتي أن تحرسني جيدا. فحصني طبيب شاب فاحترق اصبعين من كفه اليمنى. طلب من امي ان تحضرني اسبوعيا للعلاج الطبيعي. بعد ثلاث جلسات مسح جسدي برمته ففقد جميع اصابعه، ولم يعد قادرا على مواصلة العلاج فحولني الى مستشفى القاسمية الجمهوري (الجوادر). لم يكن المعالج هذه المرة طبيبا بل موظفا صحيا. احاطني بستائر من كل جهة وراح يمد اصابعه ليعثر على موضع الألم. اشتعلت النيران في اصابعه فتركها تصعد الى مفاصله ولم يعد قادرا على اطفائها فراح يدس بشفتيه وانفه ليصل الى موضع الداء. حين انتهى من الفحص كانت النيران قد أكلت أطرافه، وتفحمت شفتيه وارنبه انفه ولطخ بدلته البيضاء سخام النيران الاسود. حاول ان يجعل العلاج سريريا بحيث أمكث بضعة أيام في المستشفى، لكن امي رفضت. صرت انتقل من عيادة الى أخرى ومن مستشفى الى آخر تاركة ورأي رتلا من المعوقين: موظفي وزارة الصحة مشوهي الشفاه والأنوف والاعين ومبتوري الاصابع وفاقدن لشرفهم المهني. انتبه اخوتي الى شيء غير عادي فصاروا يرافقوني. قطعوا علي جميع السبل. ثم قرروا التوقف عن زيارة المستشفيات الحكومية وانتقلوا بي الى عيادة طبيبة في الاعظمية راحت تداويني بسكب ماء مثلج على جسدي، والتهام حبوب مسكنة مضادة للهيجان والنيران الداخلية. ازدادت حالي سوءا، ولم يعد ثلج الطبية يطفؤني. عندئذ صعدت الى السطح. فتحت ازرار قميصي أخرجت ثديي امام وجه الله، ودعوته ان يأخذ اخوتي اليه ويخلصني منهم. فاستجاب الله لدعوتي واخذهم جميعا مرة واحدة في انفجار السيارة المفخخة في ساحة مظفر.

عزيزي راضي : انا الآن حرة طليقة. بعد زوال اخوتي رحلت اطوف على جميع المستشفيات لأستكمل جلسات العلاج التي انقطعت بسببهم. غير ان شيئا جديدا طرأ على جسدي ياراضي: بدأت انطفئ يا راضي. النار المتقدة اصبحت رمادا ثم تحول الرماد الى ثلج يلسع ببرودته. هل تتخيل يا راضي؟ لم يكن ذلك يخطر ببالي أبدا. ماذا افعل لأستعيد جمرتي؟ اريد من يشكمني. هل تعرف من يلجمني؟ يحيطني بعيونه دوما، ولا يسمح لي بمراجعة المستشفيات و الفحوصات السريرية. هل تجد لي زوجا يقوم مقام اخوتي، يتفرغ للشك بي ولمراقبتي؟

\*\*\*

انا شخص لم يعد بمقدوري الزواج بالشكل العادي، فقد انهيت نصف عمري بالتلصص والتنصت على المتزوجين في السطوح ومن وراء الستائر. وكنت اضطر أحيانا الى التسلل داخل البيوت، والاختباء تحت أسرة المتزوجين وسماع تنهداتهم. وحين اكتشفوا امري

اضطرت الى الهروب والانتقال الى مدينة اخرى. في العمارة السكنية تعرفت على امرأة وحيدة مثلي. اقترحت علي الزواج. اخبرتها بمسألة التلصص والتنصت فلم تمانع بشرط ان يبقى سرا. حاليا ابحت عن يقبل ان ينام تحت سريري، اثناء خلوتي بزوجتي، بالمقابل ان يقبل وجودي تحت سريره اثناء اجتماعه بزوجته، او يسمح لي بالتلصص من ثقب الباب.

عزيزي راضي: هل يمكنك مساعدتي في هذا الامر ؟ مع خالص شكري.

\*\*\*

انا شخص لا التذ الا بالعض. لا أعرف كيف تتقدم الأسنان لتحل محل الشفاه؟ تتحول القبلية دون ارادة مني الى عضه. تزوجت ثلاثة مرات. في كل مرة تهرب الزوجة مني لتلجأ الى الشرطة، فيكتفوني ويجروني الى القاضي لينتهي الأمر بالطلاق. آخرهن فلتت قبل ان ألتهم أذنها. اخضع حاليا لعلاج على يد طبيب قادم من المانيا. ابتلع ست حبات مهدئة يوميا. وقد اوصى لي بفكين اصطناعيين بنوابض حلزونية، يحدثان نفس النشوة في العض دون أحداث ضرر. ولكي يشعرني بالثقة والأطمئنان طلب مني الطبيب ان البس الفكين واعضه بقوة. مد لي رقبته فغرزت الفكين فيهما حتى شعرت اني انتزعت هبرة من لحمه. كنت انتظر جريان الدم والصراخ، لكن النتيجة كانت مذهلة، اذ بقي هادئا تماما ولم يحدث اي شذخ او حتى أثر، بل ابتسم وصافحني مؤكدا لي اني قادر الآن على ممارسة الحياة الطبيعية دون خوف.

عزيزي راضي: انا اعرض نفسي للزواج، ومستعد للتوقيع على اي تعهد، واتحمل اي تعويضات عند حصول اي خطأ.

\*\*\*

نحن 17 حورية من حوريات الجنة. وظيفتنا أستقبال الشهداء والزواج منهم. لاحظنا في السنوات الأخيرة قدوم نوع مشكوك فيه. عندما نستلمهم لنحممهم ونمسح اجسادهم من آثار الدنيا نلاحظ ايديهم ملطخة بالدماء، بينما تقضي اللوائح ان يكون الشهيد مقتولا، لا قاتلا. قلبنا ملفاتهم، فظهر انهم سفاحون ولا يحملون اية عقيدة عدا القتل. ونذكر لكم منهم على سبيل المثال: ابو مصعب الزرقاوي وشاكر وهيب الفهداوي، ورائد منصور البناء، وابو حنظلة النجدي، وابو دجانة التونسي.

عزيزي راضي: نود ان نخبركم اننا رفضنا الاستمرار مع هؤلاء السفاحين، وتوقفنا عن ممارسة الجنس معهم. وهم الآن يمارسون العادة السرية في الجنة خالدين. يمكن ان تعتبر عملنا نوعا من الاضراب. حاول بعض الفقهاء التوسط لهم لدى الله، ولا نعرف ماذا

ستسفر عنه هذه الوساطة. نغتني هذه الفرصة للتوكيد لكم ان مفهوم الشهادة قد جرى التلاعب به في الارض. واليكم التعريف الرسمي السماوي: الشهيد هو ضحية المعتقد الذي لم تتلوث يده بسلاح قط. ليس الشهيد من يسقط في الحرب حتى لو كان دفاعا عن النفس. الشهيد هو الضحية العقائدية الخالية من اية قطرة دم. اما الذي يموت في سبيل العقيدة وهو يحمل سلاحا فليس شهيدا، بل ثائرا او بطلا او مجرما احيانا. ولذلك نرجو منك يا راضي ان تهمس في اذن أصدقائك الشيوعيين بالكف عن تسمية ضحايا (قوات الأنصار) بشهداء الحزب، انهم ثوار او أبطال فقط. ونؤكد هنا ان مفردة الشهيد تعني القديس ( وليس من يلفظ الشهادة )، وبذلك تشمل الجميع، مسلمين او غير مسلمين، متدينين او غير متدينين، بل أنها تشمل حتى الملحدين، اذا تم تصفيتهم بسبب آرائهم. لذلك نرجو منكم ابلاغ اصدقائك من العلمانيين او الفلاسفة الوجوديين او الماركسيين الملحدين او الصحفيين باننا بانتظارهم عند تعرضهم الى التصفية الجسدية. سوف نستقبلهم بحرارة، ونضعهم في أعيننا، وسنقدم لهم كل أنواع المتعة التي تليق بهم في الفردوس.

\*\*\*

انا رجل لا ألتذ في الفراش الا بعد ان اتلقى عدة ضربات من عصا غليضة. احتفظ في غرفة نومي بثلاثة انواع من العصي هي: ( التوثية، الجنائية، الدونكي). تزوجت من ثلاث عربيات: عراقية، ومصرية، ولبنانية. هربوا الثلاثة مني بسبب الخوف ان اموت تحت ايديهن، فيبتلين بدمي. قبل ان نصعد الى السرير أضع بيد زوجتي العصا، واطلب منها ان تنهال علي. فاذا كانت عراقية فاطلب منها ان (ترضضني) او (تنعنني)، واذا كانت مصرية اطلب منها ان (تدشدشني)، اما اللبنانية فاضع بيدها التوثية، واطلب منها ان ( تفش خلقها) في قفائي. أحتاج ان اذل وأهان ويمرغ انفي في التراب كي أنتصب.

أرجوك يا راضي، هل عندك من تقبل بي؟ انا مستعد لكتابة اي تعهد باخلاء المسؤولية وعدم الملاحقة القانونية في حالة موتي، ومستعد لأي مهر، ولدي شقة ايضا.

\*\*\*

انا فتاة عمري ( 18 ) عاما. يقولون عني اني جميلة لدرجة الفتنة. اذا سرت في الشارع تتوقف حركة السير، ويترك الناس أعمالهم ليتفرغوا للنظر الي. مللت من كثرة الأزدحام حولي وأرغب بالزواج. ليس لي سوى مطلب واحد فقط لمن يتقدم لي: وهو أن يحبني، ولا يحب أي شيء سواي. لا اعرف ان كانت القائمة التي سوف ادلي بها تغطي هذا الشرط. اريده ان لا يحب أمه ولا أبويه ولا أخواته واخوته، وجميع اقاربه حتى الدرجة السادسة.

ينبغي ان لا يحب أي شيء غير مشترك بيننا. بمعنى ان لا يحب اي شيء عرفه او عاشه قبلي، وتشمل جميع الذكريات والأماكن والاصدقاء والعلاقات. ينبغي ان يكره الكتب والموسيقى الكلاسيكية وكرة القدم والشطرنج والمسرح والفن التشكيلي والشعر او اي شيء يلهيه عني. ينبغي ان يدخل علي وهو عار من اي اثر للماضي من ذكريات او خرق قديمة او صور اوهدايا سابقة. ينبغي ان يكون مستعدا للتوقف عن أية هواية لا أحبها، او اية عادة سابقة لمجيئي، او أكلة او مشروب كان يقدم له قبلي، وان لا يطري اي طبق طعام يقدم له من غيري، حتى لو من باب المجاملة. باختصار ان يبدأ الزمن وينتهي بي.

\*\*\*

انا زوجة لرجل أعمال عربي يقضي ثلاثة ارباع السنة في جنوب شرق آسيا بحجة التجارة. وقد بلغني انه يمارس هناك زواج المتعة، وانه (يتمتع) في كل بلد يمر به. انا اكره الخيانة واعشق العدالة. ولتحقيق العدالة ابحت عن رجل (يتمتعني) اثناء غياب زوجي.

\*\*\*

نحن إدارة المصرف التجاري العراقي. يوجد لدينا (70) موظفة غير متزوجة. وبغية تجديد حيوية المصرف وتخفيف التوتر نعرض هذا العدد للزواج، وسوف نقدم كافة التسهيلات من أراضي ومنح وقروض ميسرة واجازات وما الى ذلك.

\*\*\*

اسمي ( ف.ح . م )، انا امرأة بشعة. اصبت بمرضين زادا الطين بلة. ترك داء الثعلب حفرا نحاسية في رأسي. وأضيف الى قبجي المتوارث انعدام التناظر بسبب شلل نصفي في عصب الوجه ( مرض الشرجي ) الايمن. مال انفي الى جهة اليمين، واصبح لي عين اصغر من عين، وخذ لايشبه خد، واذن لا تساوي اذن، وحاجب اعلى من حاجب، وانحرف فمي ليصبح قريبا من اذني، ومال انفي فصرت اتنفس من منخر واحد. توقفت عن الضحك او الكلام الا للضرورة القصوى. سوف يتجاوز عمري الاربعين ولم أذق سر الله الذي اودعه في خلقه. بعد ان عجزت عن جذب من يتزوجني، قررت ان امنح نفسي لأي طارق او عابر سبيل. لم يتقدم احد ليطرق بابي. خرجت الى الشارع لابحث بنفسي عن عابر سبيل. رأيت مجموعة شباب ينكحون حمارة. دنوت منهم ورجوتهم ان يتركوها، ويأتون الى حضني فرفضوا. قالوا انهم لا يريدون ان يتورطوا، وانهم يفضلون الحمارة لأنها لا تحبل منهم. صرفوني بلطف:

(اذهي الى جامع (ام المؤمنين)، واعرضي نفسك، فهناك شباب يريدون الدخول الى الجنة).

ذهبت الى هناك، ووقفت انتظر حتى ينتهي الأمام من خطبته. كان يحدثهم عن الجنة، ويطلب من تارك الصلاة والصيام ان لا يئأس من دخول الجنة، فهناك فرصة له اذا أتى بعمل خارق للعادة. وضرب لهم مثل الرجل الذي تاه في الصحراء، ولم يبق معه سوى شربة ماء، فرأى كلبا يلهث من العطش، ففضله على نفسه وسقاه، فادخله الله الجنة. وجدت لها فرصة ذهبية للأعلان عن نفسي كعمل خارق. خطوت نحو المنبر. حين رأي الامام توقف عن خطبته، وانحنى الي ليسمعني، فهمست باذنه غرضي. عاد الشيخ وطلب من الحاضرين ان ينظروا الي. ثم خاطبهم قائلا: (ايها الشباب المؤمن. ايها المثقلين بالذنوب والراغبين بالمغفرة والفوز العظيم، من يتزوج هذه المسلمة فسوف يدخل الجنة).

حل صمت طويل، ورحلت امسح بعيني وجوه المصلين وراقب اركان المسجد. كرر الامام نداءه، ولم يتقدم احد. ثم رأيت الجالسين ينسلون واحدا بعد الآخر، ولم يبق الا الشيخ لوحده.

قلت له: وأنت يا شيخ، الا يعجبك ان تدخل الجنة؟

أجاب: نعم يا بني، خدمت الله ستين عاما، وسيزوجني من الحور العين.

تركت بيوت الله، وعادت الى البيت. لبست بدلة زفاف وحملت لافتة. بقيت نهارا كاملا واقفة على رصيف الشارع الوح للسيارات المارة عسى ان يفتح احدهم الباب ويحملني. كانت السيارات تبطئ قليلا، تتوقف عندي ثم سرعان ما تنطلق بسرعة اكبر. بعد ان يأس من الله ومن عبادته. ذهبت الى المضمد الصحي المجاز (هلال الجابري)، طلبت منه ان يعمل لي ختان، او يحرق ثديي وسرتي وشفتي، وجميع المواضع التي تسكن فيها محنتي. رفض المضمد ذلك. فرحت افكر بأن اقوم بالعملية بنفسي. اذا لم يتقدم لي أحد خلال شهر من الآن، فسوف أمسك بسيخ وأجمره حتى يحمر وامرره على جميع الرغبات المستحيلة حتى تخمد تماما وتتحول الى رماد.

\*\*\*

انا (ر.س. ع)، شاب تجاوزت الثلاثين. ورثت باص خشبية عن والدي. كان علي ان اترك مقعد الفلسفة في جامعة بغداد لاطعم عشرة افواه مفتوحة تركها لي ابي بعد مماته. جلست وراء مقود الباص حتى توقفت كليا، فجعلت منها حانة ومأوى للهاربين ولحب السري. أعشق كل ماهو مهممل ولايثير شهية أحد. دائم العطش لكني لا أرتوي الا من العطش نفسه، من بئر الحرمان الأبدي. منذ ان ولدت وانا احلم ان يكون جسدي جسرا الى العطش المطلق. تعرقت كثيرا وحلمت كثيرا، وضعت كل ما تمنيته مقابل ما حصلت عليه فرأيت

ميزانا خرافيا، كفة في السماء وكفة في الارض. أرغب بالزواج من امرأة بشعة جدا. وأفضل ان تكون مصابة بداء الثعلب و بشلل نصفي في الوجه ، وان يكون عمرها يقترب من الاربعين، وان تكون يائسة من رحمة الله. افضل ان تكون زوجتي امرأة راقبت شبانا يركبون حمارة فحسدت الحمارة. وان تكون قد وضعت مفتاحا للدخول الى الجنة فلم يقبلها أحد. ويا حبذا لو تكون قد ذهبت الى مضمد صحي مجاز كي يحرق لها مواضع محنتها. ووقفت في رصيف الطريق العام بثوب زفاف ابيض وهي تحمل لافتة تشير الى رغبتها في الزواج، فمرت السيارات منها وهي مسرعة، ورشت فستانها بزفت الطريق الاسود. سوف اعد سريرا لها في مؤخرة الباص. وأضع مصباحا أحمر يعمل بالبطارية وأعلق أعواد بخور. سأحلق لحيتي وأصفف شعري، وألبس ثوبا أبيضاً جديداً، وأرشي وجهي بعطر(هافوك) من سوق مريدي. سوف اقبلها في اكثر المواضع قبحا، وسأضع خدي على كل المواضع التي كادت تحترق. وسأحول المستحيل الى ممكن. سوف ابكي طويلا وسأركع عند قدميه، فقد منحتني تلك الفرصة الذهبية التي حلمت بها طويلا، حين جعلت من جسدي جسرا الى بئر الحرمان الذي لاقرار له. منحتني الفرصة للأرتواء من العطش المطلق.

\*\*\*\*\*



# خمسة أعراس

## لم يرقص بها أحد

في آخر زيارة للعراق كان لابد ان أمر بمدينة (القاسمية)، وأبيت ليلتين في الزقاق العتيق الذي خرجت منه ضيفا على (راضي سلمان) صديق الطفولة والايام العصبية. وجدت تبدلات كثيرة في المدينة. هناك مظاهر كثيرة اختفت ومنها الرقص والغناء والخمرة. تبدل شكل الأعراس فلم تعد مناسبات للفرح بل للنكاح. لم يعد هناك سوى مكان واحد في المدينة للخمرة هو باص خشبية عتيقة مختبئة وراء سياج من البلوك واشجار السرو، ورثها راضي عن أبيه وجلس خلف مقودها حتى توقفت كليا. وقبل ان نشهد معا آخر عرس جلسنا هناك نشرب الخمرة، وفتحنا ذاكرة المدينة، ورحنا نستعرض تاريخ الرقص والغناء. وتوصلنا الى عزل الأعراس التي لم يرقص بها أحد والظروف التي دعت الى ذلك.

\*\*\*

### 1 - عرس العريف غاطع

قاطع الحي كله هذا العرس بسبب القسوة المصاحبة له. هذه هي الزوجة الثانية لقاطع. تزوج عريف الشرطة (قاطع) في نفس البيت الذي تحتضر فيه ( رومية) زوجته المصابة بالسرطان. بقي غاطع لوحده في ساحة العرس جالسا على كرسيه أمام طاولة مغطاة بقماش أبيض وعليها باقة ورد من البلاستيك ووعاء ماء زجاجي ( سراحية ) مع قدح. كان هناك خمسمئة كرسي فارغ من حوله. وكان الوقت يمضي وهو ينتظر من يزفه. في اعراس مدينة (القاسمية ) هناك عقيدة راسخة هي ان فض البكارة لا تتم الا اذا تم بعض العريس ( وضع الاصبع الوسطى في الدبر ) قبل دخوله على عروسه ( الزفة ). ويقوم بذلك عادة اصدقاءه المقربون او معارفه. وكلما كانت عدد (البعايبص ) والاصابع اكثر كلما كان

الوقت اللازم لفض البكارة أقصر. في ساعة متأخرة من الليل دخل الزقاق ( نجم ابو ليلى ) السكير الابدي عائدا من الحانة. شق طريقه مترنحا في العرس بكراسيه الفارغة ونشرة الاضواء التي مازالت مشتعلة بلا جدوى. قام غاطع من كرسيه ليحييه، فقد وجد فيه مفتاح الفرج والأمل الأخير في الحصول على زفة. كان (ابو ليلى) بالكاد يرى طريقه، فقد وضع العطش الذي يعقب الخمرة ( عطاش الكحول ) غشاوة على عينيه و جفف فمه. وقعت عينه على وعاء الماء، وبدل ان يواصل طريقه مخترقا العرس انحرف نحو الطاولة التي يجلس خلفها العريس ببدلته البيضاء وشاربه المصبوغ بالفحم. أنتعشت آمال العريف غاطع ومد كفه لكنه لم يجد كفا تصافحه. تركه ابو ليلى وتناول وعاء الماء. وضع فمه وعبه حتى آخر قطرة. وعندئذ استعاد قدرا من وعيه ليمسح العريس بنظرة طولية من أخمص القدم الى قمة الرأس. وقذف عبارته:

( وانت شدةوة مستعجل؟ خليها عاد تموت ).

وترجمتها: ( لم العجلة ؟ !! انتظر رومية حتى تموت).

رمى جملته دون ان ينتظر جوابا، وواصل طريقه تاركا غاطع لوحده. كان أبو ليلى هو خاتمة اليوم في الحي . بعده لن يخرج ولن يدخل أحد حتى شروق الشمس. نظر غاطع بحسرة الى ابو ليلى وهو يعطيه ظهره و يبتعد مترنحا وهمس له بحرقة:

(على الأقل ابصني)

كان بودنا ان ننقل نداء التوسل هذا بلغته الأصلية (عاد بعصني). لكننا نخشى من سوء الفهم لغير الناطقين بلغة المدينة، لأن مفردة (عاد) التي تقابل (على الأقل) لا تستخدم بهذا المعنى ألا في حدود ضيقة للناطقين بالعربية. بقي غاطع لوحده، لم يزفه أحد، زف نفسه بنفسه. لم يجد من يبعصه، فمد اصبعه الى دبره وبعص نفسه. دخل على عروسه الجديدة بينما تلفظ (رومية) انفاسها الاخيرة في الغرفة المجاورة. استغرق فض البكارة الليل بطوله، وأمتد حتى طلوع الفجر. ماتت رومية وهي تسمع جميع التؤهات والحمحات وصيحات الشبق وصرخة الرعشة التي خرجت من فم ضرثها.

\*\*\*

## 2 - عرس حجي ريسان

بسبب البخل فشل عرس (حجي ريسان )، وانتهى دون ان يرقص فيه أحد. واثبت للحي ان البخل والفرح لا يجتمعان في مكان واحد. لم يكن الحاج ريسان فقيرا بمقاييس مدينة الثورة

(شرقي دجلة )، بل كان ميسور الحال. فعدا دكان البقالية يملك باصا للنقل بين المدينة وباب المعظم، يقودها ( سماري)، وهو سائق أجير أقرب الى العبد، يعمل منذ عشرين عاما دون ان يزيد أجره فلسا واحدا. ولكي يستعبده الى الأبد فقد خطب ثلاثة من بناته لأولاده الثلاث. ولكي يختزل المصاريف الى الثلث فقد قرر ان يزوجهم في يوم واحد. كلف الحاج ريسان اولاده بكتابة بطاقة الدعوة بخط اليد، واستنساخها على ورق الكربون، بالف وخمسمئة نسخة. قدر معدل (النقو ط ) المتوقع، وهو المبلغ الذي يدفعه المدعو للحفل كهدية، وطرح منها المصاريف، فوجد العرس مشروعا مضمون النجاح. كان الحاج ريسان مصمما منذ البدء على ان لا يخسر فلسا واحدا، بل على العكس، ان يربح من عرس أولاده مبلغا يكفي لشراء سيارة أجرة، ووضعها بيد الأبن الاصغر لسماري، واستعباده لربع قرن قادم. لا احد يعرف ان كان ماحدث في العرس صدفة او ان الحاج ريسان قد خطط له، فقد كتب في بطاقة الدعوة ان الحفل تحييه فرقة (فليفل) للرقص الشعبي. والحقيقة ان فليفل وفرقته ليسوا قادرين على أحياء الحفلات فقط، بل واحياء الموتى ودفعهم الى الرقص. تختص الفرقة بما يسمى (البزخ ) وهو الرقصة التي اخترعها ابناء هذه المدينة والتي تسمى احيانا ( الرده )، وهي خليط من الرقص واللطم، مع ميل للفجعية، ورغبة في الانعتاق من قيد غير معروف. وقد تم كتابة العبارة بخط عريض ووضع قوسين كبيرين على كلمة ( البزخ) التي تبشر برقص أقرب الى الجنون خصوصا حين يؤديه فليفل وجماعته. سحبت هذه العبارة عددا كبيرا من المدعووين وغير المدعووين. وبسبب العبارة تحمل الكثير مشقة الوقوف، فقد كان هناك نقص كبير في الكراسي. وتحمل الحضور الجوع بسبب الزهد المفرط في كمية الطعام وخلوه من اللحم. وشعر الكثير منهم أنهم في دير للرهبان اكثر منه عرس. كان الموسم حافلا بثمار (الرقى ) بتشديد القاف، وهو التسمية العراقية لما يعرف عند بقية العرب بأسم ( البطيخ ). ولولا وفرته في ذلك الموسم لبقى نصف المدعوين بلا عشاء. وكان لغزارته يباع بالعربات وليس بالمفرد. فلكي تشتري عليك ان تأخذ العربدة كلها. اما اذا انتظرت حتى غروب الشمس فسوف تحصل عليها مجانا. كأن سماء البلاد أمطرت بطيخ (رقى). في يوم العرس نقل الحاج ريسان نصف ما موجود في السوق من هذه الثمرة. وقد حلت هذه الثمرة مع ارغفة الخبز المتبقية مشكلة نفاذ الرز والمرق. كانت قشور الرقى تتكدس على جوانب الشارع وساحة العرس، وفي تلؤل صغيرة على السطوح وتحت الكراسي. تحمل الجميع هذا الأستعراض السافر للبخل على أمل ان يعوض بالرقص حين يطل فليفل وفرقته. كانت هناك مفاجأة غير سارة تنتظر الجمهور. بعد أن وضع الحاج ريسان ( نقو ط ) المدعوين في جيبه، أشار الى عريف الحفل ان يتقدم للجمهور ويعلن لهم خبرا (غير متوقع ) وصله توا . قبض عريف الحفل على عنق الميكرفون وأعلن أسفه عن تعذر حضور فليفل وفرقته: (...ففي طريقهم الى الحفل

أوقفهم مفرزة حزبية، وخيرتهم بين احياء الحفلات أو الدفاع عن الوطن. فلبى فليفل نداء الواجب المقدس وتطوع مع كافة افراد فرقته في الجيش الشعبي. وكانت هناك باص عسكرية تنتظر، سلمتهم سلاحا وبدلات زيتونية ونقلتهم الى الجبهة في قاطع ديزفول). القي الأسف على عجل، وبعذر لا يسمح بالتعليق. خلف الأسف والعذر ظلالة من الشك على العرس. صار الحضور ينظرون في وجوه بعضهم. ماذا يجري بالضبط؟ المعروف عن فليفل انه لا يلبي مثل هذه النداءات. لا يلبي فليفل سوى ندائين فقط هما الرقص والخمر. (ولكن ايها الجمهور الكريم لن نترككم تعودون الى بيوتكم بخفي حنين. سوف نقدم لكم مطربا يدفن موهبته منذ عقود من السنين في معمل النسيج الصوفي ( معمل 1 حزيان ) في كمب سارة، حيث تبتلع مكائن النسيج صوته فلا يسمعه أحد. مطرب يسير منذ زمن طويل على خطى (عبادي العماري ) دون ان نتعرف عليه. اعزائي الحضور يسرني ان اقدم لكم نسخة لاتقل جودة عن الأصل أنه المطرب: سوادي العماري). كان هناك عرف يحترمه الجميع في أعراس المدينة: هو ان يمنحوا المغني الجديد عشرين دقيقة ليظهر مواهبه، فاذا لم يرقصوا او يطربوا فسوف يطلبون منه التوقف، او ينصرفوا تاركين المطرب يغني لنفسه. أما اذا سبب صوت المطرب اضرارا لحاسة السمع والذوق، او أحال الجمهور الى فضاءات أخرى لاتمت بصلة للموسيقى او الرقص فسوف يلجأ الجمهور الى أساليب قسرية لأيقافه. وماحدث في تلك الليلة ان صوت (سوادي العماري) أحال العرس الى معمل للنسيج. فيما عدا التقارب في الاسم، لم يكن هناك اي أثر او لمسة تشير الى صوت او اداء (عبادي العماري ). ما أن مرت الدقائق العشر الأولى حتى وجدت احد الحاضرين يقترب مني ليبث نفس الأنطباع الذي يجول في خاطري. (سوادي العماري هو ماكنة نسيج تغني). هل تسمع؟ قال لي. الا تشعر انه بحاجة الى تزييت؟ هزرت له رأسي مؤيدا. حقا أنه ماكنة قديمة جدا، وتحتاج الى تزييت. احيانا تصدر منه حشرات وضربات مكوك، ومسننات تحتك ببعضها فتحدث صريرا واختناقات وتوقفات كأن هناك خيوطا تتقطع. بعد عشرين دقيقة من الاصغاء اصبح واضحا ان هناك خطأ ما يجري. ويبدو ان هناك معلومة لم يذكرها عريف الحفل وهي ان سوادي العماري، مطرب النسيج الصوفي كان اطرشا، اذ لم يسمع الصيحات المتكررة للتوقف عن الغناء. اصبح من الواضح ان اسكاته يتطلب وسائل بصرية بعد تعذر الوسائل السمعية. كان اول قشر بطيخ (رقي) حط على ظهره جاء من أحد السطوح، لكنه تجاهله وواصل الغناء. ثم جاء تصحيح في الرمي فوصل القشر الى رأسه فتجاهله ايضا. مع توالي وكثرة القشور اصبح التصويب عشوائيا واغلبه في القفا. كان لابد من الدقة في التصويب، حيث المطلوب هو التسديد في الفم لأسكاته. تكاثرت عليه القشور. خصوصا من السطوح، وحين هرب طارده، كانت هناك ابواب في طريق هروبه تفتح على عجل، فتخرج منها قشور من تحت عباءات سود ترشقه

ثم تدخل وتوصد الباب. وأراد (حجي ريسان) ان يقول شيئا، فانهالت عليه القشور. ثم انهالت على العرس، فهرب العرسان الثلاثة الى جهة مجهولة، تطاردهم قشور البطيخ.

\*\*\*

### 3- عرس عماد مياسة

ولد عماد مياسة وهو يحمل حاسة شم قوية جدا من النادر ان تخونه. يمكنه وهو معصوب العينين ان يميز ان كان امامه انسان أم حيوان، قشرة بصل ام باذنجان، عمود خشب ام حديد. وقبل ان يبلغ الخامسة عشر ظهر في برنامج تلفزيوني للمواهب يقدمه الفنان ( سامي قفطان ). عصبت عينا عماد مياسة ووضع أمامه عشرة أشخاص ليحدد بأنفه طبيعة عملهم. واستطاع في نفس البرنامج التعرف على محتويات عشرة اطباق من الطعام دون ان يتذوقها. كان وجهه مغطى تماما بفوطة سوداء، ولم يترك له سوى ثقبين صغيرين يخرج منهما منخريه. وما ان انهى دراسته الاعدادية حتى وجد له خاله (مياس) وهو شرطي سابق في مديرية الأمن ميدانا خصبا للأستفادة من حاسته الخارقة، حيث قاده من يده وقدم اوراقه الى كلية الامن القومي في منطقة الفحامة. وفي الاختبار العملي استطاع عماد ان يهزم خمسة كلاب بوليسية، ويتعرف على القاتل بعد عجز هذه الحيوانات المدربة، فقبل في الأمن القومي على الفور. خلال ثلاث سنوات من الدراسة التطبيقية في المعتقلات وزنانات التعذيب في الامن العامة والشعبة الخامسة للأستخبارات تم تدريب انفه بحيث يكون قادرا على شم المعارضين السياسيين للسلطة، والتعرف عليهم بمجرد الاقتراب منهم. ولقد طاف بانفه ليمرره على جميع الاماكن المحتملة التي يلتقي فيها المعارضون: مقاه وحانات وجوامع او اوكار سرية، ويتعرف على رائحة الكتب التي يتداولوها. وحين تخرج برتبة ملازم في مديرية الامن العامة كلف بتشكيل شبكة من الوكلاء والجواسيس في مدينة القاسمية. وضع خارطة دقيقة لجميع الأماكن التي تخرج منها الروائح الممنوعة.

لا نعرف المصير الذي آل اليه عماد مياسة بعد 2003، لكننا نعرف عن كذب فترته الذهبية: الانجازات التي حققها انفه و فترة صعوده ويوم عرسه. كانت مسيرة عماد مياسة حافلة بالنجاح ومليئة بالضحايا. لن نتحدث عن جميع الضحايا لأننا نحتاج الى سجل اكبر، وسنكتفي بنماذج مبتسرة من قطاع 20 الذي خرج منه هذا الأنف الأسطوري. بدأ باقرب الجيران، وهذا أمر طبيعي لأن حاسة الشم هنا تكون اقوى ما يمكن. اثناء مروره شم رائحة كتاب (فلسفتنا) لمحمد باقر الصدر بين الكتب المدرسية التي يحملها (علي ابن حجي حسن) ممزوجة برائحة الحسينية ( الشوشترية ) في مدينة النجف. عرف منها ان علي

يتصل دوريا بالفيلسوف والفقيه والداعية (المخترق أمينا والمراقب لحظيا) وربما يكون وكيله في قطاع 20. اكتشف ان ( زينب) اخت علي هي الاخرى تخفي كتباً ممنوعة تحت عباءتها، وتتصل دوريا بآمنة حيدر الصدر ( بنت الهدى ) في الكاظمية. كان أنف عماد لا يخطئ أبدا. لم يمض سوى شهرين على هذه (الشمة) حتى اختفى علي واخته والأخ الأصغر قاسم. كان شم الشيوعيين اسهل بكثير من غيرهم بسبب رائحتهم النفاذة. كان بيت (سالم مهاوي) الطالب في كلية الطب - جامعة البصرة على بعد عشرين مترا، فكان مجرد ان يزيج عماد فراش النوم و يخرج أنفه كافيا لمعرفة ما يجري في البيت المقابل، ويعرف من يدخل ومن يخرج. استطاع ان يشم رائحة ( سعدون عباس الحريشاوي) زميل سالم في كلية الطب، ويحدد بدقة توجهاته الماركسية. وحين أرسلت دائرة أمن البصرة الى بغداد أستفسارا عن الطالبين المعتقلين لديها، انتقل الاستفسار من يد الى أخرى حتى وصل الى يد عماد مياسة فكتب تقريراً وافيا عنهما عجل في سقيهما عصير البرتقال ممزوجا بسم الثاليوم. كان بإمكان عماد مياسة تمييز الماوي من غير الماوي، والتروتسكي عن الستاليني، وجماعة اللجنة المركزية عن القيادة المركزية ( الكفاح المسلح ). وهو يستطيع تمييز رائحة صحيفة (طريق الشعب ) على بعد 200 متر. وكان مجرد الوقوف امام الدار يمكنه من معرفة أذا كان البيت يحوي (رأس المال ) لماركس، او (ضد دوهرنغ) لأنجلز، او (ما العمل؟) لفلاديمير لينين، ومؤلفات لودفيغ فيورباخ، التي تحمل رائحة نفاذة بسبب النقد اللاذع لهيغل. وحين بدأت موجة الكتابات المعارضة على الحيطان، وازدحمت جدران المدارس والمنظمات الحزبية بشعار ( الموت لصدام ) كان عماد مياسة هو بطل أحماد هذه الفورة. طلب من مدير الأمن العام الدكتور (فاضل البراك ) مهلة شهرين ليضع بين يديه جميع الاصابع المتورطة. كان يمرر أنفه على تلك الكتابات فيعرف على الفور اسماء مرتكبيها. بدأ عماد عمليات الملاحقة واستطاع ان يرسل الى زنازين مديرية الامن قوافل من الشبان المتورطين لا يسعنا ذكر أسمائهم جميعا. زج بالعشرات واختفت آثارهم، لكنه استطاع ان يفي بوعدته الى مدير الأمن العام . بعد سنوات طويلة رحنا نعد الذين كانت لنا صلة مباشرة بهم، ممن شمهم عماد بقوة، فأخرجهم من عالم الدنيا قبل الأوان، واغلبهم كانوا روادا للباص الخشبية، ويسكرون معنا دوريا:

( بيت فليح الساعدي، بيت مناتي، محمد منشد، وليد جاسم مهدي، بيت شرجي، علي اخو سعدية، حمزة حسين، قادر الفقير، علي وزينب وقاسم من عائلة حجي حسن، محمد عبد الواحد كويش، عبد عداي، حسن ابن نعناعة، كامل كريم، عبدعلي حسين، سالم مهاوي، سعدون عباس الحريشاوي، سعد ابو شيبه، رعد شوحى، صبري ابو صابرين، وغيرهم ).

بعد ان جلس على تل من الضحايا قرر عماد مياسة ان يتزوج. انتقت له امه واحدة من بنات اخيها مياس. طبع بطاقات لجميع بيوت الحي. لم يستثنى أحدا حتى بيوت ضحاياهم. ونشر الف وخمسمئة كرسي. جلب مطرب من الاذاعة والتلفزيون مع فرقة موسيقية. في يوم العرس بقيت الكراسي فارغة. لم يرقص احد، فقد حدثت مقاطعة جماعية، لكنها غير معلنة. كان هناك تنسيق ضمني باختراع كم من الاعذار المختلفة، وتقديمها على دفعات الى مياسة. هرب اقرب الجيران بحجة موت اقاربهم او زيارة مرضاهم. واخترع سيد عاتي ( عبر مكبر الصوت في الحسينية ) وفاة مفاجئة لأحدى بنات الحسن، يتطلب زيارة الكوفة والمبيت فيها ليليتين. وادعى جميع الموظفين في الدولة ان لديهم خفارة. اما الطلبة والعاطلين فقد تطوعوا في حملات العمل الشعبي لبناء مجمع 7 نيسان السكني قرب البلديات. ولكي لا تجبر الفتيات على الزغاريذ او الرقص فقد تحججن جميعا بنزول العادة الشهرية. وشرب (نجم ابو ليلى) لتر ونصف من الخمر (العرق) ليبيت في الحانة فلا يضطر للمشاركة في الزفة. ورتب (هاني حسن الرماحي) مسؤول الفريق الكروي مباراة فجائية مع شباب (المعقل) في البصرة في نفس يوم العرس. خلال يومين فرغ الحي بالكامل، ولم يحضر العرس سوى زملاء عماد مياسة في مديرية الأمن، الذين كانوا ينتظرون اهتزاز جبل حصاروست ورقصه، لكي يرقصوا بعده. كانوا جالسين ببدايتهم الرصاصية وشواربهم التي تحاكي ( ٨ شباط ) وأطراف المسدسات التي تبرز من تحت الأبط. أما أكتافهم فكانت اكثر رصانة وصلابة من أعمدة قلعة القشلة. صافحوا زميلهم وقدموا له هداياهم المالية ( النقود ) في ظروف ورقية مغلقة وغادروا الحفل دون ان تهتز لهم شعرة واحدة. وفيما عدا اطلاق العيارات النارية فان العرس لم يشهد شيئا جديرا بالذكر. انفض العرس وعاد المطرب والموسيقيون الى بيوتهم. بقي عماد لوحده مع الف وخمسمئة كرسي فارغ ينتظر من يزفه. مرة اخرى نؤكد العقيدة الراسخة في اعراس مدينة القادسية وهي ان فض البكارة لا تتم الا اذا تم بعص العريس ( وضع الاصبع الوسطى في الدبر) قبل دخوله على عروسه ( الزفة ). ويقوم بذلك عادة شباب الحي والأصدقاء المقربون. وكلما كانت عدد (البعايبص) والاصابع اكثر كلما كان الوقت اللازم لفض البكارة أقصر. تلفت عماد مياسة يمينا ويسارا فلم يجد أحدا. الوقت يمضي ولا أحد يدخل الزقاق ولا يخرج منه. حتى نجم ابو ليلى لم يعد من حانته. دخل العرس وانواره في سكون مطبق. كان عماد بحاجة ماسة لمن يبعصه كي ينتهي من هذا اليوم ويرتاح. بدأ الخوف يتسلل اليه، وخشي ان يصاب بأنتكاسة اذا دخل دون زفة، وبلا أصابع تدور في دبره. نادى في وسط الزقاق، نداء داخليا مليء بالمرارة والتوسل:

( الا من اصبع يبعصني ؟ !! ).

لم يكن هناك أي صدى لندائه. طاف على البيوت واحدا واحدا. وضع أنفه على الابواب والشبابيك. شم رائحة البيوت فوجدها خالية من أي أثر للبشر. سمعته امه مياسة وهو يحدث نفسه، ورأته حائرا يفرك بأنفه فسألته: (ماذا يقول لك أنفك يا ولدي؟).

أجاب: (أشم رائحة مؤامرة يا أمي).

ثم سألها عن خاله (مياس)، فقالت: لقد ذهب مبكرا، لم يعد خالك يا ولدي، منذ هذه الساعة هو (عمك) أي والد عروستك، والعرف لا يسمح له بالبقاء في الزفة، ولا حتى بالبعص.

سألها: (ماذا نفعل يا أمي؟).

أجابت: ( لم يبق يا ولدي سوى ان تتوكل على الله وتبعص نفسك ).

\*\*\*

#### 4 - عرس القاسمية

خرجت الفكرة من ( باص ابو راضي ). ثم تسربت في المدينة حتى وصلت الى مسؤول رابطة ( الأيادي البيضاء ) وهي احدى منظمات المجتمع المدني، فسر بها وطلب لقاءنا على الفور. وسرعان ما وجدت طريقها الى أرض الواقع. كنا (راضي وانا) نحلم أن نرى مدينتنا ( القاسمية ) تسكر وترقص حتى الصباح . نظمنا عرسا خياليا في الباص لكنه اختنق ولم يعد يكفي لأفواج المشاركين ففاضت الفكرة ونزلت الى الأرض. عملت الخمرة المحلية ( العرق ) على رفع مستوى الفكرة وتشذيبها. ومع كل كأس كانت تكبر وتختمر. صحنونا من سكرتنا فوجدنا انفسنا في مقر (الايادي البيضاء) وراح راضي يوجز لهم الفكرة:

( يتألف العرس الجماعي من ( 79 ) زوجا من العرسان، وهو نفس عدد قطاعات المدينة، بحيث يخرج عروسة وعريس من كل قطاع ).

تبنتها (الأيادي البيضاء)، وتحركت على الفور لتشكيل لجنة خاصة لتنفيذها. كانت استجابة أهالي المدينة فورية وشاملة، مما دفع اللجنة الى اللجوء الى القرعة لأختيار العدد المطلوب من العرسان والمغنين والراقصين والموسيقيين والبهلوانيين واصحاب المواهب الغربية وصالونات التجميل والخياطين والخياطات وغيرهم. وقد مثل قطاع ( 20 ) العروسة ( وهران فليح ) وعريسها ( قاسم مناتي ). والعروسة هي ابنة ( فليح الساعدي ) معلم اللغة العربية المعروف. كان والدها قوميا يساريا ومن المتحمسين للثورة الجزائرية. وقد بلغ حبه للجزائر حدا دعاه الى طلب اعارة خدماته الى ذلك القطر الشقيق



لأعادة اللسان العربي لأبنائه. وتحققت امنيته فعلا، وسافر الى الجزائر مع عائلته، و قضى هناك عشر سنوات، وانجب خلالها ابنتيه ( وهران ) و ( جميلة ). وبعد عودته من الجزائر اصبح فليح واحدا من رواد الباص الخشبية. كان يصعد الباص حاملا خمرته بيده ليحدثنا عن ذكرياته وحنينه لمدينة وهران واهلها.

طبعت اللجنة المنظمة مئة الف اعلان. ووزعت بطاقات الدعوة على مليون ونصف من سكان المدينة. اختير التقاطع بين شارع ( الجواد ) وشارع (مريدي) ليكون مركزا للأحتفال، ومكانا للمنصة التي يقف عليها العرش الجماعي محاطا بالاعلام الوطنية. عمل فريق من المتطوعين تجاوز عددهم ( 600 ) شاب وشابة ولثلاثة ايام على تنظيف ساحة الحفل ومقترباته والشوارع المؤدية اليه، وصف الكراسي المؤجرة. اخرج الاهالي كل ما في بيوتهم من كراس واراكن، ووضعوها تحت تصرف اللجنة، ليصبح العدد ربع مليون مقعد. كان عدد المتطوعين من الفنانين لاهياء العرس قد بلغ رقما يصعب تقديمه في حفل يمتد من السادسة عصرا الى الثانية عشر ليلا. كان التدفق على مقر اللجنة لتسجيل الاسماء جارفا والمكالمات الهاتفية بلا أنقطاع، كل يطلب ان يغني او يرقص او يقدم عرضا بهلوانيا. وكان على اللجنة أن تتخذ قرارا بتمديد العرس حتى طلوع الفجر. وبذلك يمكن تقديم أكبر عدد من فناني المدينة الذين خرجوا من صمتهم مرة واحدة.

استطاعت اللجنة بصعوبة بالغة ان تختزل العدد الى ( 1500 ) مطربا، وراقصا، ومنشدا، وطبالا، وبزاخا، وراعوشا، وبريكيا، وبهلوانا من بلاعي الموس او مصابيح النيون، ونفاخي النار، واصدقاء الضفادع، ومروزي الثعابين، ومربي الطيور، واولئك الذين يكسرون طبول الفخار على رؤوسهم، والذين يعزفون بمناخيرهم، او يخرجون أيقاعات من أبطهم، ومغنو معامل النسيج الذي لا يسمح ضجيج المكائن العتيقة بسماعهم، وصبيان معامل الطابوق (القرميد) الذين يغنون بينما لهب الكورة يأكل وجوههم واقدامهم الحافية، واولئك الذين ينامون على المسامير، ومجاميع التحشيش الذين يحولون الكوارث الى أعياد، وبقايا الزنوج نصف العراة. كان تراث المدينة يخرج مثل عفريت من قمقم: خرج (حسين سعيدة) من قبره وسجل اسمه واعداد ان يعيد غناء قصائد (عريان السيد خلف) التي لحنها قبل اربعين عاما. جاء (خصاف العبد)، الذي اصيب بشلل نصفي اقعه خمسة عشر عاما، ووعد ان يهز النصف الحي من جسده. استيقظ (عبادي العماري)، و(سلمان المنكوب). جاء (سيد محمد النوري) بصحبة ابنه (فيصل). جاءت فرقة (فليفل)، وشدة (ابراهيم الاسود) واخيه (بوسي). اتصلت حفيدة (شكري خليل) ملكة الغجر تلفونيا لتعلن ان جدتها مازالت مغرية، لا زال الوشم في نحرها يسيل له اللعاب، وصوتها بعافيته، سوف تحضر مع بناتها واحفادها، و(التفريعة) أي احتضان الغجرية وقرصها في فخذها ستكون مجانا. خرج (عبد

شنين) من فرن الخبز (الصمون) الذي دفن فيه ذاكرته لثلاثين عاما، يرافقه ابن اخيه (رياض). عبد شنين هو النسخة المعتمدة في المدينة ل (جيمس براون). جاء (حفيظ دحدوح) بديلا مقبولا لعبد الحليم حافظ لولا انفه الذي يقبل القسمة على ثلاثة. بعث فرج وهاب - ملك طور المحمداوي ابن اخيه (مصطفى الطويل) نيابة عنه. عاد (حسين البصري)، و (مدلل)، و (نسيم عودة)، و (شامل العماري). خرج الراقوص المخنث ( صباح الزبيري) من عزلته. أعاد الشامة المستعارة الى وجنته، وكحله، وعلكته، ونزع الشعر عن سيقانه. تقدم (عبد فلك)، و (يونس كلو)، و (محمود العيساوي). وجاء عازف الكمان ( فالح حسن ) يقود وراءه فصيلا من العميان يبلغ عددهم 20 عازفا. واتصل 25 مقلدا لسلمان المنكوب، و 30 مقلدا لعبادي العماري، 15 مقلدا لحسين البصري، و 3 لحسين سعيدة. وحضر (حاتم البز) ليقدم عرضا لموسيقى الجيش. تقدم الجيل الثالث من صناع الفرح، وبزاخي العصور الغابرة، واعداد لا تحصى من مطربي خلف السدة الغير مقيدين بأي سجل رسمي. حضر (سعيد بوردا) ملك الأناقة في المدينة من منفاه في بريطانيا ليخيط (79) قميصا للعrsان. وتطوع (50) حلاقا وحلاقة لتزيينهم، يقودهم (عباس محيي الرماحي). وقدمت وزارة السياحة لهم ليلتين في الميريديان. واستطاعت الأيادي البيضاء ان تحصل على كميات غير محدودة من الطعام الجاهز تبرعت به مطاعم المدينة. وقدم معمل العرق في الكرادة اربعين الف زجاجة عرق زحلاوي، وقدم اصدقاء المنظمة في أربيل (عينكاوة) شحنة من الخمرة المحلية (العرق المستكي) بواقع الف زجاجة. وقدمت حكومة اقليم كردستان كمية من الألعاب النارية (متبقية من أعياد نوروز). وابدى (10) فنان عربي رغبته في الحضور الى العرس والغناء فيه مجانا، لكنهم تلقوا تحذيرات ونصائح (من جهات لم تكشف عن نفسها) بعدم المشاركة.

لم يعد خافيا لأحد ان الحفل المرتقب هو تحد للأرهاب الذي استهدف المدينة منذ سقوط صدام، ورسالة حادة لأيتامه وللتكفيريين: ان المدينة باقية ومصممة على الفرح رغم سيل الأعمال الوحشية. غير ان اللجنة المنظمة كانت تواجه تحديا من نوع آخر. هنالك عدو داخلي للمدينة يريد مسحها بالكامل. شيء يشبه الارضة ينخر في لبها الابيض النقي في فترات الاستراحة بين مجزرتين. فيما عدا الخطر الخارجي، الذي يهدد بنسف العرس و المتمثل بهجمات تنظيم القاعدة، هنالك تهديد داخلي يتمثل ب (التيار الصدري) الذي عمل منذ سقوط النظام على بسط سيطرته على المدينة وفرض مزاجه عليها. مدينة (الثورة) التي اقامها الزعيم عبد الكريم قاسم، ولم يفكر حتى بوضع اسمه عليها، هذه المدينة نزع عنها اسمها مرتين: مرة على يد صدام والثانية على يد الصدرين. عبر الصدريون علنا عن رفضهم لأقامة العرس. وزعوا بيانا من مليون ونصف نسخة.

الصقوه على الجدران وحرصوا ان يوصلوه الى كل بيت في المدينة. كان الخوف من (الصدرين) له ما يبرره، فهم يستندون الى ذراع عسكري ( جيش المهدي ) ليس معصوما من الانفلات. وانزعاجهم من الحفل أمر لايمكن تجاهله. ورغم ان الدولة كانت تقف في صف العرس وتحميه الا ان القلق بدأ يساور اللجنة. كانت طبيعة الارهاب الخارجي واعماله لاتسمح بالنظر الى الصدرين كعدو للمدينة. المقاربة بين الأثنين فيها ظلم كثير. الوحشية المفرطة لتنظيم القاعدة تجعل من الصدرين حملان وديعة. كان من الصعب أهملهم او معاداتهم. كان لابد من التوجه لهم ومحاولة التفاهم معهم. ذهب وفد الايادي البيضاء الى مكتب الشهيد الصدر لمقابلة الشيخ (حليم الكناني ) المسؤول الاول. لم يخف الكناني أستنكاره وسخريته. أعاد امام الوفد قراءة فقرات من اعلان العرس. قرأ بصوت مرتفع أسماء العجريات والطبالين والمطربين الذين اعيدت لهم الحياة، ومجاميع الزنوج الذين اوشكت الاجيال الحالية على نسيانهم ( على حد تعبيره ). وذكر أسم صباح (الزيري) وسيقانه المنزوعة الشعر. وأشار الى الخمرة (العرق). متسائلا عن الكيفية التي حصلوا من خلالها على كل هذه الكمية من (المنكر)، متجاهلين لعنة (كامل الزيدي) محافظ بغداد على شاربها وساقيا وصانعها. تلك اللعنة العلنية، والتي كتبت على ألواح كبيرة زرعت في ساحات العاصمة لتحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

( ماذا تنوون بالضبط ؟ هل تريدون ان تعيدوا المدينة الى عهدھا الوثني ؟ لقد اوشك الناس على نسيان كل هؤلاء المخنثين. انكم تهدون كل ما بنيناه منذ اول سقوط النظام ، لم تبقوا داعرا ولا فاسقا ولا سفيها الا وأحييتموه).

كان على اللجنة ان تمارس اقصى درجات ضبط النفس للخروج بنتيجة ايجابية. لم يرد عليه احد. اكتفى ممثل الأيادي البيضاء بالقول.

( لكنهم أبناء المدينة وتراثها. هل تنوون مهاجمتهم كما يفعل الاعداء؟).

( لن نهجم أحدا. حتى لو كنا غير راضين فلن نهجم العرس. لا يمكن ان تمتد ايدينا لابناء مدينتنا، لكننا نحمل نفس القلق الذي تحملونه. هناك مجاميع كثيرة منفلة وكلها تدعي انتمائها للتيار الصدري، ونحن غير مسؤولين عن المنفلتين )

\*\*\*

كان من الصعب عزل المدينة بالكامل، واحاطتها بصبات الكونكريت، لذلك تم منع دخول العربات الا بترخيص. اكتفى المسؤولون عن الأمن بأحاطة مركز العرس بالحواجز الكونكريتية وفي دائرة قطرها 500 متر . يبدو ان هنالك حزمة من اعلانات العرس ودعواته

عبرت نهر دجلة ووصلت الى منطقة (اللطيفية). ومن هناك نقلت على عجل الى (الفلوجة) المدينة التي احتلها تنظيم القاعدة فشىد فيها مجمعا لصناعة الموت، ومدرسة لتعليم الأباحية الدموية. انتقل الأعلان من كف الى كف حتى وصل الى (ابو ايوب المصري) وزير الحرب في دولة العراق الإسلامية. (هناك عرس (رافضي) دسم. مليون ونصف سوف يجتمعون في مكان واحد). هكذا انتقلت الرسالة بين محطات الرصد لتنظيم الدولة الإسلامية. بعد استطلاع الموقع وجدت ثغرات كثيرة يمكن الدخول منها. قدر فريق الاستطلاع ان هناك فرصة ذهبية لهلاك (50) الف من (الروافض) اذا تم تجهيز (25) انتحاريا. كان مستودع الفلوجة من الانتحاريين لا يكفي لتأمين هذا العدد، فقد كانت المدينة قد تخصصت بتجهيز السيارات المفخخة، وخطوة الانتحار لم تنضج بعد، فكان لابد من اللجوء الى الأحتياطي الاستراتيجي العربي. اجريت الاتصالات مع الخلايا النائمة وشيوخ الجوامع في العالم العربي. يجدر هنا ان نتوقف قليلا عند التعديل الذي صدر من (ابو عمر البغدادي) أمير الجماعة بخصوص عدد الحوريات المنتظرات في الجنة، فبدل ان يكون الرقم ثابتا (17 حورية) اصبح متغيرا. فقد اعتمد مبدأ جديد يحدد عدد الحوريات بعدد الهالكين الذين يأخذهم المنتحر في رحلته الى الجنة، فلو اخذ معه ثلاثة فسوف تنتظره ثلاثة حوريات، ولو أهلك مئة فسوف يجد مئة حورية تنتظره، اما اذا أنتحر ولم يصب أحدا بسوء فسوف لن يجد من ينتظره. نعم، سيدخل الجنة وسيكون خالدا فيها، ولكن فقط ليشرب اللبن والعسل، ويضطجع على سرر مرفوعة وزرايى مبثوثة، ولكن بدون حوريات. هنالك (25) انتحاريا عربيا سوف يشاركون بهذا العرس بطريقتهم الخاصة: الاردن 3، السعودية 3، مصر 2، ليبيا 2، الجزائر 2، تونس 2، السودان 2، العراق 2، فلسطين 1، اليمن 1، سوريا 1، المغرب 1، الامارات 1، قطر 1، الكويت 1. (الأسماء متوفرة لمن يريد). يحمل كل واحد منهم بطاقة الدعوة كي لا يثير الشبهات، مكتوب فيها (وبحضوركم يزداد الحفل بهجة وسرورا). وسيأخذ كل منهم موقعه بين الجمهور المليوني. انتقل الاشقاء العرب عبر الأردن وسوريا الى الفلوجة، ومنها وزعوا على ثلاثة اوكار سرية في الغزالية وحي الجهاد والدورة. (أسماء الأدلاء متوفرة فقد القي القبض عليهم لاحقا واعترفوا بأدوارهم). من هناك نقلوا الى محيط مدينة القاسمية وزرعوا في الوقت المناسب بانتظار بدأ الحفل رسميا.

هل نتوقف هنا؟ لا شك اننا امام مشهد لم يعد خافيا على أحد، فقد سجلته آلاف الكاميرات من فوق السطوح، ومئات الألوف من العيون التي بقيت مفتوحة، وكل العيون التي غادرت وهي تحتفظ باللقطة الأخيرة متجمدة على شبكية العين. هنالك شئ أسمه

الرقص، الكل ينتظره. كان العرس على تلك الحافة. هناك مليون ونصف زوج من الاكتاف تنتظر أن تهتز. شيء يشبه دبب النمل تحت الجلد.

خرجنا أنا وراضي من باص الخشب بعد ان كرنا ليطرا ونصف من الخمرة ( العرق ). وقفنا في ابعد نقطة عن مركز العرس. يمكن القول اننا وقفنا على محيط ما يجري. أتاح لنا موقعنا ان نرى ما جرى بطريقة مغايرة تماما. صعد عريف الحفل ( غالب حمود الأزيرواوي ) ليشعل أول سهم من الألعاب النارية، ويعطي إشارة البدء في اكبر حفلة راقصة في تاريخ البلاد. حبس الجميع انفاسهم. لكننا فوجئنا بصعود سحري لغالب عريف الحفل، وليس للسهم الناري. كان غالب أول الصاعدين الى السماء، بل كان اسرع من السهم الناري. ولوهلة قصيرة جدا شعرنا أننا امام مفاجأة بهلوانية خبأتها اللجنة عنا: شيء اشبه بعروض الافتتاح في الألعاب الأولمبية ، حيث يمكن ان يطير كل شيء. هل لعبت الخمرة بعيوننا؟ ارتفع العرش الجماعي والموسيقيون في زفة واحدة. كانوا اشبه بطبق فضائي يحمل أنوارا . رأيانهم بوضوح: ( 79 ) زوجا من المصابيح البيضاء ارتفعت الى السماء. لم يتشظوا بعد، لم تنفصل العرائس بعد كانوا مايزالون كل يمسك بكف الآخر كأنهم سرب من الملائكة. ثم راحوا يتقلبون مثل ازواج الصاعدين في الصحن الطائرة في مدينة الألعاب. واصلوا صعودهم حتى تجاوزوا منارة (جامع الرضوي ). اصبحت المدينة كلها تحت انظارهم. عند هذا المستوى بدأ تشظيهم الى نجيمات صغيرة. ثم بدأت الألعاب النارية تخرج من أماكن أخرى. وتصعد النجمات لتبخر امام أعيننا وتترك وراءها دخانا اسود . استطعنا ان نحصى خمسة وعشرين موضعا تخرج منها فوهات الألعاب النارية . كان من الممكن ان نواصل بهجتنا وشعورنا باننا امام عرض خالص للألعاب النارية لولا موجة من الهلع قد وصلت الى محيط الدائرة وضربتنا مثل أعصار. لم نكن أنا وراضي بحاجة الى أعصار لقذفنا بعيدا فقد كان سكرنا كافيا لوحده. كانت الموجة من القوة بحيث قذفتنا لمسافة تزيد على ( 15 ) مترا. هذا يعني ان قطر دائرة العرس تمدد بمسافة اضافية مقدارها ( 30 ) مترا على الاقل . غير ان ذلك التمدد لم يكن ممكنا في جميع الاتجاهات بسبب وجود الجدران. من هنا تضاعف حجم الضحايا ليصل الى اكثر من ( 50 ) الف . كان لابد حسب قوانين الامواج ان تضرب الجموع الجدران ثم ترتد. هنا حصل تداخل الاجساد وصعودها فوق بعضها والتحام الصراخ والبحث الغير مجدي عن الهواء والفراغ المستحيل، حيث تحول العرس الى مطحنة كبرى. من الأفضل التوقف هنا، فاللغة تبدو ركيكة وعاجزة عن اللحاق بما يجري. رحت ابحت عن راضي ، فقد كان يبحث عن مكان لينطفيء فيه مثل تلك النجمات. أمسكت بكفه وسحبته الى باص الخشب. صعدنا الى هناك وبدأنا رحلة التضائل. اصبحتنا نصغر. بدأت أبعادنا تتضاءل

تدرجيا. تركنا الأجساد في الخارج تطحن بعضها. تركنا المجزرة مثل أعصار مدمر يتمدد في كل الاتجاهات . وبدأنا رحلة الذهاب الى الصفر الوجودي. كان لابد ان نكون اصغر ما يمكن، أن نصبح صفرا كي لا يبقى لدينا ما نخسره.

بعد ساعة من المجزرة زف موقع في الانترنت البشرى للعالم الإسلامي، وعززه بفيلم يصور الحادث ويكشف أسماء المنفذين والنتائج الباهرة التي تحققت. كان من الصعب وضع رقم محدد للضحايا بسبب الاعداد الهائلة من الجرحى الذين ينتظرون دورهم في الموت. (الأيادي البيضاء) لم تبتثر كلها. بقي منها مايكفي لأقامة عزاء جماعي . انتظروا حتى يفصح الجرحى عن موقفهم ويستقر رقم الضحايا عند (56) الف، عندئذ شرعوا ببناء حائط في نفس المكان لتسجيل الضحايا. بلغ طول الحائط ( 250 ) مترا وارتفاعه مترين. صبغوه بالأسود. ووضعوا اصابع طباشير الى جانبه. تقاطر ذوو الضحايا. وقفوا في طوابير طويلة يخطون بالطباشير أسماء ضحاياهم. جاء الناس للتعرف على اسماء الضحايا والجنة. وضعت اللجنة اسماء ال ( 25 ) انتحاريا في أعلى الجدار. كان هنالك خارطة توضح موضع وقوف هؤلاء السفراء في العرس وحصاد كل منهم. جاء (حنظلة النجدي ) من السعودية في المرتبة الأولى حيث وصل عدد ضحاياه ( 3500 ) مما يعني حسب الدالة الجديدة ان هناك (3500) حورية تنتظره في الجنة. والثاني من تونس ( أبو دجاجة التونسي ) برقم ( 2500 ). والثالث اليمني ( ابو براء العدني ) برقم ( 2000 ). والرابع , والخامس , وoooooooooooooooooooo. من المحيط الى الخليج .

ذهبنا انا وراضي لنكتب اسم (وهران) عروس قطاع 20. وقبل ان نخط أسمها على الحائط فتشنا عن أسم القاتل فظهر أنه ( ابو حفصة الجزائري )، لكنه لم يأخذ وهران لوحدها بل أخذ معه عريسها وأهلها جميعا. ولم يبق منهم سوى أختها ( جميلة ) التي دخلت في غيبوبة. فكان لابد من خط اسمائهم على الجدار. ونجح ابو حفصة ايضا في رفع جميع العرسان البالغ عددهم ( 79 ) ومعهم جوقة المغنين والراقصين في المنصة وما يحيط بها. انتبه راضي الى شيء كان غائبا عن بالي . جرتني اليه. سألتني ان كنت أفكر بما يفكر فيه في تلك اللحظة، فقد وجد جسرا يربط القاتل بالضحية. يربط وهران بأبي حفصة الجزائري.

يتفلسف راضي سلمان في احلك الظروف. ترك بقية الجدار وظل مسمرا امام ( ابو حفصة الجزائري ). سألته بماذا تفكر؟ قال ان لديه شعور قوي بأن ابو حفصة يعرف وهران، وانه أحد تلاميذ والدها المعلم فليح الساعدي الذي اعار خدماته الى الجزائر. وانه زميل لها في المدرسة الابتدائية ويجلس معها في نفس الصف . ( سوف أتحرى عنه. ان البشر يميلون الى اللقاء بطرق مختلفة).

## 5 - العرس المدرع لجميلة الساعدي

على أثر العرس الدامي لم يبق من بيت المعلم فليح الساعدي سوى بنت واحدة هي ( جميلة ) ومن بيت مناتي لم يبق سوى الأبن الأخير (جاسم ) . لم يبق من هذين البيتين سوى ذكر واحد وانثى واحدة ، بعد ان ارسلت أنف أبن مياسة نصفهم الى زنازين الامن العامة، وتكفل ابو حفصة الجزائري في شطب النصف الثاني منهم. كان لابد من الاستعجال في تزويجهم قبل انقراض البيتين وضياح اسميهما، فالمفخخات والمنتحرون أصبحوا جزءا من الحياة اليومية. جرى العرس وسط اجراءات أمنية غير مسبوقة. وتكفلت شرطة مكافحة الارهاب والشرطة الاتحادية بالاشراف المباشر على البرنامج المؤلف من فقرة واحدة هي الزفة، حيث سيخرج العريس (جاسم) من بيته مرتديا بدلة عسكرية وخوذة فولاذية وصدرية مضادة للرصاص، ليجد عربة مدرعة مع فوج آلي يرافقه الى بيت ( جميلة ) العروسة التي ستنتظره ببذلة زفاف خاكية مرقطة مضادة للرصاص. كلفت وزارة الأسكان والتعمير بأنشاء غرفة خاصة للعرس في ساحة وسطية في قطاع 20 بمدينة القاسمية. حفرت شركة المقاولات حفرة عميقة مربعة الشكل أبعادها عشرة في عشرة متر وبعمق خمسة امتار، وشيد بداخلها ملجأ كونيكرتي مغلق بجدران ذات سمك متر ونصف وبسقف سمكه مترين. أهيل التراب فوق الملجأ ودفن تماما، فلم يبق منه سوى فتحة صغيرة للتهوية، ومدخل مختزل يمكن النزول اليه عبر سلم من ثمان درجات. وضع داخل هذا الوعاء الكونيكرتي المحكم المستلزمات الاساسية اللازمة للبقاء تسعة شهور في اقل تقدير: سرير للعرس، وحمام، وركن للطهي. لم يكن هناك كراس ولا رقص ولا غناء. نزلت (جميلة ) الى مخدعها الكونيكرتي وهي تمسك بيد (جاسم ). هبطا السلم وانحنيا لكي يمرا عبر فتحة الباب. ثم سد اربعة من الجنود الفتحة وراءهما، وتمنوا لهما زواجا سعيدا مكللا بالرفاه والبنين. قطعت جميع الطرق المؤدية للملجأ. وضعت حواجز كونيكرتية ( صبات). ونشرت وزارة الداخلية لواءا ثابتا حول الملج، سوف يعسكر اكثر من تسعة شهور، ولن ينسحب الا بعد خروج جاسم وجميلة وهما يحملان مخلوقا جديدا. وحين انتهت مراسيم العرس عدنا انا وراضي الى الباص، وتناولنا ما تيسر من خمرة. شربنا بأفراط كي نحتمل غياب الرقص والزغاريد وطغيان السواد.

(لا تحزن، لم يعد الرقص هو الهدف) قال لي راضي كي يبغي جذوة الخمر مشتعلة، ثم أضاف :

(لقد تم فصل الرقص عن العرس. اصبح العرس هو النكاح. أنه أمر طبيعي يا صديقي. لابد  
أن نعيش أولا ثم نرقص)

★ ★ ★ ★ ★



## ستوديو جليل

في احدى زياراتي لاهلي في بغداد حرصت على اصطحاب (خضر قلي): شريكي في الغربية، وصديقي لما تبقى من العمر. كنت اريد ان يرى بعينه مفردات العالم الذي خرجت منه، وملأت بها ليالينا الطويلة في المنفى. كنت اريده ان يصبح شريكا في الذاكرة ايضا. ان يرى بعينه كل الوجوه التي رسمتها في مخيلته. ويسير في ذات الدروب، ويدخل في نفس الوجوه التي طالما حدثته عنها. كنت اريد ان اغرز جذوري فيه كي نقرب الى ادنى حد. سحبت من مدينته (كربلاء)، ودخلنا الى تاريخ (القاسمية) من اوسع ابوابه: ستوديو جليل، ذاكرة (القاسمية). سجلت عدسته أبرز الوجوه والحوادث التي شهدتها المدينة.

\*\*\*

صورة لوجه (ابو ربيعة) الأعمى تقوده أبنته، وهو المخرج والمنتج للعرض المسرحي السنوي لواقعة كربلاء (التشابه) في عاشوراء. صور متفرقة لمعسكر الحسين: ابو عبد الله الحسين (نائب ضابط سعد الموسوي)، ابو الفضل العباس (وليد ساجت الحلاق)، علي الاكبر (قاسم النوري)، القاسم ابن الحسن (صباح مهودر)، الحر الرياحي (كاظم ابن منديل)، وهب النصراني (عبد شنين)، زينب اخت الحسين (منقبة وملفحة بالسواد، ولا يرى منها سوى حذاء رجالي اسود من احذية الشرطة العراقية، يمثل دورها نعيم ابن جريخ)، والامام العليل (سهيل فندي). صور لقادة جيش عبيد الله بن زياد: شمر بن ذي الجوشن (ستار ضيدان)، حرملة (عريد ابن جبرية)، الحصين (شامل الكبيجي).

\*\*\*

صور عديدة لمقهى (ابو عكش) ورواده. صورة لفيصل البيضاني وهو يحمل هرما من اقداح الشاي ليوزعها على الجالسين. صورة لحلقة المقامرين والعاطلين عن العمل. وأشهر الهاربين من الجيش. وصور المطاردين لهم (الانضباطية). وصورة لعلي الطليباوي (عليوي السري) مسؤول الرصد (الانذار المبكر) والتبليغ عن غارات الشرطة او الانضباط العسكري.

\*\*\*

صورة لحמיד مزبان، اشهر هارب ( فرار) من العسكرية في مدينة (القاسمية ) وربما في العالم اجمع. يسمونه (صديق الرئيس) وهو لقب يطلق في المدينة على كل من يهرب من الحرب ثلاث معارك فما فوق. اهمية الصورة تكمن في انها الصورة الوحيدة التي يظهر فيها حميد بالملابس العسكرية. تطوع حميد للجيش في عام 1975. بعد ان انهى الدورة التدريبية في معسكر المحاويل، ارسل الى الشمال لمحاربة البيشمركة الكرد. قبل ان يكمل اسبوعه الرابع هرب، ولم يلتحق بوحدة حتى عام 1980. في الحروب الثلاثة التي وقعت بين 1980- 2003 جمع المراقبون خدمته الفعلية فكانت 62 يوما فقط، بينما خدم اقرانه اربعة عشر عاما. فاذا اضيف لها الاسابيع الاربع يكون مجموع خدمته العسكرية طوال حياته هي 90 يوما فقط لاغير. بقي حميد هاربا حتى دخول الجيش الأمريكي بغداد، وتعيين (بول بريمر) حاكما مدنيا على العراق، الذي اتخذ اول قرار له بالغاء الجيش العراقي وتسريح جميع افراده. بعد ان تأكد لحמיד مزبان تماما ان الجيش قد حل ولم يعد له وجود، ركب تكسي وذهب لمقابلة بول بريمر حاملا معه دفتر الخدمة، وسجل ( الكنية )، وجدول الضبط ، ومجالس الغياب العسكرية. ولكي يفهم السيد بريمر ما يقوله تطلب وجود اثنين من المترجمين. حسب بريمر معه مدة هروبه، فوجدوها 27 عاما منقوص منها 90 يوما فقط اي ( 26) عاما وتسعة شهور بالتمام والكمال، قضاها جميعا وهو هارب (فرار). اعتبرت له خدمة مضاعفة لأغراض التقاعد والعلاوة. ومنح رتبة كولونيل شرفية.

\*\*\*

يحتفظ جليل بصور لأقدم مؤسسة رياضية في الحي وهو فريق الكرة. نعث على صورة نادرة ل(هاني حسن الرماحي) مؤسس الفريق والى جانبه مساعده (خضير طابور). صورة للتشكيلة الذهبية التي هزمت الكرخ، واحرزت كأس السفن آب. صور متفرقة للاعبين الفريق منذ تأسيسه: الأخوين كاظم وحسن شنشول، الأخوين حنون وفاضل مشكور، الأخوين طارق وحسن حنيص، هاشم ابو العضلات، الاخوين حياوي وشاوي، الاخوين راضي وخضير حسن، كاظم وعل، حسين لعيني، مهدي جاسم، وحيد حسن، فرحان مهدي، حسين جبر، شلاكة، نعيم ابو زلوف، وعبدالنبي رزيق. صور من زوايا مختلفة لباص الخشب ( باص ابو راضي ) وهي تحمل الفريق وجمهوره الذاهب لخوض المباراة الحاسمة مع الكرخ على كأس السفن آب. صور جليل اللحظات الهامة في المباراة. لم تنته المباراة بصافرة الحكم، بل بمسدس درعم ابن راهي. كان فريق (القاسمية ) متقدما على الكرخ 3-1 ولم يبق الا عشر دقائق. المعروف ان الكرخيين اذا خسروا مباراة بكرة القدم فانهم يحاولون ان يكسبوها بالأيدي. وقد تحقق لهم ذلك حينما رفس احدهم الحارس (شلاكة) فاغمي عليه، وحدث الاشتباك بالايدي. هجم جمهور الكرخ علينا، وكادوا أن يسيروا على بطوننا ويهزموننا 11- صفر لولا العيارات النارية الثلاثة لدرعم الراهي في الهواء. تبخر جمهور الكرخ خلال ثوان فوجدنا فرصة للهرب والنجاة بجلودنا.

\*\*\*

يحتفظ جليل بصورة لأقدم شيوعي في القاسمية وهو فرحان نجم ( ابو لينا ) الذي لم يعد له وجود، هرب الى اليمن اثناء الحملة الثانية التي شنّها حزب البعث على الشيوعيين عام 1978 وضاعت اخباره. في الصورة يظهر ابو لينا مبتسماً، يرقص رقصة (البلايكا) الروسية وهو يرتدي معطف (ليونيد بريجنيف) الذي وصل اخيراً الى سوق الملابس المستعملة (البنكة) في الباب الشرقي. لقد انتظر ابو لينا هذا المعطف سنيناً طويلة، وحين وصل فان اول شيء فعله هو ارتدائه و التقاط صورة في ستوديو جليل.

\*\*\*

صورة للبرج الشبقي الذي شيد بنجاح فوق العضو التناسلي لفتاح شرقي. في الصورة يقف المعمار (الاسطة) زيدان خلف الى جانب البرج الذي وصل الى علو (60) طابوقة، والى جواره استاذ الفيزياء حاتم بديوي المشرف على اختبار الجوع الجنسي. للمزيد راجع نص ( مختبر القاسمية )- فقرة: قياس الضغط الجنسي.

\*\*\*

صورة نادرة لجبر عطوي مع طيوره. في هذه الصورة وصل جليل الى ذروة تألقه كمصور فوتوغرافي. اذ تمكن ان ينتزع الابتسامة من 300 طير وهم يحيطون بمربيهم. للمزيد راجع نص ( متواليه عطوي )، فقرة : الطيور.

\*\*\*

صورة لمفوض الشرطة (جبار كنيكر) الذي يقترن اسمه بمحاربة الظواهر الشبابية الجديدة. الحق يقال انه كشرطي لم يكن غير منفذ للاوامر الصادرة من محافظ بغداد الحاج خيرالله طلفاح (خال الرئيس). صعد نجم كنيكر مع انتشار ظاهرة الزلوف التي فجرها الفيس برسلي. كان كنيكر يدور بمقصه في الشوارع يرافقه شرطيان، ثم انتقل الى مداهمة المقاهي وساحات الكرة. اول ضحية له كانت (نعيم أبو زلوف). حين اقترب كنيكر هرب جميع الشبان ماعدا نعيم، ظل واقفاً في مكانه يحتضن كتاب التاريخ، وقد انتهى قبل قليل من حفظ قصة عبدالله ابن الزبير ومرور الخليفة عمر بن الخطاب به وهو يلعب، ففر الصبيان ماعدا ابن الزبير بقي واقفاً، فقال له عمر: مالك لم تفر معهم؟ فقال ابن الزبير: لم اجرم فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك. لقد حدث في قطاع 20 - القاسمية، في ذلك اليوم شيء يشبه ما حدث في المدينة المنورة قبل اربعة عشر قرناً. لم يتحرك نعيم من مكانه. فسأله مفوض الشرطة: (لماذا لم تهرب؟). أجاب نعيم: ( لم أجرم فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك)، فقال له المفوض: ولكن زلوفك يانعيم ممنوعة رسمياً، وتمنعني من المرور دون بترها. عندئذ طأطأ نعيم رأسه، وسلم زلفيه بكل

طواعية الى ممثل الشرطة المحلية. بتره كنيكر من الجانبين ووضع الزلفين في كفه. اوصاه ان ينقعهم ويشرب ماءهم. لكن موضحة الزلوف لم تعمر طويلا، اذ سرعان ما ظهرت فرقة البيتلز (الخنافس) وجلب ظهورها موضحة الشعر الطويل الذي يغطي الاذنين والجبين، ويجعل من الصعب التفريق بين البنت والولد. يحتفظ جليل بصور عديدة لطلبة المدارس الذين تلاقفوا الظاهرة وقلدوها على الفور. كان منظر الخنافس استفزازيا للحاج خيرالله طلفاح، فخرج بنفسه الى الشوارع. ودخل الجامعات لحز الرؤوس. في القاسمية احتاج كنيكر الى مقص أكبر مع آلة للشحد ( مبرة) وعدد اكبر من أفراد الشرطة لبتز هذه الظاهرة.

\*\*\*

صور اسواق المدينة بكافة اكواعها وصرائفها وذبابها أيضا: بائعات الخضار من ام غايب، الى ام نورية. صورة لجسومة ام السمك، وابوعبد القماش، ابو صباح الكبيجي، حسين ابو العمبة، دهش ابو البايסקلات، مكوى الازبكي، وزكية ام التمر، وعربة فاهم الجميلي ابو الشربت، دكان جمعية ام قاسم، ام مطر بائعة العظام الى جانب سلتها المكشوفة ومقشة الذباب بيدها، عباس الحلاق.

\*\*\*

صور لنا جليل نائب الضابط عبدالله ( ابو نجم ) رئيس عرفاء الأعاشة لمعسكر الرشيد، واقفا يحمل عصا للتبختر في مركز المدينة، الى جانب سيارة (الزبل) العسكرية، حيث يشرف على توزيع صمون الجيش على فقراء المدينة. منذ عشرة أعوام يقوم ابو نجم بهذا العمل التطوعي في نهاية كل أسبوع، وبشكل دقيق ومنتظم يليق بوظيفته. يجمع مايتبقى من صمون الجيش في جميع وحدات معسكر الرشيد وينقله الى جياع المدينة بدل رميه في المزابل.

\*\*\*

صورة لشفيقة المنجنيقة وبناتها السبع. وصور للفاترينة التي تحتفظ فيها باسلااب النساء اللواتي هزمن على يديها . للمزيد راجع نص : شفيقة المنجنيقة .

\*\*\*

صورة لجبار موحى في عرسه، الذي سكر أكثر من اللازم، فحمل بين ذراعيه مغنية الحفل الغجرية الحسنة (شكرية خليل)، وراح يطوف بها على الحاضرين، ثم هرول بها الى داخل البيت باحثا عن غرفة ليختلي بها، لولا صراخ اخواته وأخوات العروسة وتوسلات أخوته.

\*\*\*

صورة للمطرب سيد محمد النوري وهو يغني في مقهى ابو عكش.  
\*\*\*

صورة للاشقياء الثلاث : كاظم ابو الفدوة، وعمار ابو الخيو، و طالب ابو فانوس (تم تصفيتهم لاحقا على يد جهاز حنين). صورة لعصابة حافات المياه. صورة للنشالين: كريم شويكر وصبيح نشمية. صورة للحشاش (مشاي عودة) أثناء صعوده الى السماء على متن سحابة من الدخان الابيض تخرج من أنفه.

\*\*\*

وهناك صورة لقدور عاشوراء يخوط فيها أربعة من شبان المدينة. الملفت للنظر في هذه الصورة انهم جميعا وقعوا اسرى خلال الحرب مع إيران وهم : علي شناوة ( ابو نبيل)، وهاشم ابو العضلات، وسيد باقر الياسري، وقاسم نجم.

\*\*\*

صورة تجمع الهيبين الثلاث: محمد ديجان، وصباح ابو الكراتيه، وكريم جرموزة. يظهر الثلاثة برؤوس حليقة (نمرة صفر) وسروايل وبلوزات طويلة وفضفاضة، اساور وخيوط وشرائط حول المعصم، وقلائد من فضة، وبقول وشفرات حلاقة تتدلى من الأعناق، وسلاسل تخرج من فتحات عديدة في الملابس. الثلاثة لم يعد لهم وجود. من كراج النقلات في (علاوي الحلة) استقلوا الحافلة الذاهبة الى اسطنبول ( شركة نقلات الاقتصاد عبر الصحراء). السعر عشرة دنانير. الانطلاق من الكرخ مقابل بناية المتحف العراقي. ومن اسطنبول ركبوا قاربا الى اليونان وانقطعت أخبارهم.

\*\*\*

وقف جليل فوق إحدى السطوح وسجل بعدسته ذروة الاشتباك في عركة بيت راهي مع المعدان، حيث يبدو منظر العصي والدماء و الفزع في العيون. يظهر في الصورة ميدان الرجال باللون الابيض، وميدان النساء باللون الأسود.

\*\*\*

اصيب سبتي (خال راضي) بداء الثعلب فسقط نصف شاربه. فاستعان بيشماغ ( غترة ) ليغطي وجهه بحيث لا يظهر منه سوى العينين فقط، فأصبح منظره أشبه بقاطع طريق. طلب من جليل ان يلتقط له صورة ليرسلها بالبريد الى طبيب جلدية اجني في بيروت. جليل: (كيف التقط لك صورة يا سبتي وانت بهذا النقاب. كيف يراك الطبيب؟) سبتي: ( اكتب له على الصورة اني لا أجرو ان انظر في وجهي، قل له انني أسير في الشوارع هكذا، أكتب له اني لم اعد افتح فمي لاتكلم، وانتظر لقبا يضاف الى أسمي، أكتب له يا جليل).

صرف سبتي الكثير من المال على الاطباء لأستعادة شاربه دون جدوى. في النهاية لجأ الى سيد عاتي السحار، الذي نصحه بقتل جردز وتجفيفه ثم طحنه وخلطه بالزيت ودهن المنطقة المعطوبة. بعد أسبوعين من دهن الجرذ المهروس استعاد سبتي شاربه. واول شيء فعله هو رمي الغترة في الهواء و تسجيل لقطة فوتوغرافية في ستوديو جليل لأسعد لحظة في حياته.

\*\*\*

ألتقطت عدسة جليل صورة موحدة لأشهر مجنونين طليقيين في المدينة وهما (ملوز) و(موات) بتشديد الواو في كليهما.

\*\*\*

لم يفلت من عدسة جليل أكبر عرس عاشته المدينة وهو عرس بيت دواي. صورة ل (خصاف العبد ) وهو يضيء العرس بكتفيه. مسك (أبن منديل ) طبلته الصغيرة بحجم راحة اليد ( الزنبور). أطفئت جميع مصابيح العرس وتم ربط كتفي خصاف بسلكين نحاسيين الى مصباح كهربائي. بدأ ابن منديل يدق على زنبوره فراح خصاف يرفف كتفيه. شارك الحاضرون بصيحات الحماس، وتعالى التصفيق فاشتد الرجف حتى أشتعل المصباح واضاء دائرة العرس. تصاعدت نشوة خصاف ودخل في سكر غامض فراح يصعد وينزل ويتحكم بالظلام وبالضيء في العرس. صورة لفرقة الغجر ( حمدية صالح وبناتها ). وصورة ل (فليفل ) وهو يكسر طبله الفخار برأسه، وصورة ل ( بوسي ) بعد ان شرب زجاجة خمر (عرق) كاملة وهو يسير على الصراط المستقيم ( جدار السطوح المبني من طابوقة واحدة ). وصورة مؤلمة وتهز الوجدان ل ( فخري الجابي ) مطرب مصلحة نقل الركاب، في لحظة انهيار شرفة بيت دواي المزدهمة بالنساء. عنصر المأساة هنا لا يتمثل في كسر عظم الترقوة للمطرب، ولكن ضياع الفرصة الوحيدة التي سمح له فيها بالغناء في عرس. كان فخري يعمل محصل ( جابي ) على خط (97) الذي يربط القاسمية بباب المعظم، وكان لثلاثين عاما يغني في الحافلة فقط ، لا يتوقف الا عند توقف الباص وصعود الركاب ثم يستأنف الغناء في الفترة الفاصلة بين محطتين .

\*\*\*

بعد سقوط نظام صدام عام 2003 اختفت الكثير من الممنوعات في شوارع البلاد ومنها (ممنوع التصوير). أصبح جليل قريبا من تحقيق الامنيات الفوتوغرافية المخزونة بباله. اول شيء فعله هو صعوده الى أعلى قمة في المدينة: خزان الماء التابع لبلدية العاصمة. ركب عدسة مكبرة (زوم) والتقط صور لمدينة (القاسمية) بشوارعها ودرايينها وساحاتها وسوقها وسطوحها. نزل الى الارض وهو يحمل صورة للمدينة من ذلك العلو الشاهق مخزونة في كاميرته. لم تسنح الفرصة في وقتها لتحميض الصورة ورؤيتها فقد توفي والده بعد يوم واحد من نزوله. ذهبنا جميعا لنواسيه ونرافقه في رحلته الى مقبرة النجف. وجدناه حاملا كاميرته، مشغولا بتسجيل تفاصيل ذلك اليوم. يعرف جليل بالغريزة الفوتوغرافية انه الشخص الوحيد الذي ينبغي ان يظل يقظا بعينين مفتوحتين. لا ينسى دوره في اصعب الظروف. ترك اخوته يحملون النعش. تراجع الى الورا، وراح يلتقط لهم صورة وهم في ذروة الفاجعة. وقبل ان تتحرك السيارة التي تحمل نعش أبيه وقف فوق سطحها والتقط صورة للمشيعين. وحين انطلقت جلس في مؤخرتها دون ان تفارقه الكاميرة. أزاح الستارة عن النافذة، وراح يصور جميع الوجوه والأيدي التي تلوح لأبيه، وهو في طريقه الى مثواه الأخير في مقبرة النجف. حين انتهينا من الدفن التقط جليل لنا صورا عديدة، ثم تركنا ليصعد الى اعلى طابق في فندق (النخلة) المطل على المقبرة ( وادي السلام)، ومن احدى شرفاته التقط صورة شاملة للمقبرة. بعد مرور اسبوع على دفن ابيه عاد جليل الى ورشته الفوتوغرافية. وجد الوقت قد حان لتحميض الصورتين: صورة مدينة القاسمية المأخوذة من قمة خزان البلدية، وصورة مقبرة النجف المأخوذة من اعلى طابق في (فندق النخلة). وضع الصورتين الى جانب بعضهما في فاترينة الستوديو الذي يملكه في المدينة، بعد ان كبرهما الى حجم A3 دون ان يضع اية اشارة دالة او كلمة للتعريف، شيء يشبه لغزا للناظرين. لقد اوشكت جولتنا انا وصديقي الكربلائي ( خضر قلي) في ستوديو جليل على الانتهاء. سحبته ليقف امام الصورتين، وسألته ان يحل هذا اللغز. لم يتوصل الى الحل، فقد ظن انهما صورتان من الجو لمدينة القاسمية. طلبت منه ان يدقق في الصورتين، وهمست باذنه كلمة واحدة. ارتعب صديقي من هول المفاجأة، فقد وجد تطابقا مرعبا بين المدينة والمقبرة، كأنهما صورة لمكان واحد.

\*\*\*\*\*

## مختبر حاتم بديوي

في ثانوية القاسمية للبنين لم يكن لدينا مختبر للفيزياء. وبعد ان عجزت المخاطبات التي اجراها مدرسنا (حاتم بديوي ) مع وزارة التربية، قرر ان يجعل من المدينة وأهلها مختبرا لتوضيح الظواهر الطبيعية. وكما التقيت ب (راضي سلمان )، شريكي مدى الحياة، في الخواطر والتأملات، وشريكي في المقعد الدراسي نستعيد تلك التجارب التي شهدناها سوية. ونستحضر كلمة استاذنا عن الفهم الحيوي: (الفيزياء قائمة على التجريب والمشاهدة. الحواس (وليس الكتاب) هي التي تلعب الدور الاساس في الفهم الحيوي للظواهر الطبيعية. فلكي نحقق هذا النوع من الفهم ينبغي مشاهدة الظاهرة، ولمسها، وشمها، واذا كان بالامكان تذوقها. الورقة لا تحوي كل هذا. وفوق ذلك فهي سكونية و ذات بعدين فقط ). فيما يلي صورا من التجارب التي اجراها الاستاذ حاتم بديوي في مختبره المفتوح على المدينة كلها.

\*\*\*

### ظاهرة التنافذ

لكي نفهم ظاهرة التنافذ اخذنا الاستاذ حاتم بديوي الى قهوة (ابو عكش ). كان عدد الحاضرين من شعبتنا في ذلك الدرس العملي يبلغ عشرين طالبا توزعوا على اريكتين. طلب منا استاذنا ان نراقب الصديقين اللدودين (سعود) و (حطاب ) وهما يلعبان الطاولة. منذ ربع قرن وهما عاطلان عن العمل. يقضيان النهار بطوله متقابلين تفصل بينهما طاولة عرضها (70) سم، كلما انتهت جولة (دست) انتقلوا لآخرى. جولة تجر جولة بلا انقطاع. المشهد يتكرر بحذافيه يوميا. يبدأ اللعب في الساعة التاسعة صباحا بجذعين مستقيمين وفي نهاية النهار ينحنيان بما يشبه الركوع ويرتطم الرأسان. في اول النهار تكون المسافة التي تفصل بين رأسيهما تساوي عرض الطاولة ( 70 ) سم. بمرور الوقت يدب فيهما التراخي، ينحني الظهر ويقترب الرأس من الرأس بشكل مضطرد حتى تلتقي الجبهة بالجبهة في منتصف المسافة بينهما. ينبغي الاشارة الى موضوعة الشعر في تلك الحقبة والتي تسمى (النغرو). يمكن تخيل غابة كروية من الشعر المدب موزعة بشكل عشوائي ومدهونة



بالجل ماركة (لاهور) وهو الغذاء المفضل للقمل. هذه التقليدية تسمح لمقدمة الشعر (البكلة) لسعود بالالتقاء ببكلة خطاب بوقت مبكر. هنا بدأ الاستاذ حاتم بديوي بشرح ظاهرة التنافذ. موضحا ان التقاء الجبهتين (البكلتين) يسمح للقمل بالانتقال من الاكثر تركيزا الى الاقل تركيزا. سوف يتدخل الاستاذ حاتم ليغير قليلا في الطقس المعتاد في مقهى ابو عكش. فقبل ان يبدأ اللعب سوف يحضر ماء ساخنا وطشتا. وسيضع رأس سعود في الطشت ويأمرنا بغسله وشطفه وتجفيفه جيدا، بينما سيسمح لخطاب بالاحتفاظ بشعره مع كافة محتوياته من الشحم (الجل) والقمل والاوزاخ المتراكمة لأسبوع على الاقل. تم انتداب راجحة (ام نعيم) لاحصاء القمل المتجحف في فروة خطاب، يسمونه في المدينة (فلي) الشعر. كانت (ام نعيم) امينة ودقيقة في تنفيذ مهمتها لكنها كانت تجاهد في كبت رغبتها في قصع (قتل) كل قملة تعثر عليها. اخبرها الاستاذ ان وظيفتها حاليا هي الاحصاء فقط، وطلب منها ان تبصر حتى نهاية الاختبار. كان واجبا نحن الطلبة هو ملاحقة الارقام التي تخرج من فم ام نعيم وتدوينها. وضعت رأس خطاب في حجرها وراحت تغوص في ثنايا فروته. وجدت ام نعيم في رأسه (150) قملة، تركتها مرغمة تترعرع وتلعب في رأسه. وللمزيد من التحوط طلب الاستاذ حاتم من شرهان ان لايحك رأسه او يلطم جبهته بكفه حين يخونه الحظ (الزار) اثناء اللعب، ان يضع نصب عينيه اننا في مختبر، ويتوجب عليه ضبط انفعالاته حتى لو تعرض لخسارة قاسية. وافق خطاب. لن يضرب جبهته، ولكن بشرط ان يسمح له بشتم مكة المكرمة بصوت عال، اي اطلاق شتيمته المفضلة (كس.. مكة) عندما يغدر به النرد (الزار). كان شرهان حتى ذلك الوقت يعتقد ان (مكة) هي امرأة. حاول الاستاذ تصحيح هذه الفكرة لكنه لم ينجح، واخيرا وافق على طلبه، وسمح له بتلفظ مايريد ولكن دون ان يهز رأسه حتى ينتهي الاختبار. في ذلك اليوم بدأ اللعب في الساعة العاشرة والنصف صباحا. دار ابو عكش اكثر من مرة على الحاضرين يوزع شايه وفضوله في معرفة ما يحدث في مقهاه. اكتضت المقهى بروادها الدائمين وطلبة الثانوية وترك اصحاب الحوانيت والدكاكين اعمالهم وصاروا يتابعون ما يحدث.. في الساعة الثانية ظهرا التقت الجبهتان (البكلتان) وطلب منهما الاستاذ مواصلة اللعب ساعة اخرى لأعطاء فرصة للقمل بالتنافذ. كنا انا وراضي نراقب تماس الرأسين ولم نقدر على شرب الشاي الذي قدم لنا بسبب ارقام القمل التي دونها في دفترنا. عندما حلت ساعة الفحص أمر الاستاذ بتوقف اللعب وسلم كل منهما رأسه الى راجحة وراحت (تفلي) تفتش عن القمل بهمة ونشوة فائقة، وكانت ترفع رأسها لنا في كل مرة تعثر فيها على قملة ومعها صوت انتشاء يخرج من بين اسنانها، فنقوم بتدوينها. تحولت راجحة ام نعيم في ذلك اليوم الى جهاز دقيق لخدمة الاغراض العلمية، وكانت سعيدة وهي تستقبل كلمات الاطراء من الاستاذ وبعض الحاضرين. في النهاية جاءت النتائج صاعقة تماما فقد انقسمت ال (150)

قملة على الرأسين بالتساوي. وجدنا في كل رأس ( 75 ) قملة بالتمام والكمال. وجاءت الخلاصة متطابقة مع الشرح النظري الذي قدمه لنا الاستاذ حاتم. انتقل القمل من رأس حطاب الى رأس سعود بظاهرة التنافذ.

\*\*\*

## قياس السرعة

### 1. سرعة الهروب

قام الاستاذ حاتم بقياس سرعة الهارين من الخدمة العسكرية في مدينة (القاسمية). اعتمد فكرة المباغثة والتلقائية لتحقيق الغرض. استعان بعلي الطليباوي (عليوي السري) المسؤول عن الأذار المبكر لأية غارة فجائية تقوم بها مفارز الانضباط العسكري عند البحث عن الهارين. طرح الاستاذ عليه فكرة التبليغ عن غارة مزيفة. حاول عليوي السري التملص ليحافظ على مصداقيته وتاريخه الخالي من اي بلاغ مزيف، لكن الاستاذ حاتم اقنعه ان الهدف العلمي يبرر مثل هذه التجاوزات. هنالك ساعتان اليكترونيتان للتوقيت: الاولى بيد الاستاذ حاتم والاخرى بيدي. وضعني الاستاذ في خط النهاية على بعد خطوات من البيت الذي سيلجأ اليه ( حميد مزبان ) الهارب الابدي، والذي لم تفلح كل محاولات الانضباط العسكري ومفارز الحزب في اصطياده. تبعد الساعتان بمسافة ( 200 ) متر عن بعضهما. سوف يتوجه الاستاذ حاتم الى حميد، يستوقفه قبيل خروجه من رأس الزقاق، يتظاهر بالسؤال عن احواله، عندئذ يبدأ عنصر المباغثة، ينادي عليوي السري: ( حميد اجوك): اي جاؤوا اليك، هذه الواو الممتدة تحتوي كل الاجهزة التي تبحث عن حميد. تحذير مختزل يحوي كل ما يجعل حياته سلسلة من الهرب الدائم. انها اشبه بحقنة من الطاقة الكامنة سوف تزرق في قدميه. لن يحتاج عليوي السري ان ينطق العبارة الكاملة: (حميد اهرب، جاءت المفارز الثلاث: الانضباط والداخلية والحزب، ليقبضوا عليك)، بل احيانا تكفي كلمة واحدة (حميد) لتوقظ غريزة الهرب. في تلك الايام اقسام وزير الداخلية (وديع الشخيلي) امام السيد الرئيس ان يخرج الجرذان (هكذا نعت الهارين) من جحورها، ويحولهم الى أسود بالقوة، والذي لا يلتحق بوحدته نادما، فسوف يطارده حتى لو لجأ الى جحر امه . وللايفاء بقسمه شكل وديع الشخيلي غرفة عمليات من ثلاثة اجهزة هي وزارة الداخلية، والانضباط العسكري، والحزب. زرع نقاط تفتيش لكل ( 500 ) متر. وحول ساحات الكرة الى ميدان لتنفيذ عقوبة الاعدام. وضع عليوي السري كفه مظلة حول فمه وهتف: ( حميد اجوووووووووووووووووووووووووووووووك)

سوف تقدح حوافر حميد مزبان ويخلف وراءه حفرة بعمق الفزغ، ودخانا بلون انسداد الافق، وسيغدو العالم صغيرا جدا بحجم زقاق ضيق، لا يعرف ان كان يكفي للأختباء، لكنه سيعدو، ينطلق فيه كسهم ناري، يحرق الهواء فيخرج شررا، يفتح خطواته على مصراعيها، مستقيما، محمما مثل فرس السباق في امثارها الاخيرة، وحيدا الى ابعد حد، لا يتلفت ولا يغير شعرة واحدة في مساره. لايهرب حميد من الموت، ذلك ان فرصة اعدامه وهو هارب اكبر من موته في الحرب، ولكنه يهرب من سجن خاكي سحيق في القدم، مكث فيه زمنا ولم يعد قادرا على العودة اليه، حتى ولو كلفه عمره. وفي اللحظة التي يجتاز فيها خط النهاية ( المئتي متر) ويدخل البيت سأكون بانتظاره. أضغط على الزر لأجمد الوقت. حين مر بي حميد رأيت برقاً يخطف الابصار، ورعدا اهتزت له اذني، رشقي صوت لهائه، وحممته، ولسانه المتهدل، واسنانه الصفير مثل ذئب تطارده الكلاب . شعرت بلسعة مروره فضغطت على زر ايقاف الساعة. ورأيتة يرفس بقدمه الباب الموصود ليختفي هناك . حسبنا السرعة بتقسيم المسافة (200) متر على الزمن الذي قطعه من لحظة سماعه النداء الى دخوله البيت . سجل حميد مزبان في ركضته زمنا قدره ( 19 ) ثانية، وهو افضل من رقم الامريكي تومي سميث ( 19,83 ) ثانية الذي سجله في اولمبياد مكسيكو 1968، بل وافضل من رقم كارل لويس ( 19,75 ) ثانية الذي سيحقق له الميدالية الذهبية في لوس انجليس 1984.

وصلت سرعة الهروب لحميد ( 38 ) كم بالساعة.

كان لابد ان نتوجه الى استاذنا ونسأله رأيه في تبليغ اللجنة الاولمبية العراقية عن هذه الارقام. لماذا لا يصار الى ترشيح حميد مزبان لتمثيلنا في اولمبياد سيئول؟ وبدل تحويله الى (أسد) معطل في خندق شقي كما يريد وديع الشخيلي، سوف يتحول الى بطل اولمبي يحصد الذهب والسمعة الطيبة في المحافل الدولية. لم يستخف الاستاذ حاتم من براءة احلامنا. لكنه نبهنا الى مسألة كانت غائبة عن البال: ( لم يكن حميد يركض بقدميه، بل بتاريخه وفزعه وغربته وانعدام اي خيار آخر امامه. حتى لوتجاوزت السلطة عن موقفه من العسكرية، فان ما حققه لا يمكن ان يتكرر الا بنفس الشروط التي انتجته. ان هذا الوضع استثنائي للغاية ولا يمكن صناعته او تقليده بتاتا). اعيدت التجربة وبنفس المواصفات على لاعب القمار المخضرم (جاسم لگو) الذي تلاحقه عادة مفارز الشرطة، فاعطت نتائج طيبة ايضا، ولكن بسرعة اقل. فقد بلغت سرعة هروب المقامر 25 كم في الساعة. لفت نظرنا هذا الانخفاض. فوجهنا سؤالا الى الأستاذ حاتم عن سر التفاوت بين سرعة حميد مزبان وجاسم لگو. اجاب: التفاوت يعود الى الفرق بين متانة مؤسستي الجيش والشرطة، من يلاحق حميد مزبان هم افراد الانضباط العسكري، وهم جزء من مؤسسة الجيش التي

ما زالت بعافيتها، صحيحة الجسم ولم يدب فيها الوهن والفساد، بينما الشرطة مؤسسة متفسخة، افرادها منهكون ومن السهل رشوتهم، ولا عبي القمار يعرفون ذلك جيدا، لذلك فأن درجة خوفهم أقل، وبالنتيجة تكون سرعتهم اقل.

\*\*\*

## 2. سرعة ايصال الشاي

شجعت هذه التجربة السيد ( ابو عكش ) صاحب المقهى على طلب قياس سرعة (كريم ابو الفيل) الصبي الذي يشتغل عنده. فقد شكا اصحاب المحلات تأخر وصول طلبات الشاي، بحيث يتعذر شربه بسبب برودته. كان علينا ان نراقب مسار ابو الفيل، ونحسب المسافة والزمن الذي يستغرقه. تجدر الاشارة ان (ابو الفيل) هو لقب اطلق عليه بسبب كبر حوضه. اظهرت عمليات الفحص ان سبب التأخير ليس البطء الناتج عن ضخامة الحوض، بل مروره الحتمي بورشة النجار (عبدالله العصعوص). سوف نضطر لكشف بعض الاسرار التي لا تدخل في نطاق البحث العلمي، فالعصعوص ليس اسما للعائلة، بل لقبا خلع عليه للاشارة الى ضالة جسمه . غير اننا، وفي سياق البحث العلمي، اكتشفنا ماهو مسكوت عنه في جسد النجار. بعد التقصي والمتابعة ظهر ان العصعوص يخفي تحت هذه الضالة المفرطة عضوا تناسليا بالغ الضخامة ولا يخطر ببال اعظم المنجمين . ويبدو ان كريم ابو الفيل بحسه الغريزي اكتشف الآلة القادرة على الولوج الى النفق المظلم الذي يثقل كاهله . سوف يحرص النجار على الجلوس في مقدمة ورشته بانتظار صبي المقهى، واضعا ساقا على ساق، مخفيا ثعبانا غليظا (عربيد) تحت ثيابه، ملتفا حول ساقيه وخاصرته قبل ان يخرج رأسه من فتحة القميص العلوية. وحين يفتح فمه يخرج منه لسان مشطور ومنخران يشم بهما من بعيد رائحة فريسته القادمة. يقترب صبي المقهى حاملا صينية الشاي، يجر وراءه عربة من اللحم المترهل. وبدل ان يواصل طريقه الى افواه الدكاكين التي تنتظر الشاي ينعطف يمينا. يجد كف النجار بأنتظاره. يسحب منه صينية الشاي ويضعها جانبا، ثم ياخذه الى زاوية بعيدة في عمق الورشة. دخلنا وراءه، وبقي استاذنا في الخارج. رأينا النجار يفتح ازرار قميصه ليسمح للثعبان بالخروج، زاحفا ببطء من بين اضلاعه، محركا لسانه المشطور، باحثا عن بوابة الجحر العميق الذي سيغور فيه ( جحر كريم ابو الفيل، وهل هناك غيره ). كان كريم قد برك على ركبتيه بانتظار دخول العصعوص في تجاويفه. رويدا رويدا يبتلع الجحر المظلم ذلك الثعبان حتى يصل الى منبعه. وفي لحظة عامرة بالبروق والرعود واللهاث و(الطحير) يطبق ابو الفيل جدرانه ليخنق الثعبان من عنقه، تاركا له خيارا واحدا للافلات هو رش الجدران بحامض اللبنيك المشبع بالافاعي المجهرية. حين خرجنا من الورشة وجدنا الاستاذ حاتم في وسط الشارع متمللا

من طول الانتظار، كان على وشك ان يدخل بنفسه ليعرف سر تأخرنا. وحين اخبرناه بما رأينا عاتبنا بلطف موضحا ان الاستغراق في التلصص الجنسي يخرج تجربتنا عن نطاق البحث العلمي ( كان بالامكان الاكتفاء بالحدس او الانصراف عند رؤية الثعبان بدل متابعة الخلوة حتى النهاية). اصبح من الصعب تبليغ صاحب المقهى بنتائج البحث. اكتفى الاستاذ حاتم بتنبيه ابو الفيل الى ضرورة ان يحل مشكلته الجنسية بطريقة لا تفقده عمله، بان يوصل الطلبات اولا ثم يذهب الى ورشة النجارة.

\*\*\*

### 3. سرعة الصوت

ولقياس سرعة الصوت اخرجنا الاستاذ حاتم من المدرسة وقادنا الى خيمة عزاء المرحوم ( مناتي الببطوطي). وضع بيدي ساعة التوقيت، و طلب مني ان اظل قريبا من (عبد الواحد الببطوطي)، الاخ الاكبر للمرحوم، والذي يتولى استقبال القادمين وصد صيحتهم (الثغبة). هنا ينبغي الوقوف زمنا كافيا لشرح هذه الظاهرة. ( الثغبة ): هي بكاء الرجل عند فقدان عزيز له، وتحدث دون خجل، وبنبرة اشهارعالية جدا. هي صوت الخسران الهادر. بركان عاطفي يكتمه القلب سنينا ولاينفجر الا برحيل اعز الناس. وهي خاصية شعب قديم عاجز عن القسوة. قد يكون من بقايا الواح الطين المطمورة في ارض الجنوب. هو الرجولة والانكسار. والضعف والقوة في وقت واحد. لاغربة ان يعتمد الاستاذ حاتم بديوي كمرجع لقياس سرعة الصوت. كلفني الاستاذ حاتم بمراقبة عبد الواحد في لحظة وصول الثغبة وارتطامها بصيوان الاذن. في هذه اللحظة علي ان اضغط على زر ايقاف الساعة. بعد ذلك اكون حرا في تأمل المشهد في ذروة صعود الوجد و(العبرة) التي ستخفق صاحبها خنقا حتى ينفجر مثل بركان من اللوعة. سوف اتابع عبد الواحد في نهوضه ودورانه المعذب حول نفسه، حاسر الرأس ويضرب بكفه على جبينه، متقدما صوب الثغيب ليصده بثغيب مماثل. فارس اعزل لايحمل سوى اللوعة والدمعة، يخرج الى الميدان ليبارز فارسا آخر يحمل ذات الاسلحة . ينادي كل منهما بأسم الآخر. لاخطيء اي منهما صاحبه. يعرف هويته قبل ان يراه، من ثغبته، من اهتزاز قلبه، من تهدجه، وانكساره، وبحة صوته، والشفرة المتبادلة. تكاثر القادمون في اليوم الثاني للعزاء مما سمح للاستاذ باجراء الاختبار لاكثر من مرة، غير انه لم يكن مرتاحا للنتائج بسبب قصر المسافة. وللمزيد من الدقة يتوجب ان يثغب احدهم من مسافة بعيدة، فكان على الاستاذ ان يتدخل بطريقة ما ليحقق الغرض، كأن يقطع طريق القادمين من مسافة ابعد. وقد حانت اللحظة المناسبة حين علم انهم بعثوا برقية الى (منشد ) الأخ الاصغر للمرحوم، والساكن في محافظة ميسان، يخبرونه ان اخاه الاكبر مناتي طريح الفراش ويتوجب حضوره. كان على استاذنا ان يربط

في اليوم الثالث قرب موقف باصات الخشب في (الغيارة) منتظرا وصوله، حيث تبلغ المسافة 360 مترا عن خيمة (جادر) العزاء. سوف يتلقفه عند نزوله من الباص، وسيسأله عن احواله، فيخرج منشد ورقة البرقية من جيبه ويضعها بيد الاستاذ. يفتحها فيجد فيها خمس كلمات:

(أحضر حالا، اخوك مناتي مريض).

عندئذ يستعد الاستاذ لأخباره بحقيقة الأمر: (لم يعد مناتي مريضا، لقد فات الأوان، كان بوده ان يراك قبل الرحيل، لكنك تأخرت يامنشد).

يعيد الاستاذ البرقية الى كف منشد، يأخذ بيده بعيدا عن زحام الباصات التي تحجب رؤية الشارع الممتد، ويشير الى خيمة بعيدة تقطع سير الطريق.

( خويه منشد، انت بطيت ( اي تأخرت ) . )

يتطلع منشد الى الخيمة بوجل وبعينين وفم مفتوح على (ثغبة) مكتومة بين الاضلاع. تنسدل ستارة على الوجه ، يتبدل لون النهار، يغمض عينيه ، يرفع البرقية، يعتصرها بقوة، فيلطم بها جبهته، ويرمي بعقاله، وغترته، يترك زبونه (العباءة ) تهبط من تحت ابطه الى الارض. علينا ان نتحرر كليا من سطوة هذه اللحظة ونتفرغ لتجربتنا. لقد حانت اللحظة. يتقوس اصبع الابهام. يستعد الاستاذ حاتم لضغط زر التوقيت منتظرا خروج الثغبة. الصوت الهادر يشق الفضاء الممتد بين موقف باصات الخشب وخيمة العزاء، مثل رمح يخترق تلك المسافة، يمر بالدكاكين وعربات الباعة وفرن الخبز، وجمع غفير من الآذان المترقبة :

(يا مناتي .. يا خوييه ... )

يامناتي ياخويه. الكتابة لاتصلح للمرة لوصف هذه اللوعة. لايمكن ان تكون الكتابة ناقلا لذلك الصوت الثاقب المعبأ بكل مايخزنه القلب من ضعف. من الافضل تركها عذراء صافية للذين رؤوها، او سمعوا الصوت فتزاحموا على بوابة الخيمة وهم يتهايمسون (وصل منشد). سمعت اخته ( بدرية ) الثغبة فخرجت من خيمة النساء وراحت تجري في الشارع معفرة من رأسها الى اخمص قدميها بالطين. اعترف بالعجز واقر بهذه الركة في نقل ما رأيت. لقد كنت امام لحظة خارج الكتابة. لحظة يجب ان تعاش لا ان تكتب. من فم منشد خرج رمح يحمل على متنه عويلا مرا بحجم سنين الفراق، احدث فزعا عند مروره بالوجوه التي هرعت لاستقباله، قبل ان يتلقفه اخوه (عبد الواحد) فيعرف صاحبه على الفور. يعيده اليه مضمخا بدم الاخوة وخلاصة الحب الدفين. كان واجبي الاول هو رصد

لحظة البوح القصوى وضغط الزر لكني وجدت نفسي امام جبل من الحنين يتفتت مرة واحدة، وتتساقط صخوره لترتطم بجميع الآذان والعيون والقلوب المحيطة. علي ان اتماسك كي لا تفلت مني تلك اللحظة الهامة التي تتوقف عليها سرعة الصوت، ان أوجل قدر المستطاع كل تلك الرطوبة الحية والاندفاع المر الذي تسرب الى جسدي. علي ان اوقف كل شيء لأسجل لحظة تلقي الرمح، لحظة وصول رأس الثغبة المدبب لاضغط زر الساعة، واتفرغ بعدها لتأمل ما تبقى من طوفان النواح. شعرت انني وضعت اصبعي على نقطة التقاء جرحين. تركت مركز النواح وانا احمل زمنا مجمدا في راحة يدي. وحين سلمت ساعة التوقيت الى استاذنا وجدته مستبشرا، فقد كانت تلك المرة هي افضل القراءات. وضع التوقيت الذي سجلته ساعته الى جانب توقيتي. حسبنا سرعة الصوت (بقسمة المسافة على الفرق الزمني)، فجاءت النتيجة مقارنة للرقم المثبت علميا، حيث بلغت 300 متر في الثانية.

\*\*\*

## قاعدة الاواني المستطرقة

تعتمد الاستاذ حاتم تاجيل شرح قاعدة الاواني المستطرقة الى شهر تشرين، حيث يسقط المطر. كان واثقا من غرق المدينة، وبذلك ستتوفر فرصة لشرح الظاهرة بشكل حي. يحمل الاستاذ شعورا ان (القاسمية) دائرة مغلقة، معزولة طوبوغرافيا عن كل ما حولها. هناك سدة ترابية تحيط بها، فتعمل على فصل المدينة عن العالم. وحين طلع علينا تشرين مطرت الدنيا يومين بلا انقطاع، فارتفع منسوب الماء ودخل المدرسة وقاعات الدرس حتى وصل الى عنق الاستاذ حاتم، فاضطر الى الجلوس على احدى المقاعد الطافية لكي يواصل التدريس. غرق ثلثي السبورة وبقي الثلث العلوي يحمل مخططا للاواني المستطرقة. ولاستكمال الجانب العملي سوف يأخذنا الاستاذ في جولة خارج المدرسة للتحقق من هذه الظاهرة. ولكي لا يشتتنا التيار طلب منا ربط المقاعد بالحبال ووضع بأيدينا عمودين خشبيين ليكونا مجدافين. كنا 24 طالبا موزعين على اثني عشر مقعدا مزدوجا عدا مقعد لاستاذنا. تحرك الصف العائم على صفحة الماء متوجها الى وسط المدينة. في الطريق اكتشفنا ان الماء بعثر المدينة وغير الكثير من المواقع. انتقل السوق مع كافة العربات والسلال من وسط المدينة الى خارجها. صعد الماء الى فرن الخبز فأطفأ ناره. رأينا جابر الحلاق واقفا على لوح خشبي يحمل بيده مرآة ومقص ومشط والى جانبه كرسي خشبي. لقد اصبح حلاقا متجولا تاركا تيار الماء يتحكم بمساره. جمع جليل المصور ارشيفه في خزانة خشبية وراح يطوف منتظرا هبوط الماء. توقفنا اضطراريا امام مكتبة (العباس بن الاحنف) لنساعد المتطوعين في نقل الكتب الى سطح المبنى، ثم واصلنا

مشوارنا. رأينا مقهى (ابوعكش ) مربوطة بالحبال الى منارة جامع المهدي. استقبلنا (كريم ابو الفيل) صبي المقهى وهو يحمل صينية الشاي بكلتا يديه فوق رأسه كي لا تبتل بالماء. رأينا ( باص ابو راضي) تتجول بحرية وقد امتلأت بالتلاميذ الصغار. كان الناس يسألوننا عن المواقع الجديدة لباعة الخضار وفرن الصمون ومصلحي المدافئ والفوانيس ودائرة النفوس والعيادة الشعبية. رغم حجم التبدل والصعوبات التي تواجه المدينة الغريقة الا اننا وجدنا الاستاذ حاتم مبتهجا بالمختبر الهائل الذي انفتح امامه. طلب منا ان نؤجل التفكير في المعاناة ونتفرغ لأهداف الجولة :

(اريدكم ان تروا كل مبنى في المدينة وعاءا لأستيعاب قدر من الماء: منارة جامع المهدي هي وعاء، ومقهى ابو عكش هو وعاء، وصالون حلاقة جابر، وستوديو جليل، والمكتبة، ومركز الشرطة، ومستشفى الجوادر، وسينما الرافدين، وساحة ابو وليد، وفرن فاضل للصمون، ومعمل ثلج العبيدي، وباص ابو راضي، وعمارة دواي ووووو. انها اوعية مختلفة في الشكل والحجم لكن مستوى الماء فيها واحد. هذه القاعدة تسري على كل وعاء في المدينة، وما الشوارع الا قنوات لتوزيع الماء الى هذه الاوعية. ولو كان للمدينة بنية تحتية ( شبكة مجاري ) لتعذر رؤية هذه الظاهرة. أكرر ان شكل الوعاء وحجمه لا يؤثر على مستوى الماء فيه. هذه هي قاعدة الاواني المستطرقة، التي لا تسمح بان يكون هناك سوى مستوى واحد للماء. واذا ذهبتم الى سوق مريدي او ساحة مظفر فسوف تجدون الماء بنفس المستوى ).

بقينا نطوف حتى وصلنا السدة الترابية التي تحيط بمدينتنا. واصل الاستاذ الدرس مشيرا الى معلومة لم تكن في البال. قال ان ثبات مستوى الماء واستمرارية الغرق كل هذه المدة هو مؤشر واضح لأنعزال المدينة عن العالم. لقد تحولت الى نظام متكامل للاواني المستطرقة، غير متصل بغيره، لا من فوق اليابسة ولا من تحتها. ولو احدثنا ثقبا في السدة الترابية فسوف يختل نظام مدينتنا، ذلك اننا سوف نتصل بنظام آخر واوان أخرى، فاما ان نزداد غرقا او يندفع ماؤنا ليغرق الآخرين. الهبت هذه الفرضية فضولنا. كان لابد من التأكد منها. طلب منا الاستاذ ان نربط مقاعدنا الى حجر (مرساة) ونستعد لتسلق السدة الترابية. لم يبق من النهار الا القليل. لكن الحماس والفضول كان اكبر من اي شيء، فنسينا الجوع و البرد والبلل والثياب الملتصقة على جلودنا. تسلقنا السدة وصعدنا على متنها ونظرنا من هناك الى الدنيا التي تحيط بنا، كانت دهشتنا خاتمة غير متوقعة لذلك اليوم، فقد كان العالم المحيط بمدينتنا يابسا، خاليا من الغرق، كأن السماء لم تمطر هناك. اين ذهب الماء؟ كانت الاواني المستطرقة حتى تلك اللحظة قاعدة من صنع الطبيعة، غير ان شيئا ما بدأ يتسلل الى الدرس. تركنا الاستاذ نواصل دهشتنا واشعل سيجارة، ووزع على



المدخنين فينا. قال ان الاجابة على السؤال هي خارج نطاق الفيزياء. وانهى الدرس عند هذه النقطة.

\*\*\*

## السقوط الحر

اختيرت عمارة الحاج ( دواي ) المؤلفة من اربع طوابق بديلا لبرج (بيزا) لأثبات نظرية (غاليلو) في السقوط الحر. وقد ذهلبا لحجم المشاركة في التجربة، فقد تطوع معظم اهالي الحي بعد ان علموا ان الهدف هو التحقق من ان الطبيعة لا تعترف بوجود فرق بين مخلوق وآخر. لم يتطلب التنفيذ سوى معدات بسيطة متوفرة محليا. اخرجت البطانيات وفرش النوم الاسفنجية وكومت فوق بعضها، فتشكل منها سريرا (فراش نوم ) يبلغ سمكه متر ونصف، اعد لأخماد الاجسام الساقطة وتوفير الأمان المطلوب. وضعنا المدرس ( راضي و انا) في اعلى العمارة. واسند الينا مهمة التأكد من انفلات الاجسام في وقت واحد بالضبط. علينا تهيئة اثنين من المتقدمين للاختبار كل مرة. سوف نساعدهما على الوقوف فوق حافة السياج في الطابق الاخير للعمارة، وتكون مهمتنا دفعهما بالاصبع. سوف نعد سوية من الواحد الى الثلاثة، ثم بلكزة واحدة في الظهر يفلتان ويسقطان الى الاسفل. في لحظة الهبوط الى السرير الاسفنجي سوف يكون التحقق من التزامن اوتوماتيكيا. فلغرض التأكد من وصولهما الى الاسفل في وقت واحد بالضبط (وهو لب التجربة) مرر الاستاذ عصا طويلة في احدى طبقات التل (السرير) الاسفنجي تخرج من الطرفين. وضع في كل طرف من العصا ابرة صغيرة وثبت فوقها بالون. ضبطت المسافة بين الابر والبالون ( بضعة ملمترات ) لتحقيق اكبر دقة في التجربة. وللمزيد من الوضوح شرح الاستاذ الفكرة للحاضرين.

(اذا لم يحصل التزامن(وصول الجسمين بوقت واحد)، كما يؤكد غاليلو، فسوف يحدث اختلاف يسمح لاحدى طرفي العصا بالصعود وثقب البالون. اما اذا وصلا بوقت واحد فان العصا سوف تخدم من طرفيها ويظل البالونان سليمين ).

وضع الاستاذ حاتم في السقطة الاولى بطل اسيا بالوزن الثقيل واقوى رجل في المدينة الملاك (اسماعيل خليل) مقابل (عبد الكريم النعيمي) مدرس الكيمياء في ثانويتنا المؤلف من عظم وجلد وهواء ونظارة طبية. الذي يمكن لثمرة ساقطة من نخلة ان تقتله اذا وقعت على رأسه. قبل النعيمي المشاركة لثقته بزميله الاستاذ حاتم، وايمانا برسالته العلمية. كانت النتيجة مذهلة للجمهور فقد وصل الملاك والمدرس في وقت واحد بالضبط. لقد كانت هذه اول تجربة لأثبات ان الطبيعة لا تعترف بقوة الجسم، ولا بقوة العقل، معيارا للتفاوت

بين البشر. ثم تقدم امام جامع المهدي السيد (عبد العزيز الدروازي ) مقابل (فريد النجم) عضو الحزب الشيوعي والملحد بشكل علني. وحققت التجربة نجاحا باهرا. ونزل (كريم ابو الفيل) مع نياكه المفضل (عبدالله العصعوص ) في وقت واحد بالضبط رغم الاختلاف الكبير في الوزن بينهما. وانتدب الاستاذ حاتم السيدة (فوزية ام الدرهم) وهي قوادة اشتراكية متقاعدة من منطقة الميدان، كانت معروفة بانها تقدم فتياتها باسعار رمزية لذوي الدخل المحدود، ومجانا للطلبة. في التجربة وضعها الاستاذ قبالة السيدة العلوية (سكينة الدروازي) زوجة امام الجامع. الهبت النتائج الحماس وتصاعدت حمى التسابق على الصعود الى السقوط. تحدث (رسمية ام قاسم) جميع الرجال الحاضرين. وهي ارملة تدير بقالية في سوق الكيابة ومن اشد المتحمسين للمساواة بين الرجل والمرأة. قبل جازها في السوق (ثابت العقيلي) التحدي، لا ليثبت لها العكس، بل ليسقط ولو لحظة واحدة معها على سرير واحد. كان يعبدها، وكان مستعدا ان يسقط معها حتى من جبل (حصاروست) لو ارادت. وسقط الحاج دواي بكل ثروته ونسائه الاربع ودكاكينه ومطحنه في نفس الوقت مع (عباس بيزة) الافقر في المدينة، والذي لا يملك سوى الثوب والنعل الذي يلبسه. كانت المفاجاة هي سقوط حصان السيدة مياسة مع كلبة (بيت منشد) في وقت واحد، ودجاجة نشمية مع قطة (بزونة) ام سمير. واثبتت التجربة عدم اعتراف الطبيعة بلون البشرة حين وصل الزنجي (خفاف العبد) في نفس الوقت مع (حامد ابو شحيمة) الشاب الاكثر بياضا في الحي. وشارك في التجربة (ابو كريم الصبي) لكي يطمئن ان الطبيعة لاتفرق بين صابئي ومسلم. وشاركت الضرائرالاربعة للحاج دواي في هذه التجربة بشكل دوري لاثبات بطلان افضلية ضرة على اخرى: سواء بالعمر، او الجمال، او النسب. وتقدم (ناصر فلك) احد ابرز الفاشلين دراسيا في الحي، حيث لبث في الابتدائية احد عشر سنة قبل ان يترك المدرسة نهائيا ليعمل حمالا في (علوة جميلة) للخضار. طلب منازلة الدكتور (طالب الربيعي) اخصائي الجملة العصبية في المدينة. ورغم ان الطبيب حضر للمشاهدة فقط، الا انه قبل المشاركة، وتجشم عناء الصعود والسقوط، وتلف بدلتة المكوية، ايمانا منه بالعلم واهدافه. كان واحدا من الايام التي لا تنسى في المدينة. غيرت التجربة الكثير من المعتقدات السائدة، واثبتت عمليا ان الطبيعة لا تعترف بالفروقات بين اهل الحي.

\*\*\*

## قياس الضغط الجنسي

قبل ان يبلغ سن الرشد اصيب (فتاح محمد) بشلل نصفي في وجهه يسمونه في العراق (الشرجي). لم تنفع كل المحاولات الطبية والخرافية في ازالة هذه المحنة عن وجهه. بعد هذه الاصابة اسقط اسم ابيه فاصبح (فتاح شرجي). الشرجي هو شلل العصب الوجهي

السابع، المسؤول عن كل التعابير التي يرسمها الوجه: شلل لغة ( ايماءات) الوجه، التي لا بد منها حين يتعذر الكلام، شلل الغمزة، والبسمة، والتقطبية، والدهشة، والنفور، والامتنان، والحسرة، واللوعة. كل هذا لم يعد ممكنا. العصب السابع مسؤول كذلك عن غدد الدمع واللعاب، وبموته صارتا تسقطان دون استئذان. حين تجمد النصف الايمن من وجهه تجمد جفنه وحاجبه. انحرف فمه حتى وصل الى اذنه. وتساقطت بعض الحروف من لسانه. هبط الحاجب الى الاسفل. وصغرت عينه اليمنى. واصبح من الصعب اغلاقها الا بعضلات الرقبة، فزادت الطين بلة. خلق هذا الوضع قبحا لا مفر منه. وشكلا يصعب اخفائه، ناهيك عن عرضه امام الناس. اما الضحك فاصبح مثيرا للفرح، فتوقف كليا عنه. منذ ذلك اليوم المشؤوم لم يعد العالم جميلا. لم يعد فتاح قادرا على تقديم نفسه امام البشر، وخصوصا الانثى، فاختار اصعب الحلول، وهو الصوم، والذهاب الى ابعد نقطة في العصامية. يتحدى (فتاح شرجي) الجميع بانه الاطول صياما(جنسيا) في المدينة، فهو لم يقذف في اليقظة حتى الآن رغم تجاوزه الثلاثين. العلة في كل هذا العذاب هو ارتباط الجنس عنده بالأخلاق. يؤمن فتاح ان عفة الرجل الصائم (وضمنيا كرامته) هو ان لا يفطر الا في فرج امرأة، وليس في اي موضع بديل. وان وجود عاهة او فقدان الرجل لعضو من اعضائه لا يبرر التنازل والقبول ببدائل مخزية (على حد تعبيره )، مثل الاستمناء. لقد اقسم بوجهه المحطم ان لا يقذف الا في مهبل امرأة، وبشرط ان تهواه كما يهواها. لم يعترف فتاح حتى الآن بالتبدل الذي طرأ على اطلالته. لم يستسلم تماما لتلك المصادفة الحقيرة. لازالت صورة الصبي المكتمل هي الصورة التي تحتل كيانه. هذه العصامية المفرطة كلفته الكثير. وغدت حياته عبارة عن اخيلة جنسية متواصلة وانتصاب دائم بلا تصريف. لم يتزوج، يريد فتاح ان يكون محبوبا قبل ان يكون زوجا. يريد امرأة تعشقه وتشتهيه. لا يريد ان يكون سترا ولا رجلا ولا أبا ولا بطيخ. يريد ان يكون معشوقا. لا يريد أن يطرق الابواب، بل يريد من تطرق بابيه وتقول له: احبك انت، واريدك انت، تعال اقبلك في فمك، تعال نام معي يا فتاح، انا اشتهيك.

قدمنا له ماتييسر لنا من البدائل عن فرج المرأة: حوض كريم ابو الفيل، راحات ايدينا، وضعنا اكفنا رهن اشارته لتعليمه الخطوة الاولى في الاستمناء. كنا مستعدين ان ندلك عضوه الذكري حتى تنفجر مرارته، ويخرج من سجنه. لم نعد نسميها العادة السرية بعد ان اصبحت واحدة من المع خصائصنا. وضعناه امام حمارة عطية. قدناه الى ثقب في خرابة ( مشيخي ) مدهون بالزيت ومؤطر بصورة فتاة عارية جميلة. رفض هذه العروض، وراح يعنفنا:

(هل تضاجعون الحمير والحيطان؟! الا تحترمون انفسكم؟!).

قال انه انه مستعد ان يموت جوعا على ان يضاجع حائط او حمارة، بل انه لايقبل حتى مضاجعة ابنة عطية اذا لم تحبه، وتقول له ذلك بنفسها، وتمد شفيتها اليه. وجد الاستاذ حاتم فيه نموذجا مثاليا لقياس الضغط (الجوع ) الجنسي. من الضروري هنا ان نعرف ان الضغط هو حاصل قسمة الوزن على المساحة، ويقاس بوحدة الباسكال ( Pascal ) التي تساوي الضغط الذي يسلطه وزن مقداره نيوتن واحد على مساحة مقدارها متر مربع واحد. تتلخص التجربة ببناء برج اساسه طابوقة ( قرميدة ) واحدة فقط . اما ارتفاع البرج وهو هدف التربة فسوف يقرره العضو التناسلي لفتاح شرجي. نكرر ان ارتفاع البرج ( عدد الطابوق ) يعتمد على قوة الانتصاب وهي دالة للجوع الجنسي. سوف نلح في شرح هذه الوضعية حتى تكون واضحة تماما. المطلوب هو الوصول الى اقصى درجات الانتصاب. سوف يستخدم الطابوق العراقي المثقب من جهتيه (الجمهوري )، والذي يحتوي على عشرة ثقوب وابعاده هي : ( 75 في 115 في 240 ) ملمتر. ولغير العراقيين نوضح : ان الطابوق هو وحدة البناء الرئيسية في العراق، ويقابل القرميد في الشام او الطوب في مصر مفردها (طوبه). تصنع الطابوقة من مادة الطين و يبلغ وزن الواحدة ( 400 ) غرام. سوف يقوم الاستاذ بجمع الثقوب الوسطية الثلاث في ثقب واحد ، لاول طابوقتين، لكي يسمح للعضو الذكري بالدخول والصعود، ومسك اساس البرج. وبذلك يكون العضو الذكري محورا يمكن للبرج المقترح ان يتحرك عليه بحرية صعودا ونزولا. المطلوب من فتاح ان ينبطح على ظهره ويخرج لنا عضوه التناسلي. كنا ننتظر تلك اللحظة لرؤية مخلوق صغير معذب لدواع اخلاقية او ايدولوجي، وتراودنا فكرة مشتركة انه سيرتمي بايدينا مستنجدا كي نحرره من السلطة الاخلاقية التي فرضها فتاح شرجي عليه. رأينا جرذا يتمطى ويتثائب كأنه خارج من كهف. ثم بدأ يأخذ شهيقا عميقا من الهواء الطلق. طلب منا الاستاذ ان نمسك به حتى يتسنى وضع الطابوقة الاولى فوقه والبدأ في بناء البرج. في الوضع الطبيعي سوف يتكئ البرج على الحوض، وفي لحظة الانتصاب يقوم فتاح برفع البرج المقرر تشييده، عندئذ سينفصل عن الحوض ليكون محمولا على العضو التناسلي لزم لا يقل عن اثنتين في كل رفعة. اصبح واضحا ان مايجري هو محاكاة لمنصة رفع الاثقال الاولمبية، وبصورة ادق محاكاة لرفعة الخطف، الفرق هو ان عدد المحاولات (الرفعات) في تجربتنا غير محدود. سوف يحرص الاستاذ على تثبيت الطابوقة الاولى بعناية وتغطية الوجه العلوي بالاسمنت، ثم يضع الطابوقة الثانية، وهكذا يضع الحجر الاساس، تاركا المهمة بيد المعمار (زيدان خلف )، الاسطة الذي قضى نصف عمره في بناء الدور وابراج معامل الطابوق في التاجي وخان بني سعد. وقد انتدبه الاستاذ حاتم لاضافة صرح جديد الى سيرته العمرانية. اعد الاسطة بنفسه خبطة الاسمنت مع الرمل. وضع المعول والمغرفة والفأس. وعلق بسر واله شاقول البناء. واستعد لبناء البرج.

ينبغي التوضيح مجددا ان المطلوب من فتاح هو رفع البرج الذي سيشيد فوقه والذي يعتمد ارتفاعه على قدرته وتحمله. سوف يرفع البرج بواسطة عضوه التناسلي، خلال زمن قصير جدا (رفعة الخطف )، بعدها سوف يكون بإمكانه النزول بالبرج ليستقر على حوضه (فخذه). سوف تعاد الرفعة مع كل اضافة جديدة من الطابوق. كان واجبنا هو التأكد كل مرة من صحة الرفعة، وذلك عند انفصال البرج عن الحوض وبقائه مرفوعا بواسطة العضو التناسلي فقط، ولمدة لا تقل عن اثنتين، وهو نفس الوقت المعتمد اولمبيا في رياضة رفع الاثقال.

كلفنا (انا وراضي) بمهمة تحريض الموما اليه على الانتصاب. جلست عند اذنه اليمنى بينما تولى راضي الأذن اليسرى. كنا مطلعين على الجزء الاعظم من اسراره، فقد كان يلجأ الى باص الخشب مع كل فشل وملاحقة غير مجدية، مع كل وجه جديد يستفز حواسه ويتركه متوجعا مسلوب الارادة، عندئذ لايبق له من ملاذ سوانا. وجدنا هناك. يحمل معه زجاجة عرق. وينتظر منا ان نستمع لآخر خيباته. يلتذ كثيرا بالفشل واللاجدوى. في الطابوقات العشر الاولى كان الأمر سهلا ولم يتطلب منه ومنا جهدا. ذكرنا له اسماء جميع الصبايا اللواتي احرق باصابعه نهودهن او قبلهن قبل ان يتجمد فمه. قال ضعوا المزيد من الطابوق. ذكرناه ب(نجية) بائعة التمر في سوق (الكيارة) التي رآها من ثقب صغير وهي تستحم. بقي مبهورا خمسة عشر عاما. طلب ان نضيف خمسة طابوقات دفعة واحدة. قال ان لون بشرتها اكثر حلقة من دبس التمر، كان يود ان يلعقها بلسان. انتهى الاسطة من تشييد الطابوقات الخمس وتنحى جانبا ليسمح له برفعها. عدنا نبث اسمها في عروقه. نجية ام التمر خاطرة مرة، تركت حفرة عميقة في ذاكرته. حين رآها وهي عارية كانت اللوعة عمرها بضعة ايام، لكن اللوعة ظلت تكبر حتى بلغ عمرها خمسة عشر عاما بكل مافيه من الاسى والتمني ومناكحة الهواء. كانت نجية تتأرجح في خياله، تقترب وتتباعد مع تنامي القوة الدافعة للعضو الذكري، يريد ان يقبض عليها بأسنانه، حتى وجدنا البرج ينفصل عن فخذه مرة واحدة فرفعنا العلم الاخضر، وسجلنا رفعة صحيحة. ومع استحضر نجية وصل الرقم الى (15) طابوقة (ساف )، وبارتفاع قدره (150) سنتمرا. عندئذ احضر الاسطة زيدان سلما مزدوجا ليواصل البناء. كنا نعرف مفاتيحه. نعرف الوجوه التي عذبتة. نعرف خيباته ومواطن ضعفه وهشاشته. نعرف كل الوجوه التي اهملته ولم يهملها، وظلت محفورة ابد الدهر في مخيلته. وكان عاجزا عن نسيان (صبا) تلك الحمامة الناعمة القادمة من الغابات الاستوائية. حين تطير تتقلب في الهواء، فيتقلب معها ويصبح عاليه سافله. كانت صبا دقيقة الملامح مليئة بالالوان الزاهية، ويبعث النظر اليها خفقان سريع للقلب، لكنه سرعان ما ينكمش، يراقب عينيها اللوزيتين وهما تطيران لتحطا على زندي بطل آسيا

في الملاكمة (عباس خليل ) عند مروره. كان الملاكم يسكن على بعد ثلاثة اذقة، لكنها كانت تحرص ان تقف في طريقه. يأمل فتاح ان تحدث معجزة تحطم تلك المفارقة، فهو يحبها مئة مرة اكثر من الملاكم، بينما هناك مئة مثلها تعشق اسماعيل وتشاركها فيه. وكان فتاح واحدا من ثلاثين شابا (بينهم اثنان من لاعبي المنتخب الوطني لكرة القدم ) عشقوا فتاة واحدة اسمها ( علياء ) وهي النسخة العراقية من زبيدة ثروت. واحب (سمورة ) التي لم تكن تحب سوى سائقي التاكسي. واحب (ام جواد) بسبب العلكة التي لاتفارق فمها. كان ينتظر حتى تمل فترمي علكتها في التراب، فيظل يبحث عنها حتى يجدها، ينفذ عنها التراب، ويدسها بفمه فيشعر بلعابها يتخلل عروقه، ويدب فيه الشبق ويتحول مصرانه الى وتد من جمر. كان البناء يتصاعد بوتائر عالية مع كل اسم جديد. يصعد البرج ليصل الى علو الطابق الاول في عمارة دواي. مرت ( صبرية بنت الاقطاعي ) فاهتزت الارض بمشيتها، وانحنى النخيل لقامتها المديدة واكتافها المرفوعة مثل جنرال الماني منتصر. وتنمل جسده حين لامست خياله (شكرية) التي لا تقل حرارة عن الفلفل الاحمر. واحتار في رصعة (رباب) حيث وضعها الله في مكان يعجز اي مخلوق الوصول اليه. كان البرج يتصاعد بوتائر عالية. وحين حضرت ( كوثر) حضرت معها اثنتان من اخواتها ليحملا ضفائرها. في تلك الليلة ستفتح ضفائرها، فتمشطها اربعة من الحوريات لتنشر ظلها على الحي كله. كان شعرها اطول من ليلة عاشوراء، واقسى من واقعة الطف، واكثر سوادا من حزن الناس. وعندما يحين مشوار اللطم يصبح بيرقا اسودا، تمسح باطرافه العيون المشدوهة. تنتقل كوثر بسوادها به من بيت الى آخر وهو يعج بالمسك والعنبر وكل ما يطيح بالعقل ويوقد المخيلة. صاح بنا فتاح:اصعدوا الى علو يوازي طول شعرها، فوضع زيدان الاسطة المزيد من الطابوق والاسمنت، حتى وصلنا الى علو الطابق الثاني في عمارة دواي. في احدى ليالي الكاظمية طلع البدر من عباءة فارسية (جادور). كان هناك بالصدفة ورأى تلك المعجزة، فانطبعت في ذاكرته الى الأبد . انفصلت زائرة ايرانية عن اهلها لتشتري قمر الدين، فتبعها. تأملها فتجلت له رغبة الخالق في اظهار قدر من ملامحه في مخلوقاته. لاحقا خطوة خطوة في سوق السراي وباب الدروازة. وضعت قبلة على البوابة قبل ان تدخل الصحن، فسارع الى لصق فمه في ذات الموضع، وراح يلطع بلسانه هناك كل ما خلفته من رحيق، ثم تبعها الى المرقد، وطاف معها حول الضريح، ولثم نفس المواضع التي لثمتها في الشباك والمرمر. وحين مدت كفها رأى نورا ابيضاً يحط على قفل فضي فوضع كفه السمراء، فانتبهت اليه، دب فيها الفزع، وهربت. وصل فتاح الى ذروة تصلبه واحتقانه، رأينا ذلك في تقاسيم وجهه. رأينا سائلاً ابيضاً يخرج من منخريه وعينييه. لمسناه بأصابعنا. وضعناه على السنتنا. وجدنا فيه طعماً يشير الى تداخل بين الممكن والمستحيل. ذلك الطعم الخالد في خصيتيه، حيث لا يوجد منفذ للخلاص، ولا نية في التسليم. وكان من الممكن ان نتجاوز

عمارة دواي، وان نبلغ منارة جامع المهدي لو ذكرنا كل الوجوه المستحيلة المطبوعة في ذاكرته، والتي فشل في شطبها او نسيانها. اقترب الاستاذ حاتم منه. تفحص عينيه فوجد بئرا عميقا يصعب الوصول الى منتهاه. لقد وصل البرج الشبقي الى حد يقترب كثيرا من الصورة المحتملة، فوقف الاستاذ الاختبار قبل ان ينهار البناء كليا فوق رأسه. لم ينس جليل المصور ان يلتقط صورة خالدة للبرج. كان الرقم يشير الى (60) طابوقة.

(بإمكان الذين لا يريدون الخوض في هذه الأرقام التوقف هنا فقد انتهى كل شيء).

حساب الضغط الجنسي:

(Sexual Pressure )

سوف نحسب كتلة البرج : ( 60 ) طابوقة مضروبة في ( 0.400 ) كغم فتساوي 24 كغم وبإضافة الخرسانة يصبح الكتلة الكلية 40 كغم . بذلك يكون الوزن ( 40 مضروبة في 9.8 ) الحاصل ( 392 ) نيوتن . وللحصول على مقدار الضغط الجنسي ينبغي قسمة الوزن على مساحة المقطع العرضي لعضو فتاح شرجي البالغة ( 0.0007 ) متر مربع . ( 392 ) تقسيم ( 0.0007 ) يساوي ( 560000 ) باسكال.

\*\*\*\*\*

# 6

## متوالية عطوي

بتنا شبه متيقنين ان ( سالم جبر عطوي ) يخضع لمتوالية هندسية منذ الولادة. لقد توفر لنا من المعطيات ماجعلنا نتوصل الى تحديد الثابت الرياضي الذي يحكم تلك المتوالية. وظهر ان قيمته ( 0.65 ).

في الرياضيات، المتوالية هي سلسلة ارقام تصاعدية او تنازلية يحكم حركتها رقم ثابت.

لنأخذ سلسلة الارقام: ( 1000 ، 650 ، 422 ، 275 ).

هي متوالية هندسية تنازلية (اذا بدأنا من اليمين ) بثابت مقداره ( 0.65 ). هذه الرقم يمكن الحصول عليه من قسمة اي رقمين متجاورين: مثلاً قسمة 650 على 1000 ، او من قسمة 422 على 650، وهكذا. وحياة سالم عطوي تحكمها متوالية من هذا النوع. ويضبط ايقاعها الرقم الثابت ( 0.65 )، الذي سنسميه ( ثابت عطوي ). وبحثنا كان للامساك بعنق هذا الرقم، والتحقق من هيمنته على ماضي وحاضر ومستقبل سالم عطوي. ولابد من تقديم الشكر الى الدكتور ( جمال حيدر ) طبيب الاسنان في مدينة (القاسمية )، والذي كان على اتصال بسالم عطوي لاربعة عقود، ويعرف تاريخ كل سن في فمه. قدم لنا اطروحته الجامعية عن تساقط اسنان عطوي، والتي شكلت مدخلا وعمودا اساسيا في بحثنا. وهناك عدد من الاسماء ممن رافقوا رحلتنا، وقدموا لنا معلومات قيمة. ونحن ننتظر ان يتوسع البحث لنذكرهم ومساهمة كل منهم. وقبل ان ندخل في البحث نود الاشارة الى المثلث الذهبي: الباص الخشبية والخمرة والمصادفة، الذي يؤطر جميع التجليات المشتركة بيننا ( راضي وانا ) ومنها متوالية عطوي. باص الخشب خلوتنا، والخمرة عصارة نخلتنا، والمصادفة ذروة سكرنا.

\*\*\*

### الأسنان

في تلك الليلة كانت الباص الخشبية تعج بالندماء. وقبل ان نكمل (الربعية) الاولى من العرق المحلي كان عطوي و (رحيم السويدي) قد عبرا حاجز النصف. وفي لحظة فجر رحيم



نكتة من العيار الثقيل ارتطمت بسقف الباص، وارتدت فدخلت في فم عطوي، وطيرت سنا من اسنانه. كان الدكتور جمال حيدر (طبيب الاسنان) حاضرا معنا فرأى السن وهو يطير ويحط في قعر الكأس الذي يمسك به. كان على وشك ان يعبه في جوفه بما فيه لولا تلك الانتباهة الخاطفة. اما عطوي نفسه فلم يشعر بفقدانه واحدا من اسنانه، وواصل قهقهة اقرب الى السعال الديكي. كان يخر سكرًا وموائعا وانتعاشا من كل ثقب في وجهه. النكتة ضربت مخه فاستحالت الى رنين يتردد بين جدران فمه. يحدث هذا غالبا. تفتح الخمرة شهيته للضحك والانعقاد، يظل فمه مفتوحا لزمن غير معلوم. في التخت المقابل كان وجه الدكتور جمال يكشف عن صحو فجائي، لم يكمل ضحكته. ترك النكتة تسحب ذيولها منه. تجمدت عيناه وهو يبخلق في قعر الكأس. غمس اصبعه وسحب السن وهو يقطر عرقا زحلاويا ووضعه على الطاولة، ثم اخرج من جيبه مصباحا يدويا، وتطلع بعناية وتمهل، فوجد السن سليما معافى لا اثر فيه للنخر. ورأيناه ينهض من مكانه و يقترب من وجه عطوي، ويدخل ضوء المصباح في فمه المفتوح ليعد ماتبقى له من اسنان. كان ينتظر سقوط آخر اسنان عطوي ليعمل له طقما اصطناعيا. اخرج الدكتور جمال دفترا صغيرا، ودون بضعة ارقام وكلمات وعاد يشرب من جديد. تبادلت مع راضي نظرة خاطفة تحمل ذات البريق. واقتربنا الى ادنى حد. ودفعنا مقلتين عبر الفم المفتوح. ونظرنا هناك، فوجدنا ستة اسنان فقط، موزعة بشكل عشوائي، لا يخلو من القرف. يشعر الدكتور جمال بالمسؤولية امام اي سن منخور في المدينة. ويمارس مهنته في كل وقت وفي كل مكان. فهو المشرف على العيادة الشعبية في المدينة لاربعة عقود. ويحتفظ بسجل لأسنانا جميعا. ويحمل ترخيصا داخليا بايقاف اي شخص (ذكر ام انثى) في الشارع ليفتش فمه. ولا ننسى فرش الاسنان والمعاجين المجانية التي اقنع وزارة الصحة بتوفيرها في مدارس المدينة. وكان له الدور الاكبر في تأسيس وتدريب سرية من المتطوعين (من كلا الجنسين) لتنظيف الاسنان وقلعها احيانا. ورغم ان نجاحات الدكتور جمال ليست محور بحثنا، الا اننا نرى من الواجب ذكرها فقد لا تتوفر لنا فرصة افضل. لكن التحدي المهني والعلمي الاكبر بل (الفشل) الذي واجهه الدكتور جمال هو في عجزه عن فهم الاسباب التي تقف وراء تساقط اسنان سالم عطوي. انه اللغز المحير الذي نقله الى اروقة كلية طب الاسنان - جامعة بغداد، وحصل بموجبه على شهادة الماجستير، حتى بعد فشله في العثور على جواب. كانت اسنان عطوي تسقط لأتفه الاسباب. وكان يهرع الى العيادة الشعبية كل مرة حاملا سن من اسنانه دون ان يجد عند الدكتور جمال حلا. فقد خسر في مشاجرات ( لم يكن طرفا فيها) خمسة من اسنانه. كان الآخرون هم الذين يتلاكمون ويلطم احدهم الآخر في فمه، لكن اسنان عطوي هي التي تتساقط. كان عطوي يحاول فك الاشتباك فقط. وحين يسأله الطبيب: هل تعرضت الى لكمة من طرف، يجيب بثقة: كلا. ويؤكد للطبيب انه

يقف احيانا متفرجا فقط ثم يكتشف في نهاية العركة سقوط سن او سنين من فمه. وحين يقلب الطبيب وجهه لايجد اي اثر لضربة في الفم او الحنك. وفي احد الايام راجع العيادة حاملا سنا طار من فمه على اثر صيحة غضب على احد اولاده. واخبره احدهم ان السفرجل (الحياة) مفيدة للاسنان فتناول واحدة منها، وحين عضها نبت سن فيها ولم يخرج، فتركه في السفرجلة، وحملها بكفه الى الطبيب. وتكررت المأساة نفسها مع (الباصورگ): البذرة التي حطمت اثنين من اضراسه. امام هذا اللغز المحير صرف الدكتور جمال من وقته الكثير. فتح فم عطوي مئتين وخمسين مرة. عمل فحوصات لفكيه واذنيه ولسانه، وفحوصات شاملة لكل سن قبل سقوطه. لم يعثر على اي أثر للتسوس. ورغم فشله في التفسير او المعالجة، الا ان كلية طب الاسنان منحته شهادة الماجستير بدرجة جيد جدا. وفي ليلينا العامرة بالتأمل كانت تتحرك في بطوننا فكرة اشبه بالديدان الدبوسية (السلابيح) عن خضوع عطوي لدالة غامضة. كانت تأملاتنا تسير بحذر شديد. وقد جاءت اطروحة الماجستير لتعطينا دفعة الى الامام. من هنا دخلنا فم عطوي ورحنا نتابع تاريخ اسنانه. فتحنا رسالة الماجستير. ودرسنا بالتفصيل تاريخ كل سن. ووضعنا ترتيبات متعددة ومحكمة لارقام الاسنان الساقطة. وحين يحل الشتاء على الباص المكونة تصبح الخمرة هي النار التي تطرد البرد عنا. ويمتزج السكر بالخشب. وتبدأ ثثرة الروح. وحين نسكر تبرق المصادفة. وتهبط النيازك، فتضرب جدار العقل. ويتطاير الشرر الفكري. تلتحم العناصر الثلاث. تخرج ومضات لا نعرفها لتملأ كؤوسنا ورؤوسنا بالألق. ونغرق في بحر من التساؤلات والاحتمالات. في زمن بلا حدود. ولا نخرج الا وقد عثرنا في قعر الكاس على لقية ثمينة. في عام 1980 كان عطوي يملك صفا كاملا من الاسنان 32. كل ثمان سنوات يفقد عطوي 35 بالمئة من اسنانه، بمعنى آخر ان اسنانه تضرب في رقم ثابت هو (0.65) كل ثمان سنين. وضعنا ملخصا رقميا:

1980 - 32 سن .

1988 - 21 سن .

1996 - 14 سن .

2002 - 9 اسنان .

2010 - 6 اسنان .

على هذا النحو تشكلت اولى متواليات عطوي .

متوالية الاسنان : ( 6 , 9 , 14 , 21 , 32 ).

امسكنا بالرقم (0.65) من عنقه. وضعنا النتائج امام اعين الدكتور جمال، فبقي صامتا وحائرا اكثر من حيرته الاولى.

\*\*\*

## بستان النخيل

تحول بستان عطوي ( ورثه عن جده ) الى ميدان حرب بين جيشين عملاقين. يقع البستان في اسفل (السلامجة ) على الحدود العراقية الايرانية في شرق البصرة. طوال ثمان سنوات لم يتحرك البستان من مكانه، لكنه كان ينتقل من يد الفرقة 11 العراقية، ليمكث بضعة اسابيع بيد الفرقة 21 الايرانية، ثم يعود مجددا ليد العراقيين. وتتساقط عليه القذائف يوميا، مرة من مدافع الايرانيين، ومرة من العراقيين. ومايهمنا هنا ليس مصير الجنود من كلا الطرفين الذين احتموا بجذوعه، فلا حقهم القصف، قبل ان يبتلعهم نهر جاسم والدعيجي وبحيرة الاسماك، هؤلاء كانوا يحملون خيارات عديدة للبقاء على قيد الحياة: الاستسلام، الاختباء، التراجع، الهرب من المعركة، وفوق ذلك كله عدم المشاركة في الحرب اصلا، لكن نخلات عطوي لم يكن امامها سوى خيار واحد هو البقاء في مكانها، لأن جذورها نابتة في الارض. لا تقدر النخلة ان تهرب او تختبيء او تتراجع. وامام احتدام المعارك والقصف المدفعي اليومي، ليس امامها سوى أمل وحيد هو المصادفة: ان تخطئها القذيفة. في عام ( 1980 ) كان عدد النخلات ( 500 ). بعد ثمان سنوات من الحرب ( 1988 ) لم يبق من البستان سوى ( 16 ) نخلة فقط . مرة واحدة في السنة يطل عطوي على نخلاته ليعدها. وهي مناسبة عامرة بالنواح. يقف قدام ظلالها المبتورة وينخرط في انين اسوة بالآباء والامهات الثكالى وهم يبحثون عن آثار ابنائهم. ينوح بصمت وهو يدون على ورقة صغيرة من مات من نخلاته ومن بقي حيا. ومع كل رأس مقطوع تنزل دمعة ثقيلة. البستان يزوي، واعناق النخيل لا تقل التواء عن اعناق الجنود المتعفنة في الخنادق، مرة ايرانيون ومرة عراقيون. يتركون بقاياهم في بستانه قبل ان يهزمهم الموت، ويتركهم بلا ظل. حين تلتهم القذائف عنق النخلة وسعفها وعذوقها يهرب الظل بعيدا، يترك الاجساد المثخنة بالجراح تشويها الشمس. اصعب ما في بستان النخل ان يكون بلا ظل. لا يعرف عطوي اين يضع عينه. كل شيء في البستان يؤذيه. يود لو يحمله بعيدا عن هذه المحرقة. البستان يتعذب يوميا. يمتزج غبار الطلع بالبارود، فيحدث عقم في الذكور، فلا تلد الاناث فسائل جديدة. لماذا لا يتقاتل الاقوياء في الصحاري، حيث لا شجر ولا ظل يموت ؟ سوف يرى الاقوياء بعضهم بشكل افضل، اليس العراك هو متعتهم ؟ فلماذا يختبئون وراء اضلاع الجنود المتفحمة وجذوع النخيل ؟ لماذا يشركوا معهم السعف، وعذوق التمر، والجمار،

واوراق الريحان، ومأوى الخنازير البرية، واعشاش العصافير، وغبار الطلع، واوكار العقق، وبيوض الحمام وهديله، وظلال النارج والمشمش؟ وحين يعود من رحلته يحمل معه سلة من الدمع الاسود. لايجد مأوى يضمه جراحه سوى باص الخشب. نعمر له كأسا. يحكي لنا مشاهداته، ثم يخرج من جيبه ورقته الصغيرة. تمتزج الخمرة بالدموع وهو يتلو علينا بصوت حزين آخر ما تبقى من نخلاته.

ملاحظة: الارقام ادناه مستلة من اوراق عطيووي في زيارته السنوية، كل رقم يمثل عدد النخيل المتبقي ابتداء من عام 1980 وحتى نهاية 1988. لاحظوا ان قسمة اي رقمين متجاورين تعطينا ( 0.65 ).

متوالية النخيل: ( 500 ، 325 ، 211 ، 137 ، 89 ، 58 ، 38 ، 24 ، 16 ).

\*\*\*

هناك من سيعترض قائلا: ان القسمة لا تعطينا ( 0.65 ) بالضبط، فلو قسمنا (16) نخلة على ( 24 ) سوف نحصل على ( 0.666 ). وبشكل اوضح: لو ضربنا ( 24 ) نخلة في ثابت عطيووي ( 0.65 ) فسوف لن نحصل على ( 16 ) نخلة بل ( 15.5 ). ونحن نؤكد ان ثابت عطيووي ( 0.65 ) رقم صحيح. لاشك ان هناك نخلة على وشك السقوط، او نصف او ربع حية. هذا التأرجح نعالجه بجبر الكسور، والاكتفاء بالاعداد الصحيحة، وسنكرر ذلك في متوالية الزواج، ومتوالية الذرية.

\*\*\*

## الزواج

تزوج سالم عطيووي اربع نساء. والغريب هنا ليس تعدد الزوجات، ولا الانتقال السلس من حضن الى آخر دون الاخلال بالحب والحنان. كلا، لم تكن نستغرب من كل هذا، فقد كنا على اطلاع بمكنونات قلبه ومغامراته خارج قفص الزوجية. ما هزنا حقا هو ذلك التوافق العددي الذي رافق حياته الزوجية. لقد انجز عطيووي في هذا الباب متوالية هندسية مذهلة في دقتها. وعزز تلك التصورات التي تراودنا. تزوج اربع مرات ولكن الغريب انه لم يعيش تعدد الزوجات لحظة واحدة، فقد كانت هناك فاصلة زمنية ثابتة قدرها سنة واحدة بالضبط بين زوجة واخرى. وكان الموت هو القاسم المشترك لهذه الفواصل. اول زوجاته كانت (نعيمة بنت حجي دواي). عاش معها 16 عاما ثم ماتت. جاءت بعدها (كرجية المصلاوية) ومكثت 10 سنوات وماتت بالسرطان. وبعدها (فضيلة بنت نشمية) وعاشت معه 7 سنوات وتوفيت في اول انفجارات سوق الصدرية - وسط بغداد-

الرصافة، مع اثنان من اطفالها. واخر زوجاته هي (خلود، شقيقة رحيم السويدي)، التي عاش معها 4 سنوات وقضت نحبها في انفجار سيارة مفخخة في سوق الخضار (علوة جميلة) - الرصافة.

متوالية الزواج: ( 4 ، 7 ، 10 ، 16 ).

الارقام اعلاه تمثل السنوات التي عاشها مع كل زوجة من زوجاته الاربعة. بحسبة بسيطة سوف تظهر انها تخضع لنفس العدد الثابت ( 0.65 ).

\*\*\*

## الذرية

متوالية عطوي تعمل بدقة عالية. منذ ان بدأنا حساباتنا وهي تسير على مايرام. خرجنا من دائرة الظن والتخمين الى فضاء اكثر صلابة. يبلغ عدد ذرية سالم عطوي 21 ( اهلنا جنس المولود )، موزعة على زوجاته الاربعة وفق متوالية يحكمها ثابت عطوي. هناك لحسن الحظ توافق مع تسلسل الزوجات. الضعف في هذه المتوالية هو عنصر الزمن، فهو غير معين خلافا لبقية المتواليات، ولا نعرف باية طريقة سيدخل الى حساباتنا. انجبت له زوجته الاولى ( نعيمة ) 9 مواليد، وانجبت له ( كرجية ) 6 مواليد، وانجبت له (فضيلة) 4 مواليد، بينما انجبت له (خلود) 2 فقط.

متوالية الذرية: ( 2 ، 4 ، 6 ، 9 ).

\*\*\*

## الخدمة العسكرية

الخدمة العسكرية ابتلعت اكثر من سبع سنين من عمر سالم جبر عطوي ( مواليد 1949 ). لم تنفعه في شيء. لم يقبض فلسا واحدا. ولم يحصل على متر واحد من الارض التي دافع عنها طوال هذه السنين، لا له ولا لذريته. والفائدة الوحيدة انها تحولت الى جزء معزز لبحث رياضي، يحكم سنوات الضياع. حصلنا على خلاصة الخدمة بدقة عالية، حيث بلغت ( 2726 ) يوما، موزعة على خمسة دفعات، تفصل بينها سنة واحدة. الخدمة الالزامية ( 1080 ) يوما، ثم اربعة دعوات احتياط موزعة على التوالي: 702 يوما، 456 يوما، 296 يوما، 192 يوما.

متوالية الخدمة العسكرية : ( 192 ، 296 ، 456 ، 702 ، 1080 ).

## الطيور

في صالة الضيوف تنتصب على احد الجدران صورة كبيرة للأب ( جبر عطوي )، المعروف في المدينة ب ( جبر المطيرجي ) مع طيوره. وهي صورة فوتوغرافية بالاسود والابيض قياس ( 30 في 50 ) سم، ومؤطرة بخشب الصاج، يمنحها مساحة اكبر. ( المطيرجي ) هو اللقب الذي يطلق في العراق على مربي الحمام. تجذب الصورة الداخلين الى بيت عطوي على الفور. الأب محاط باعز ما ملك في الدنيا، واغلى ما تركه للأبن الاكبر (سالم جبر عطوي ) بعد رحيله. ولشدة تأثيرها فقد احتفظ المصور جليل بنسخة منها في ارفيفه. وكان يعرضها في واجهة الاستوديو بحجم اكبر. لاشك ان جليل وجبر عطوي حققا انجازا فنيا رائعا. للأسف ان الكلمات التي ندونها لا تنقل الا جزءا يسيرا من ذلك السحر في الصورة. وكما ينتزع الابتسامة من صف دراسي باكملة مع معلمهم عند التقاطه الصور المدرسية، نجح جليل المصور في جعل ( 300 ) طير مع صاحبهم يبتسمون في وقت واحد للكاميرا. وسجل تلك البسمة الناطقة الى الابد. تبدو الصورة كأنها تل من المريدين يحيطون بالغوث الاعظم. كان هناك 300 منقار تتزاحم لتقبيله. وكان الاب المطيرجي من فرط اللذة قد اغمض عينيه واستسلم لخدر لاحد له، كأنه نائم بين احفاده. كانت الطيور قد غطت كل جزء فيه. صعدت مثل تل على كتفيه ورأسه. وتراصت في مثلث متساوي الاضلاع، مليء بالاعناق الممتدة دون تزاخم او غلبة كي لا يغيب اي منها عن الظهور. وقد مد ذراعيه ليقف عليهما تلان من الطيور الضاحكة. وتعلقت البقية على صدره وفخذه. ومن زاوية اخرى تبدو الصورة كأنها لعائلة سيرك تعرض ذروة اعمالها البهلوانية. غير ان الابن لم يكن على سرابيه. ولم تنتقل الوراثة الجينية كما كان مرجو منها. دخل سالم عطوي الدنيا من بوابتين: النساء والخمرة. وقد نحر الكثير من الوقت والمال دون ان يشبع من اي منهما. كان سالم واحدا منا. لا يجد ذاته الا داخل باص الخشب. وكان سندا لوكرنا السري ورواده بماله وحضوره الدوري. لم يكن يفصله عنا سوى الكتب التي لم تجذبه يوما. وكان يرى في والده نموذجا تاما للمطيرجي، فهو على السطوح دائما. ولا يتذكر ان رآه في الطابق الارضي الا نادرا. من هنا يبدأ نفوره. وكان يصرح بان الطيور لا تسمح لصاحبها بالنظر الى المخلوقات التي تدبي على الارض، وهو يقصد النساء على وجه التحديد، فعين المطيرجي مرفوعة الى السماء اربعة وعشرين ساعة في اليوم. وبموت الوالد (جبر المطيرجي ) شعرت العائلة بالتححرر من سلطة الطيور. وبدأ جليل الشكاوى يذوب، ولم تعد تحتل برازها المتراكم في كل شبر على السطوح، ولا ريشها واصواتها التي لا تنتهي، ولا سأم الجيران وتبرمهم من احتلال مكان نومهم في الصيف من قبل هذه المخلوقات التي لا تكف عن البراز

حتى وهي في اعالي السماء. ورغم اتساع ذرية الجد الاكبر عطيووي ( 253 فرد ، منهم 110 ذكور) الا ان انه لم يخرج من صلبه سوى مطيرجي واحد هو جبر، وحين توفي ترك فراغا لم يملأ بعده. واقصى ما وصلت اليه الجينات الوراثية هو ( مهند ) ابن سالم من زوجته الثالثة (فضيلة) الذي كان يتأرجح بين لاعب كرة فاشل ومطيرجي اكثر فشلا. فقد اهمل تنظيف الابراج الاربعة وتغذية الطيور وتحليقها اليومي، فراحت تتسرب تباعا. وتهجر او كارها لتبحث عن ابراج اخرى بعيدة. وحدث تبدل كبير في سطح الدار، بعد ان كبر الاولاد واصبحوا على ابواب الزواج، فكان لابد من هدم ثلاثة ابراج لبناء ثلاثة غرف لتفريخ البشر. لم يبق للطيور سوى برج واحد، والكثير منها اصبحت بلا سقف للنوم. كانت هجرة الطيور وعدم عودتها لها اسبابا وجيهة طبعاً، لكن من جهتنا وجدنا ان الأمر اقرب ان يكون خاضعا للقانون العام الذي يحكم كل ما يرتبط بعطيووي. الارقام ادناه هي اعداد الطيور لكل سنة بعد وفاة الأب ( جبر المطيرجي ).

متوالية الطيور : ( 300 ، 195 ، 127 ، 82 ، 54 ، 35 ).

\*\*\*

## قطار الفناء

في عام 2003 دخل المحطة العالمية للسكك الحديد في جانب الكرخ قطار مليء بالملثمين. انتشروا في العاصمة. استأجروا بيوتا ليكدسوا فيها براميل الفناء التي جلبوها معهم. ثم بدأت الاسواق تتفجر وتلتهم آل عطيووي بلا رحمة. كان علينا ان نترث قبل ان نسلم بدخول المتوالية الى هذه المحرقة، فبيت عطيووي ليسوا جيشاً، وليسوا افرادا في ميليشيات، وليسوا اعداء لأحد. كنا نتعامل مع قطار مليء بالمفخخات. ووظيفتنا تحديد عدد الركاب الذين سيقضون نحبيهم، او عدد الناجين، وكان علينا ان نحدد طول العربة ( زمن المتوالية)، هل هي سنة ام سنتان ام اشهر؟ ومن هي العربة الاولى؟ هل نبدأ من 2003 ام قبل ذلك ام بعده؟ واين نقطة العبور؟ اي يوم في التقويم السنوي؟ لقد حصل خلاف بيننا، وجدل دائري مرهق. ودخلت الينا اطروحات وتصورات شائعة تنتمي الى عالم الصحو. ولكي نبعد خطر الصحو كان لابد من زيادة جرع الخمرة. من نوافذ باص الخشب كنا نراقب مجاميع الملثمين تتسلل عند الفجر لتزرع اسواقنا بالفناء. شبحيون يتبخرون حالما نمسك بهم. كانوا يخبئون الفناء في اكثر المواضع بعدا عن الشك. يحملون ارواحنا بايديهم مثل لعب الاطفال. وكانت المصادفة هي السبيل الاوحد للبقاء. كل ما لا يخطر ببالنا يخطر في بالهم. يحملون كل المفاتيح لاختراقنا. ويأتوننا من كل الجهات. كانت خبرتنا في تحديد ملامح الشر تقترب من الصفر. اصبحنا نشك في الحيطان، في الخرائب، في

الطابوق المبعثر، في كومة الملابس المستعملة، في وقفة الخبز، في سيارة الاسعاف، في بطن الحامل، في الكلاب السائبة، في روث الحمير، اكوام الزبل، وفي جميع اكياس البلاستيك. وسرت اشاعة انهم فضائيون، وانهم صنف من الجن، وانهم البديل لعقاب الآخرة. وفي لحظة سكر مرة قال راضي انهم معادلة تفاضلية بلا حل. وامام كثرة التفاسير ازدادوا غموضا. ومثل اية متوالية يتوجب ان نحدد قيمة ثلاثة عناصر منها على الاقل لكي نحصل على الثابت المطلوب. جعلنا 2003 كعربة اولى في قطار الفناء. فتحنا ابوابها ليركب آل عطوي البالغ عددهم (253). وجعلنا التاسع من نيسان كنقطة للعبور من عربة الى اخرى، وتركنا الباقي للمفخحات. في التاسع من نيسان عام 2004 وجدنا ماتبقى منهم (164) فردا. كانت هذه اول اشارة انذار. ان حاصل القسمة يعطينا (0.65) اي ثابت عطوي. لكننا لانقدر بعنصرين فقط ان نبني متوالية. ولانقدر ان نضمها الى بحثنا قبل التأكد تماما. الأمر اصبح خطيرا. ان اقتران المتوالية بالملثمين يعني انقراض بيت عطوي خلال سنوات معدودة. كانت مسألة تواجد بيت عطوي في اغلب حوادث التفجيرات التي شهدتها العاصمة تثير الحيرة فينا بقدر المتوالية نفسها. وتحفز على التساؤل: ياترى من يبحث عن الآخر؟ يسجل بيت عطوي حضورا لافتا للنظر في التفجيرات الاربع التي جرت في (سوق الصدرية) وسط العاصمة، وكذلك في تفجيرات منطقة بغداد الجديدة، وفي حي أور، وحي الشعب، والشعلة، والمشتل، والمنصور، والشورجة، وسوق جميلة، والطالبية، والكاظمية، والبياع، وجميع تفجيرات مدينة القاسمية. وسجلوا ايضا حضورا في كارثة (جسر الأئمة). في ذلك اليوم العصيب لم تنفجر عبوة ناسفة بل انفجر الذعر فالتهم الفا من العابرين بينهم خمسة من آل عطوي. وفي طريقهم لزيارة قبور ضحاياهم في النجف، وقبل عبورهم منطقة اللطيفية، طلعت عليهم مجموعة من الملثمين. اوقفت الميكروباس (11 راكب) التي تحملهم، انزلتهم جميعا ورشتهم بوابل من الرصاص. كان الامل في توقف فناء آل عطوي هو فناء الملثمين انفسهم، او عودتهم الى اصلهم الهلامي، او اماطة اللثام عنهم، فهناك من يرى ان الشر يكمن في انعزالهم، وفي الظلمة المحيطة بهم. هناك دعوات لأغرائهم وسحبهم الى الضوء. اذ يرى البعض ان نور الشمس سوف يقتلهم او يحييهم. امام هذا التراجع المتواصل لعدد الاحياء في بيت عطوي قدم البعض نصائحهم له بترك بغداد، او توزيع عددا من اهله في المحافظات. بعث عددا منهم الى اقاربه في البصرة. ونقل بعضهم الى احدى اخواته في كركوك. وارسل قسما منهم الى عمته في الحلة. واستأجر لاثنتين من بناته منزلا في كربلاء. لكن المفخحات طاردتهم، او العكس، ذهبوا اليها بارجلهم. فسجلوا حضورا وطنيا لهم في مجزرة الحلة، وانفجار ما بين الحرمين في كربلاء، وانفجار ساحة سعد في البصرة، وانفجار سوق دوميز في كركوك. وطرأت في بال سالم عطوي فكرة الهجرة، فدفع سبعة من افراد



عائلته الى ايران لكنهم اوقفوا من قبل المثلثين قبل الوصول الى المنذرية ورشوا بالرصاص. واكتشفنا البعد الكوني لمتوالية عطيوى عندما وصلنا خبر غرق اربعة من اولاده قبل وصولهم السواحل اليونانية. والحقيقة ان من الصعب وضع احصائية مفصلة لجميع الضحايا واماكن سقوطهم، وسنكتفي بالاجمالي السنوي للناجين بعد جمع الولادات وطرح الوفيات (الضحايا). لايمكن وقف المتوالية لأنها تسير بمعزل عن ارادتنا. في التاسع من نيسان 2005 انخفض العدد الى (106) وبذلك حصلنا على العنصر الثالث، واعلن ثابت عطيوى حضوره. وتأكد الرقم في السنة التالية ( 2006 ) حيث بلغ ما تبقى من آل عطيوى ( 69 ) نفرا. وظهرت العناصر الاربع الاولى من المتوالية: ( 253 ، 164 ، 106 ، 69 ). كانت السنوات تمضي ببطء شديد وهي تلتهم بيت عطيوى تباعا. تحولت الباص الى خيمة للعزاء. مع كل سقوط للضحايا نلجأ إليها. نعب اكبر قدر من الخمر حتى يتلاشى العالم رويدا رويدا فلا يبقى منه سوى باص الخشب، عندئذ يبدأ رحيم السويدي باطلاق نكاته. لكن العالم سرعان ما يستيقظ في رؤوسنا كلما اقترب التاسع من نيسان. نتوجس خيفة وقلقا. نعد الولادات والوفيات لنعرف عدد الذين يتوجب خروجهم من الدنيا كي تختتم السنة استحقاقها الرياضي. كنا نتوقع سماع خبر عطيوى في اية لحظة، فقد افلت مرات عديدة من فناء محقق، ورأى بأمر عينه تطاير اشلاء سبعة وعشرين من اهله. ففي منطقة (الحبيبية) جرح في خصرته ورقد ثلاثة ايام في المستشفى. و انفجرت سيارة مفخخة في سوق الخضار (علوة جميلة ) فماتت زوجته ( خلود السويدي ) وطفليها، وجرح عطيوى جروح طفيفة. ومع فجر التاسع من نيسان عام 2010 اكملت المتوالية عنصرها السابع، حيث لم يبق من بيت عطيوى سوى ( 19 ) نفرا. كان سالم عطيوى اكثرهم حظا اذ نجا من اثنتي عشر فرصة للفناء. وقفنا امام هذه الوقائع الصادمة. وبتنا نرجح ان يكون سالم عطيوى هو آخر عنصر في المتوالية. اذا لم تتوقف المفخخات فسوف تواصل المتوالية سيرها حتى عام 2015 بالشكل التالي:

متوالية الفناء: ( 253 ، 164 ، 106 ، 69 ، 45 ، 29 ، 19 ، 12 ، 8 ، 5 ، 3 ، 2 ، 1 ).

انتظرنا حتى التاسع من نيسان عام 2015 وجاءت النتائج مطابقة تماما لسير المتوالية اعلاه. لم يبق من بيت عطيوى سوى فرد واحد هو سالم عطيوى. ولكن كيف ستسير المتوالية؟ لم يبق بأيدينا سوى الرقم ( 1 ). هل نواصل عملية الضرب في ( 0.65 )؟ وماذا سنحصل؟ هل ستشق المتوالية طريقها في جسد عطيوى نفسه لتحقيق سلطة الرياضيات؟ اول شيء بدأ يضعف فيه هو ذاكرته. بدأ ينسى جميع اعدائه. وينسى ماشهد من ويلات. نسي اهله على دفعات محكومة بقسوة الرقم الثابت ذاته. وقد نضب الدمع ايضا. لم يبق في فمه سوى بضعة اسنان يقهقه بها على نكات السويدي التي لم تنقطع في ذروة الفناء.

فقد ظهر ان المتوالية لم تمس الضحك والخمرة فيه. ضعف بصره فلم يعد يرى احدا  
سوانا. وضعف سمعه فلم يعد يسمع احدا عدانا. وهجر مسكنه واتخذ من باص الخشب  
مسكنا له. وصار يصغر رويدا رويدا حتى غدا طفلا لاينام الا في احضاننا.

\*\*\*\*\*

## اختراق جيوب الرب

لو كان (صبيح نشمية) نشالا تقليديا لما توقفنا عنده. لكنه اشكل علينا بتخصصه في نشل رجال الدين. والحقيقة انه لم يكن معاديا للدين، ولم يعرف كملحد، وكان يحترم الاضرحة ودور العبادة رغم ان ميدان نشاطه اقتصر عليها. هناك أمر لا زال غامضا بالنسبة لنا نحن الجالسون في باص الخشب نحتسي الخمر وننظر من نافذة صغيرة الى مايجري حولنا. وحين بدأنا التنقيب لجأنا الى ذاكرة مدينتنا ( القاسمية). فتحنا ابواب باص الخشب المركونة منذ عقود. صعد الهاربون من الحرب، والذين لاسقف لهم. فتحنا زجاجات الخمرة فغرقنا في بحر من العشوائية. وكان من بين الهاربين الفنان التشكيلي (جواد نشمية) شقيق صبيح. لقد كنا محظوظين عندما التجأ الينا حاملا فرشاته والوانه، فرسم لنا بانوراما، مترين في متر. تابع فيها اصابع اخيه وهي تنتقل من جيب الى آخر. وضع لها عنوانا: ( اختراق جيوب الرب). تبتدأ البانوراما من اليمين بالواقعة التي حصلت قبالة جامع المهدي. كان علينا ان نحفر في الذاكرة، لنصل الى الجذر المغذي لنمو تلك الاصابع وامتلائها بالسحر والجرأة.

\*\*\*

كانت البداية في جبة السيد (عبد العزيز الدروازي ) امام جامع المهدي. سوف يشهد هذا الجامع الواقع في قطاع 21 في مدينة (القاسمية ) والمرتبط عضويا بالسوق اولى محاولات صبيح في اختراق الجيوب المقدسة وانتشال مافيهها. هذه الواقعة ستغير مجرى حياته، وتجبره على ترك المدينة نهائيا. اعطت التقديرات عمره باثني عشر عاما، وهو اصغر بعامين من (كريم ابن وردة ) شريكه في ذلك اليوم. كان الدروازي اضافة لكونه امام الجامع فهو وكيل المرجع آية الله السراسيبي لمنطقة الغيار ( ثلث مدينة القاسمية ). بعد ان اتم اقامة المصلين، تطلع وراءه جيدا فلم يجد احدا، فاخرج من جيبه مفاتيح الجامع، وقد اعتاد اغلاق البوابة بنفسه والتأكد مرتين من القفل، ذلك انه لم يكن بيت الله لوحده، بل سكن مشترك مع الدروازي وعائلته. ولاشك انه يحوي كل مدخراته وممتلكاته، بما فيها ايراد العشرين دكنا الملحقة بالجامع. ونود هنا الاشارة الى وجود عدة القاب للسيد

الدروازي، لكننا نفضل الاكثر تداولاً في المدينة وهي ( وكيل السراسيبي ) او اختصاراً (الوكيل )، وهي وظيفة على غاية من الاهمية لأنها تتعلق بجمع المال (الحقوق الشرعية) من المقلدين وايصالها الى المرجع الاعلى. وما ان انتهى الوكيل من غلق البوابة حتى شعر بجسم غريب يدخل في جيبته. تلفت حوالياً فوجد صبيين بثياب رثة بين ساقيه، ينتظران انتهائه من القفل ليقبلا كفه. تقبيل كف السيد (العلوي ) ليست من فروض الدين، لكن اهل القاسمية يمارسونها منذ زمن طويل كواجب شرعي. وهو اشارة دالة على النسب المقدس للسيد الدروازي. وكان من غير اللائق بالنسبة للسيد رفض هذه الانثيالات المحبة لآل البيت، حتى لو رافقها روائح كريهة او ثياب رثة. غير أن سلوك الصبيين وطريقة التقبيل كانت غريبة الى حد ما. كانت حركتهما مضطربة ويشوبها الكثير من الاجتهادات الخارجة عن السياق . وقد خلف الافراط في المحبة مخاطا سبب قشعريرة مقرفة سرت في عروق الدروازي، تحولت الى رغبة في التملص. حاول السيد انتزاع كفيه لكنه وجد صعوبة بالغة. وقد اهمل سقوط عصاه وعبائه عندما وجد نفسه خاضعا الى قوة فيزيقية تحاول التفريق بين ذراعيه وساقيه في آن واحد. ثم حدث ما هو أسوأ من ذلك. فقد شق الصبيان لهما طريقاً في طيات جلبابه، فاختل توازنه. وكاد يسقط ارضا عندما ارغم على الوقوف على ساق واحدة. وكان من المفروض ان ينتهي التقبيل عند حدود الكف، غير انهما راحا يدخلان في طيات جيبته. وفجأة وجد احدهما ينهال لثماً على خصرته. لم يكن الامام متعوداً على مثل هذا التبجيل، وحسبه غلوا قروياً ينبغي تهذيبه، وعليه ان يباشر في الخطبة القادمة الى وضع خارطة واضحة لحدود التقبيل وشروطه. واقتصر بدنه عندما شعر ان جزءاً حساساً من جسده يتعرض الى المس. لكنه لم يذهب في الشك بعيداً. وبقي متشبثاً باقل الاحتمالات ضرراً. لا بد ان اهل القرى يحملون صورة ليست واضحة عن الشفاعة، ولا بد من تصحيحها لهم. وعزا ذلك الى العزلة. فقد وصله ان القرى البعيدة في جنوب العراق ترى كل ما في (السيد) شفاعة: جسده وما يخرج من اخلاط، عرق ابطيه، وبصاقه، وبوله، ونعله، وعصاه، ومسبحته، وظله، والوسادة التي يتكئ عليها، والصحن الذي يأكل فيه، وفضلات طعامه، والأثر الذي يتركه اينما حل. وعلم ان هناك ولائم خاصة لاعادة مصمصة العظام التي ينتهي منها. وسمع ب (مساج الشفاعة )، وهو تدليك شرعي يقوم به المقلدون والمقلدات على السواء لجسده. اننا نورد هذه الخواطر التي مرت على الدروازي في الزمن الخاطف لنؤكد صفاء نيته. فهو لا يفكر الا بأمر واحد. ولم يخطر بباله حتى الآن انه يتعرض لعملية نشل. لكن الأمر لم يدم طويلاً. وبدأ يخرج عن نطاق الفهم، فقد شعر بمس كهربائي في خصيته. اعقبها رطوبة علقت بها. لم يكن قادراً على تحديد طبيعة هذا اللمس ودوافعه. ورغم القرف الا انه بقي متماسكاً ينتظر خروج الصبيين طواعية. فقد خمن ان السوق كله يراقبه. وان رفسهما سوف يسجل

بعبارة لا تنمحي: ( السيد رفس فما امتد للثم قدمه ). سوف نتركه في ترده، ورغبته في تجميل ما يجري، وننتقل الى صبيح نشمية ونسمع ما دار في خاطره في تلك اللحظة.

( كانت هناك تصور عن خصية (السيد) زرعه احدهم في رأسي من ايام الطفولة: تفضيل الهي لخصية العلويين، حيث تتألف من سبعة كريات كل واحدة بحجم التمرة، وان لها شذى العنبر وحلاوة دبس التمر. وعندما دخلت في جيبته كان هذه التصور يضغط علي اكثر من البحث في جيوبه. وقد ساعدني الحظ في التحقق منه. ففي زمن خاطف استطعت ان اتلمس خصيته واعد تمراته وأشمها وأطعها بلساني. والحق اني لم اجد سوى تمرتان فقط، وظهر فعلا ان لهما طعم التمر الزهدي، ولكن برائحة صنان الابط).

\*\*\*

تراجع الصبيان وهما يفكان التشابك بينهما وبين تلافيف الجلباب واتجها بعيدا. لم تمض الا دقيقة حتى تبدل كل شيء في السوق، فقد تعالت صيحة مدوية اوقفت البيع. جمدت الموازين في اضطرابها. وابقت انصاف الجمل، وعبارات المساومة، وباقات الخضار معلقة في الهواء. التفت السوق الى بوابة الجامع فأبصر السيد يصرخ ويرمي بعباءته وعصاه. يخلع جيبته ليبقى بلباس داخلي ابيض يرتفع فوق ركبته. وقد اجمع المراقبون ان زنبورا (دبور) دخل فيه. فقد كانت هذه الحشرة تحوم النهار بطوله على عربات التمر وبسطيات العظام، فيطردها الباعة، وتضطر الى مهاجمة البشر. انتبه الحاضرون ان الثياب الداخلية للسيد تحوي الكثير من التفاصيل: احزمة وجيوب داخلية واربطة ملفوفة على بطنه واخرى تتقاطع مثل اسلحة سرية على صدره. راح السيد يفكك تلك المنظومة من التحولات، ويفتشها بعصبية وبحركة مضطربة عجولة ثم يرميها بعيدا. دفع كفه في جيوب جيبته، فخرجت بيضاء مثل عفطة في الهواء، اذ لم تجد قعرا. كانت تحوي شقوفا تكفي لمرور جرد. وخمن انهما استخدما سكيناً في فعلتهم. وهناك جيب في سترة داخلية وجده ممزقا وخاليا تماما. في تلك اللحظات العصبية هرع اليه احد الباعة حاملا سطل ماء بارد، ومعه يقينا ابرد من ذلك، ان زنبورا نجسا احدث كل هذا الاضطراب. لكن السيد صرخ بوجهه ودفعه بعيدا. لم يعد خافيا ان السيد قد تعرض الى عملية نشل في وضح النهار. لقد سرقت محفظته وصرره الموزعة على كامل جسده. وصلت اياديهم الى حزام سري تحت جلبابه لا يعرف الجن طريقه. نظر السيد في الوجوه والعيون المفتوحة التي توشك ان تنفجر في قهقهة مدوية. ثم شتمهم جميعا:

(ايها البلهاء، ماذا تنتظرون، تحركوا؟)

تخلى ( البلهاء ) عن تردددهم، بعد ان سمعوا ان القرصة لم تكن من زنبور واحد، بل زنبورين، فهرعوا اليه حاملين ماتييسر من ماء بارد ليرشوا به جسده. دخل التشفي والاضطراب والتغافل والتغابي وكل ماتخفي الصدور في زحمة ذلك السوق. لم يعد يعرف الجد من الهزل. اختلطت مختلف الدوافع والتخمينات بسوء الفهم. راح السيد يوزع شتائمه على زمرة الاطفائية، ثم صارت شتائمه لا على التعيين. وسرعان ما ترك جلابب الورع على الارض ومعه كل ما يعيقه من ثياب داخلية واحزمة لم تعد تساوي شيئا. رمى عمامته وعصاه وعباءته وانطلق وراء الصبيين. كان يحمل جميع الغرائز اللازمة لقرار الملاحقة. وكانت عبادة الله والمال في آن واحد قد منحت قدميه قوة مضاعفة للانطلاق، والجري الى حدود السدة الترابية. ولم يأبه لقسطة القلب، ولا شبكات توسيع الشرايين. وكان ممنوعا من الجري والصراخ بأمر الطبيب، لكنه وجد كل ذلك لا معنى له، ولا يمكن ان يثنيه عن ملاحقة اللصين، الذين شعرا بانكشاف امرهما فتحولا الى سهمين. اخترقا سوق الكيارة عابرين كل العربات، ومتسلقي تلول البطيخ، ومرتطمين بهذا وذاك، متجاوزين جميع اللعنات والشتائم والغضب السماوي الذي يلاحقهم. داسا على تل من الطماسة. وتزحلقا على سلة سمك. وارتطما بعشرين عمود خشبي. وكان وراءهما شبعا اكثر تخبطا منهما. سوف تمتد الملاحقة وتخرج عن نطاق السوق الى فضاء اوسع. سوف تخترق مجموعة شوارع وحارات. وتعبّر كما من الدكاكين، واعمدة الكهرباء، وعربات الباعة، حتى تصل الشارع العام، وتنتهي المساكن، فيدخل الثلاثة في طريق ترابي يمتد حتى يوصل بالسدة الترابية. ولكي نتابع هذا السباق علينا ان نرتفع الى العلو الباهر للفن التشكيلي وقدرته على تصوير ادق التفاصيل. سوف نسلم برج المراقبة الى ريشة الفنان جواد نشمية (شقيق صبيح) الذي رسم تلك الملاحقة، ولولاه لكانت حكايتنا تفتقر الى حرارة تلك الالوان، لون الغضب الاعمى في عين الامام، ولون الهلع في عين الصبيين، ولون الافق المفتوح، حيث الدرب بلا نهاية. رسم جواد نشمية ثلاثة خطوط بثلاثة الوان ساخنة. كلما اقتربنا منها شعرنا بالقوة الدافعة لغريزة الهروب، وسمعنا اصوات اللهات وخفقان القلوب، وصعود الحناجر الى العيون، ورأينا بياض اللسن وهي تندلق مثل بساط طائر. كانت مسافة السباق مجهولة، وهذا هو سر الورطة التي وقع فيها الثلاثة. كانت الاقدام الست تضرب الارض بلا هوادة. متباعدة ومتقاربة في ايقاع مضني، كأنهم يركضون في سباق ابدى. كان الدروازي مستعدا ان يصل الى نهاية العالم، لكنه استعداد روجي فقط، يركض بالغضب وحده، ناسيا ان ساقيه من عظم ولحم وليس خشبا، وقلبه المقسطر يمكن ان يسكت فجأة. كان يركض بارادة من لم يهزم في اي صراع حول المال، متجاهلا انه يسابق سيقانا من الجن، لا تتقن سوى فن الهرب والضيايع، حتى رأى قلبه يخرج من

بين اضلاعه، فجثا على ركبتيه، وتركهما يعبران السدة الترابية، واكتفى بالعض على اصابعه وهو يتابع اختفاء معالمهم عند طريق بعقوبة القديم.

\*\*\*

بعد صلاة المغرب طلب من المصلين ان يبقوا في اماكنهم. صعد المنبر وابلغهم عن اختراق لجيوب الله. كانت التسمية جديدة على اسماعهم. تحوي جيوب الله ( الحقوق الشرعية ): اموال اليتامى والارامل وابناء السبيل والصدقات والتبرعات والهدايا، ومعها حقوق الخمس والزكاة والاقواف. فتح لهم جيبته واخرج جيوبا كانت غائرة في العمق، ولا يعرف طريقها حتى الجن. نشرها امام اعينهم بكل ثقبها ورائحة الهزيمة. امتدت ايد شيطانية اليها فسلبتها. اعادت مكبرات الصوت الاربعة تلك العبارات المدوية. شرح الوكيل ظروف الحادث، مؤكدا انه كان في طريقه الى بيوت الارامل واليتامى عندما فعل الشياطين فعلتهم. لقد توقفنا عند هذه العتبة. وكان علينا ان نطرق باب التكهن والاشاعات. فقد كانت هناك فاصلة زمنية كبيرة بيننا وبين الحادث. دخل كم كبير من الرواة لملأ الفراغ الزمني . لحسن الحظ بقي كريم ابن وردة حيا، وهو اللسان الاول في هذا الحادث. وقد سمع وهو يثرثر في حانة مجهولة. عبرت كلماته عقودا من السنين حتى وصلت الينا.

( ان ما بثه الدروازي عبر مكبرات الصوت عار عن الصحة. الاموال التي سرقت لم تكن لليتامى ولا للمساكين، بل كانت مخصصة لغرض آخر).

لقد برزت قوة السيد الدروازي في قدرته على اخفاء الحقيقة عن مقلديه، وادارة تلك الازمة بشكل فائق. كان هناك عقل اكبر من الصبيين، هو المخطط والعارف. هناك مبلغ ضخيم ينبغي ان يصل الى مكتب دلالية الشروق في منطقة ( زيونة )، لتحويل ملكية عقار وتسجيله باسم المهندس (بهاء الدروازي) النجل الاكبر للوكيل. هذه المعلومات تخمرت في اوعية من الخزف سنين طويلة، فاصطبغت بلون التكهن، ورغوة الاشاعات، والجدل الذي لم ينتهي. استطاع الوكيل ان يعيد توازنه، ويتحرر من ضغط الواقعة، ليضعها على رؤوس المقلدين (الاتباع ) من دافعي الحقوق الشرعية، الذين شعروا بالخيبة لذهاب اموالهم الى ايدي النشالين. لقد مسح الدروازي كل ما يتعلق بمكتب الدلالية. واوحى بطريقة روزخونية حاذقة ان عقلا شيطانيا دخل فعرف بموعد تسليم الحقوق الشرعية الى مستحقيها فقام بفعلته. ولتجاوز هذه الضربة، استحصل فتوى من مرجعية السراسيبي تجيز استقطاع حصة الامام الغائب (المهدي ) من مدخولات المقلدين قبل ظهوره. وضع في قلب الجامع صندوقا لجمع المال سماه (سهم الامام المهدي). واذا من مكبراته ان هذه الاموال تعجل بظهور الامام فهو يحتاجها لاعداد جيشه. وانه ( اي الامام الغائب )

سيشرف بنفسه على اخراج هذه الاسهم، وسيتحقق من دقة الحسابات. يأمل السيد الدروازي ان تساعد هذه الخطوة في استعادة الجزء الاكبر من المال الذي سرق منه. انهى خطبته بجواز قطع يد السارقين، وحث الحاضرون على تقديم شكوى لمركز الشرطة بغية تأمين احضارهم.

\*\*\*

قدم ممثلو الجامع بلاغا رسميا عن اختراق جيوب الله وسرقة محفظته. ابدى (جبار كنيكر) مفوض الشرطة تردده وهو يدون المحضر. لم يتعود على هذا النوع من الشكاوى. بماذا سيجيب لو سألته قاضي التحقيق: وماذا يفعل الله بالجيوب؟ ولماذا يضع ماله في محفظة بينما عنده خزائن السماوات والارض؟ فشرحوا له الحقوق الشرعية. وطالبوه بتأمين احضار اللصين لقطع يديهما امام بوابة الجامع. لكن المفوض وجد ذلك تجاوزا للسلطة المدنية. استند الغاضبون الى الاجراءات السعودية، حيث تقطع اليد في السرقة العادية، فما بالك بسرقة محفظة الله وامام بيته. ارتبك المفوض مجددا امام هذه العناوين وتدوينها في المحضر. واحتج الغاضبون من بطء الاجراءات. ووجهوا الى المفوض تهمة البرود، وتجاهل انتهاك جبة الامام. ولمحوا الى امكانيتهم في قطع الايدي دون الحاجة الى الشرطة. عندئذ تم التوصل الى تسوية بين السلطتين المدنية والدينية، على ان يتم كسر ( وليس قطع) يدي اللصين في مركز الشرطة وباشراف المفوض. وتعهد جبار كنيكر امام الجميع بانه لن يكون كسرا عاديا، بل شللا محققا للاصابع. كان هذا الاتفاق هو السبب المباشر لضياح ابن نشمية. لقد هدرت كفه. اصبح من حق اي من مقلدي السراسيبي تحطيمها وشلها. ولو كان الأمر يخص اي عضو آخر في جسمه لما تردد في العودة الى القاسمية، لكنهم يريدون شل الاصابع التي يعزف بها موسيقاه الى ابد الدهر.

\*\*\*

اننا ننتظر ان يتمخض بحثنا عن منظر جديد نرى من خلاله أعمال صبيح نشمية. هناك العديد من الثوابت بدأت تتحطم، واسئلة تنبثق، مع كل خطوة نخطونا في البانوراما. لماذا اقتصر نشاط صبيح على بيوت الله والاضرحة المقدسة ومقامات الاولياء؟ لماذا ابتدأت اصابعه وانتهت عند جيوب وكلاء الله في الارض، المراجع، وعلماء الدين، وكبار مشايخ وائمة المذاهب الاسلامية التي يختزلها الدروازي بعنوان موحد ( جيوب الله ) ؟ هذه الاسئلة لازالت بلا اجوبة.

تسجل البانوراما حضورا لصبيح نشمية في مجمل الاماكن المقدسة. في العراق لم يترك جامعا ولا حسينية الا وسجل فيها حضورا. مد اصابعه في جيب خطيب جامع ابو حنيفة، و



براثا، والكاظمين، وام الطبول، وابن بنية، والحضرة الكيلانية، والحيدر خانة، والعتبات المقدسة في كربلاء والنجف وسامراء والكوفة. ووصلت اصابعه الى جيوب معظم خطباء الجوامع في المحافظات، لا يفرق بين طائفة واخرى. في اليوم الثاني لزيارته سوريا دخل المسجد الاموي عند صلاة الظهر، فسحب محفظة امام المسجد مع قلم حبر. ثم انتقل في نفس اليوم الى السيدة زينب لينتزع ساعة السيد الخلخالي، حيث وجده جالسا في صحن المرقد فركع وقبل كتفيه. وفي مقام رقية وجد كمية لابأس بها من الجنيهاات الاسترلينية في جبة سادن المقام. وكان له وقفات جريئة في ادلب وحلب وحمص. وزار مصر فعاد خجلا من نفسه. فقد امتدت يده الى عدد كبير من الجيوب فوجدها خاوية. واكتشف ان رجال الازهر يأخذون رواتبهم الشهرية من الدولة فاعادها الى جيوبهم في اليوم التالي. اما الذين يأخذون رواتبهم من دول الخليج فلم يتمكن الوصول اليهم. ووجد عددا لابأس به من شيوخ (الاخوان المسلمين) يحتفظون بكمية من الهيروين في جيوبهم. وعرف انهم فئة مزدوجة النشاط، تجمع بين تقوى الله وتجارة المخدرات. وفي ايران مكث ثمانية اشهر، قدم خلالها عروضاً باهرة في تقبيل الايدي والاكتاف وتطويق العباءات المقدسة بالذراعين. كانت مشهد وقم هما مسرح هذه العروض، خرج منهما بصندوق مليء بالخواتم. وفي طهران فشل في الوصول الى المرشد الاعلى (السيد علي خامنئي) وانتزع ذكرى منه، لكنه تمكن من معانقة هاشمي رفسنجاني، وتجريده من سبخته الصفراء (سندلوس 33 قطعة). في حوزة النجف لم يلتق المراجع الشيعة الكبار: الفندجاني، الارجواني، السراسيبي، والبقصمي، لكنه ادرك ابناءهم، فصعقه ورد الخدود، واصابع العقيق اليماني، والمعاصم السويسرية، واعناق العاج، وجباه الياقوت التي تتعرق فضة، وعباءة الفيروز بظلمها الممتد فوق وجوه المقلدين من جزيرة سومطرة في اندونيسيا الى جبل عامل في لبنان. كان صبيح نشمية قد عبر كل بحار التردد. وحين مثل بين يدي عماد الدين السراسيبي (نجل المرجع الكبير)، وجد نفسه يحمل جميع المفاتيح اللازمة للدخول الى جلابه المقدس. ركع امامه، وتناول حذاءه، وطبع قبلة على كعبه فقراً ماركتة الايطالية (برونوماغلي). ثم تناول ذيل عباءته فلمح فيه رذاذا ملائكيا. وصعد الى ركبته ودفن فيها فمه. ثم صعدت القبل عموديا حتى وصل الى نحره. وبكى طويلا على صدره. واطلق صيحة استغاثة:

( سيدي ومولاي اغثني. انتم المرساة. انتم اوتاد الارض. وانا مركب تائه. اريد ان امد حبلي اليكم).

لايتحدث ابن نشمية كثيرا. لسانه اقصر وابطأ كثيرا من اصابعه. الكلمات هي مفاتيح فقط. بهذه العبارة دخل الى باطن جبته. وهناك ترك اصابعه تتشمشم في تلك الجيوب

الربانية. عثر على قوارير من كل صنف : قارورة للكل، واخرى للعطر، واكياس الحناء، والبخور، والمسك، ومبرد للأظافر وفرشاة للرموش ومرهم للبشرة. فيما عدا تلك الاطايب، فقد عثر صبيح في جيبه على رسالة (ثورية) ينوي توزيعها على مجموعة من المجتهدين الشباب، يقترح فيها تعطيل العمل بالآية القرآنية:

(وقرن في بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى).

ويحملها مسؤولية تقبيح النساء الشيعيات وتحويلهن الى رجال درك ( جندرمة )، وبالتالي هروب الازواج و تفشي العهر والشقق السرية، ناهيك عن تفريغ الوجوه من نعمة الجمال، وحرمانها من الجاذبية. لحسن الحظ احتفظ صبيح بالرسالة، وسلمها الى اخيه. ثم وصلت الينا. فكنا اول المطلعين على كواليس اللقاء التاريخي بين حوزة النجف والكوزموتولوجيا (علم التجميل). في الرسالة يتحدث ابن السراسيبي مطولا عن ضرورة تجديد دماء الحوزة. وانه سيعيد طبع رسالته الفقهية مضييفا اليها بابا عن هذا العلم (الكوزموتولوجيا )، يجمع فيه كل ما يخص المستجدات، ويقسمها الى مستحب وواجب ومكروه ومنكر. واكتشفنا ان هذه الرسالة كانت وراء عقد المؤتمر الاول للكوزموتولوجيا في النجف، تحت شعار ( رفقا بالقوارير)، والذي دعي اليه خمسمئة من اجمل النساء المقلدات لمرجعية السراسيبي. وشارك فيه عشرة شركات فرنسية، وعدد من الجراحين. اظهرت البحوث ان الأمر ابعد من صبغ الأظافر واحمر الشفاه او الكحل. فتح المؤتمر الباب واسعا لمناقشة عمليات شفط الدهون، وملأ الاردااف بالسيليكون، وتصغير او تكبير الثديين، ونفخ الشفاه وشد الوجه ... والخ.

اما نشوة ابن نشمية القصوى فكانت عند وصوله الكعبة المشرفة او ( الجيب الاعظم ) كما يسميه. من هنا تخرج اموال الله لتديم سلطانه على الارض. هنا القلب الذي يضخ دماءه في شرايين الجسد الاسلامي الممتد على قارتين، لتعود اليه عبر الاوردة محملة بالاكسجين المقدس. وقد طاف اكثر من خمسين مرة حول البيت الحرام وقبل الحجر خمسين مرة. وسعى بين الصفا والمروة مئتي مرة وحقق خلالها تجاوزات مذهلة. وكلما مد يده في جيب تتضاعف لذته، كأنها تمتد الى كل جيوب الله في الارض. وكانت اجمل اللحظات هي احتضانه لعبد الرحمن السديس امام الحرم المكي، واستبدال ساعته ال (رادو) بساعة ( راسكوب) صينية شبيهة. وانتقل الى المدينة وفعل ذات الشيء في علي بن عبد الرحمن الحذيفي امام الحرم النبوي. واكتشف انهما يحملان نفس الذائقة. وطاف في ارجاء المملكة. ومر بمعظم شيوخ السلفية، وانتزع تذكارات قيمة منهم ، نذكر منهم على سبيل المثال: احمد الحواشي، وعبد العزيز بن باز، وعبد العزيز المسند. توصل ابن نشمية الى

ان الخلاف الجوهرى بين أئمة السنة والشيعة يتجلى في ثلاثة مقتنيات هي: ساعات اليد، والسجائر، واقلام الحبر. اكتشف ان أئمة الشيعة يفضلون ساعات (رولكس)، ويدخنون سجائر (روثمان) الانجليزية، ويوقعون بقلم ال(باركر). اما أئمة السنة فيفضلون تطويق معاصمهم بساعات (رادو)، وسيجارتهم المفضلة هي (مارلبورو)، وقلمهم المفضل هو ال (شيفرز). واكتشف وجود اتفاق بين المذاهب الاسلامية حول ولاعة (رونسن)، وعلى اربعة ماركات لمحفظة النقود وهي: (اتنغر)، (كوهيد)، (بارامونت)، و(تيدبيكر).

\*\*\*

وقد نجم عن البحث رغبة عارمة لرؤية وجه صبيح نشمية، وكان علينا زيادة جرعات الخمرة والكف عن خلطها بالماء، وهي الطريقة المثلى للعثور على التائهين. اقترب جواد من لوحته، ووضع ابهامه على موضع فيها. و كمن يضغط على زر كهربائي رأينا وجهها يضيء ثم يكبر ليأخذ حجم البشر. كانت الخمرة تلتهب في حناجرنا، وتوسع احداقنا، وتحدث تعرقا وارتبكا من نوع لذيذ ونادر. سمعنا صوت محرك يدور، فاهتزت الطاولة، وتراقصت الاقداح. تحركت الباص بنا الى الوراء، ودخلنا في زمن ولى. صعد وجه صبيح ناعما كشمس الغروب. لم يكن يفترق عن وجه اخيه (جواد) الا في سنوات الضياع. كان يأتي بلا مواعيد، يبحث في اروقة كلية العلوم عن اخ اصغر ليضع بيده مبلغا يعينه على اكمال دراسته، وآخر يسلمه الى امه. هذه الزيارات هي الدم الذي يضخ الى شرايين العائلة كي تصمد امام تيار الضياع الذي يعصف بها. لم يعثر على اخيه في (مرسم الكلية) مكان الهوس الدائم، الذي يعطيه من روحه اكثر مما يعطي للبيولوجيا. وقف امام المدرج بانتظار خروجه. ولكي يبدد الوقت راح يعد الزراير المارة امام عينيه. كان منظرها وهي تملأ اشجار الكلية واعمدتها يثير الرغبة في عدها. وحين خرج جواد لم يكن لوحده بل مع شلة من زملائه وزميلاته. كانوا يحيطون باستاذهم. وقفوا قريبا منه. سمعهم يواصلون نقاشا حول الدودة الشريطية. وعنت التفاتة من جواد فابصر اخاه. هرع اليه. قاده من يده ليعرفه على صحبته. كانت موضحة الايماء بالرأس بدل المصافحة قد دخلت الى جامعة بغداد، فاوقفت التشابك الضروري لتلامس الارواح، وكان ذلك آخر ما توقعه. صبيح يتكلم باصابعه. كان قد نسي منذ زمن طويل وظيفة اللسان في اللقاء البشري، فالكلام يبدأ بأسئلة ثلاث لا يملك لها جواب: شغلك؟ سكنك؟ متزوج ام عازب؟ الطالبات على وجه الخصوص ينتظرن منه جوابا. توقف النقاش العلمي عند علة اختيار الدودة الشريطية لمعدة الانسان سكنا لها. ظهر وجه صبيح فقطع ذلك النقاش الذي انتقل من البيولوجيا الى جدل فلسفي بلا نتيجة. صورة طبق الاصل من وجه اخيه ولكن بهوية مجهولة. وبدل ان يعرف نفسه بنفسه فقد رفع رأسه مشيرا باصبعه الى النخلة. ثم طرح سؤالاً مباغتاً:

( هل ترون الهدهد في النخلة ؟ )

كان استاذ البيولوجيا اول الساقطين في الفخ. رفع رأسه على الفور وراح يبحث عن الهدهد. تبعته رؤوس الطلبة بما فيهم جواد نشمية. لم يعثروا على هدهد. لم يكن هناك سوى حشد من الزراير السود.

( أين الهدهد ؟ )، سألوه بصوت واحد.

فتشوا جيدا ، قال لهم . وفيما هم يديرون اعينهم هنا وهناك وينبشون في النخلة، كان صبيح نشمية يمر بهم واحدا واحدا لينتزع من ايديهم كل ما يمكن ان ينتزع. وحين عجزوا عن العثور على الهدهد التفتوا جميعا وصاحوا بصوت واحد:

( لا يوجد سوى الزراير ).

(لقد طار الهدهد). هتف صبيح مبتسما.

كانت مزحة غريبة، لم يدركوا مغزاها الا بعد ان رفع البروفيسور يده ليأخذ نفسا من سيجارته فلم يجدها. وانتبهت الطالبات الى خلو ايديهن من الاساور. وافتقد الطلاب ساعاتهم. وقبل ان يفتح جيوبه ويعيد لهم حاجياتهم، طلب منهم ان يفكروا قليلا، فالامر ابعد من مزحة. ان حاجتنا الى الشرود تدفعنا الى البحث عن هدهد لا وجود له. الهدهد كان عذرا للهروب من الدودة الشريطية وتمددتها خارج المدرج. لم يشأ صبيح ان يخبرهم ان حاجة الناس الى الشرود هي الشرط اللازم لعيش النشال. الشرود هو حاجة بدنية وروحية، نوم قصير الامد، يدخل خلاله صبيح نشمية ليمارس هوايته المفضلة.

\*\*\*

في الباص الخشبية وبعد قرع بضعة كؤوس، توصلنا الى الفرق الجوهري بين اليقظة والنوم. اننا لا نحقق ذواتنا الا في النوم او مشتقاته مثل السكر والغيبوبة والخشوع والجنون. اليقظة هي تجميد للذات، انتظار ليس الا، خصوصا حين تغدو اليقظة عائقا للوصول الى حلمتين متفجرتين مثل فوهة بركان. البانوراما تمر على تلك الواقعة. بلون الجمر، رسم جواد نشمية اصابع اخيه الملهتهتين وهي تزحف نحو الصدر النافر. كان صبيح جالسا في حافلة نقل الركاب. وكان الصدر اليقظ المستبد على بعد مقعدين منه. ويخيل اليه ان السيدة انتبهت الى عينيه وهما تخترقان قميصها. وفي لحظة نزل جميع الركاب ولم يبق في الطابق العلوي سواهما . كان بياض الصدر وصلابته واندفاعه تضغط بقوة على ماتبقى من ازرار القميص، فيشتبك قطيع من الثعابين في رأسه، يعض بعضهم بعضا.

تتحرك اصابعه وهي تحمل جوعا قديما. لكن اليقظة تقف حائلا. لو كان الجالس فقيها لركع امامه وعانقه، ووصل الى ابعد موضع في جسده، لكنهما حلمتان يقظتان ومدرعتان يتطلب الوصول اليهما معجزة. كان الزحام في شارع الرشيد شديدا جعل الحافلة تتوقف طويلا، ثم تتحرك ابطأ من السلحفاة. وحدث ما لم يكن في الحسبان ابدا. فقد تسلل سلطان النوم الى الحافلة. صعد الى الطابق العلوي. وسكن في منخري السيدة لثلاث دقائق فقط. سمع صبيح نداء خفيا يعلن موتا مؤقتا لليقظة. نداء افرزته سنوات طويلة من المراقبة. ترك مقعده وجلس الى جانبها. فك ماتبقى من الازرار. مد اصابعه الملهبة حتى وصل الى فوهة البركان. ازاح عنه درع الدانتيل. خنقه برفق. ولصق لسانه فوق جمر اللذة. مسح تكورات الكتف، واودية الظهر، حتى اقتربت الدقائق من النهاية. عقارب الساعة الداخلية في صبيح نادرا ماتخطيء. راح يفك المشبك، فتحررت تلكما القبتان. سحب السوتيان الى الخارج واعاد غلق الازرار. ولم ينس ان يدس في جيب قميصها ورقة نقدية من فئة الخمسة دنانير كي تشتري واحدا جديدا. كور السوتيان وهو بكامل عرقه وعطره، ثم وضعه في جيبه، وهبط من الحافلة. رفعنا نخب اصابع صبيح نشمية دون ان نخفي شكنا بأمر المعجزة. هل كان سلطان النوم قد صعد حافلة نقل الركاب فعلا؟ هل كان شخير الثديين حقيقيا ام مصطنعا؟

\*\*\*

وصلنا الى الشرط اللازم للوقوف امام الرب، او وكلائه في الارض: الخشوع، ثم الخشوع، ثم الخشوع، وهو التسمية الملطفة للخضوع والتسليم والغيوبة والرغبة والخشية. هنا يدخل جواد بقوة ليقدم لنا تعريف اخيه للشرط الاساسي لسرقة الآخر: (الخشوع هو اللحظة المثالية للنشل). بإمكانك ان تسرق اي شيء من الآخر (بما فيها عقله) عندما توصله الى درجة الخشوع (الاستسلام). ومنه يشتق تعريفا جديدا للايمان: (الايمان هو نوم عميق، وطويل جدا). في هذه الفسحة الزمنية يدخل النشل فينا ليسلب ما في جعبتنا. واحسب (والحديث مازال لجواد) اننا نقرب من الجسر الذي يربط القداسة بالنشل. اننا امام سلب للعقول شفاف ومحبيب للنفس.

\*\*\*\*\*

## لاعب النرد الخفي

في المنفى وصلتني رسالة من الأهل تبلغني بآخر نكبتين حلت بهم: الاولى تخص شقيقي عمران وزوجته رقية، والثانية تخص عمتي (بشيرة) التي ربّتي، وكانت امي في السنوات العشر الاولى من حياتي. ورغم وجود خمسة آلاف كيلومتر تفصلي عن الاهل ( المسافة بين هولندا والعراق)، الا ان ذلك لا يمنع من وصول النكبات في وقتها. والحق يقال اني لم اكن استجيب الى كل تلك الدعوات المبطنة بالحضور الا في الحدود القصوى، ولكن الرسالة تشير بقوة الى وصول عائلة اخي (عمران) المؤلفة من ثمانية افراد الى حافة الأنهار، ونقل عمتي الى مستشفى المجانين ( الشماعية ). كان لابد ان احزم حقائبي واترك كل شيء ورأيي . كنت القن عددا من الهولنديين دروسا في الرياضيات، وكان لابد ان اوضح لهم قبل ان اودعهم في ايامهم الحرجة ان لي في العراق اناس يعيشون وضعا اكثر حرجا ويتطلب حضوري. في المنفى حصلت لي تبدلات جمّة. تغيرت مهنتي ومزاجي. تركت عملي كمهندس. ورحت استثمر الجزء الرياضي من دراستي الاكاديمية في تقديم دروس خصوصية للطلبة الذين ينظرون الى الرياضيات كأزمة وعقبة في طريقهم. بعد ربع قرن من العيش في هولندا اصبحت اقل حدة. واصبح للمصائب وقعا ورد فعل آخر. وعمل انغماسي في نظرية الاحتمال ( Probability Theory ) الى تشكيل عقلي بطريقة تجعلني انظر الى الحوادث من زاوية احتمالية بحتة. رحت اقلب الحادّثتين: مجيء البنت السادسة لأخي وزوجته، والنكبة الخامسة لعمتي، فوجدت ارتباطا وثيقا بنظرية الاحتمال، هذا البحر الرياضي العميق، الذي جرفتني امواجه فغصت فيه، وسحبت طلبتي ليغوصوا معي.

\*\*\*

## بنات رقية

بدأت مأساة رقية وشقيقي عمران بعد زواجهما وتورطهما في صراع طويل مع نظرية الاحتمال. فقبل ان تضع مولودها الاول كانت رقية تعيش هاجسا ينمو في احشائها اسرع من الجنين نفسه. الهاجس يتعلق بجنس المولود. كانت امها المرحومة ( فخرية) قد انجبت ست بنات. كل ما كانت تخافه رقية منذ اللحظة الاولى للزواج بدأت تراه بعينها.

وجدت نفسها تسير على نفس درب امها عندما انجبت هي الاخرى خمسة مواليد كلهم أناث. هذا التتابع في مجئ البنات وضع العائلة على سكة خطيرة جدا. فمع كل بنت كانا يفقدان قدرا من مزاجهما المرح والتلقائي ويترسب بدله ركام اسود. وبعد مجيء البنت السادسة دخلا في باب التساؤلات الأكثر مرارة مثل: لماذا؟ وماهي الحكمة؟ ومن المسؤول عن هذا الظلم؟

كان علي ان اتدخل كل مرة للحد من توسع هذه التساؤلات. فقد وصل الأمر الى ان اصبحت الحياة اشبه بالجحيم. وكانت رقية تتصل بي تلفونيا لتبلغني عن اشياء مفزعة مثل توقفات في التنفس اثناء النوم، وآلام جسدية غير مفهومة. ولم يبق على الخراب سوى دخول الضرة الى بيتها. صارت رقية تعيش يوميا شريط امها، والرعب من المصير الذي وصلت اليه. لقد عاشت امها سنوات طويلة وهي تنتظر مجيء الولد، مضافا اليه مرارة صعود الآمال وهبوطها، والتي انتهت الى شعور عارم بالقهر اثر استبدالها ب ( بهيمة )، هكذا تسمى ( فهيمة ) ضرتها، التي انجبت ستة اولاد فصارت تسير على الارض باطراف اصابعها. لم تتقبل ام رقية هذا الظلم، لا من زوجها فقد كان اشبه بالعقاب على فعل ليس بيدها، ولا من السماء فقد كانت اكثر ظلما من زوجها. العذاب الذي كابدته لايعرف قدره سوى البنت الكبرى رقية التي شهدت جميع فصوله الست بعينيها. كانت الام وابنتها يتابعان لحظيا مواليد الضرة، بطنها وهي تنتفخ، تمنيات الوحام الفستقية التي تملئها على الاب، مشيتها مثل الوزه في الزقاق وهي تستعرض انتفاخها قبل كل ولادة، وصرخة الولد عند خروجه الى الدنيا مع اسراب من الزغاريد تغطي الحي لايام. يتابعان بألم كف الضرة وهي ترفع كل مرة الولد الرضيع ليعانق الشمس، ثم تطبق انفها على خصيته لتشم رحيقها، قبل ان تناوله الى الاب ليدفن هو الآخر انفه وفمه في تلك التمرتين (البرحيتين) المعلقتين بخيوط من ذهب الى ضوء الشمس. لقد استحوذت تلك الخصى بعبيرها وطعمها البرحي على عقل الاب، فكان لا يخرج من بيته الا بعد ان يلطعهما. لم تترك له الضرة فسحة للالتفات الى الوراء، فكلما كبرت خصية وتبدل طعمها ولونها اخرجت له من بطنها واحدة جديدة. وكانت ام رقية تأمل ان يزول النحس ( تنفك الجبسة) ولو مرة واحدة، وتحرر من شعورها العارم بالفشل. لكن القدر (والذي هو صلب نظرية الاحتمال) كان لها بالمرصاد، اذ تلقت منه ستة ضربات متتالية. والحق يقال ان والد رقية انتظر امها اربعة مرات قبل ان يقرر ادخال ضرة الى البيت. جاء الولد الاول للضرة ليكون بداية الخراب. وعند مجيء الولد الثالث اصببت ام رقية بجلطة قلبية فنقلت الى المستشفى. ومع كل ولد جديد كان ضغطها يرتفع وتضطرب دقات القلب، فتنقل الى غرفة الانعاش في مدينة الطب بباب المعظم، ليضعوا لها شبكة لتوسيع الشرايين وخفض ضغط الدم. ومع سماعها صرخة الولد السادس لم يعد قلبها يحتمل، فسكت الى الأبد. هذه هي جذور الفابيا التي تعيشها رقية، والتي نقلت اجزاء كبيرة منها الى أخي عمران وعصفت بمزاجه وشخصيته. كان اخي عمران واحدا من رواد باص الخشب. وقد قرأ معنا تلك الكتب السميكة العسيرة على الفهم آنذاك مثل (انتي دوهرنغ). وكان على وشك ان يفهم هيغل لولا دخول رقية في حياته. بمرور الوقت اصبحت تابعا لرقية ويدور في فلكها. وقد استغربت

من التبديل الذي طرأ على سلوكه وطريقته في التفكير. لقد فقد الكثير من استقلاليتته وعقلانيته. وجدت شخصا معطلا ينتظر قدوم خصيتين بنفسجيتين كأنهما اكسير الحياة، مستسلما لكم كبير من الخرافات. فبعد ان يأس رقية من مراجعة الاطباء ادخلته معها في دورة على الاضحية والعتبات والمقامات والخطوات المقدسة. فزارا كربلاء والكاظمية وسامراء ومشهد وقم والسيدة زينب ومقام رقية في سوريا. وعبرا الى افريقيا لزيارة النسخة المصرية للسيدة زينب في القاهرة. وظهر في مدينة الحلة مقام لواحدة من بنات الحسن تدعى (شريفة) تخصصت في معالجة الاضطرابات الجنسية والحمل. وكان عليهما كل مرة ان يضغطا على الشبابيك المقدسة باعضائهما التناسلية، وان يبيتا ليال هناك، وان يتجامعا ويحصل القذف الفعلي مرة واحدة على الاقل بجوار قبر مقدس. عندما انتهيا من أئمة الدرجة الاولى هبطا الى الدرجة الثانية: الحمزة الشرجي، الامام عون، وسبع الدجيل. ثم واصلا الهبوط الى أئمة الدرجة الثالثة: سيد مالك في النعمانية، سيد حمدالله في الباب الشرقي- الرصافة، وسيد يوشع في ناحية الفهود في الناصرية. وهكذا نجحت رقية تدريجيا في دفع اخي عمران بعيدا عن هيغل حتى اوصلته الى سيد يوشع. وهذا يمنحني الحق بالقول ان التحول العقلي لا يخضع للمنطق، بل للملازمة والدق اليومي. كانت رقية تأتية كل مرة بآخر ما تسمعه، وكان ينفذ بطواعية. فقد سمعت ان ابو البنات حنون، يطيل من فترة المداعبة ويبطئ في القذف، فمنعته من الملاطفة، وشددت على التعجيل اثناء الجماع. واتبعت حمية البوتاسيوم، والحمام المهبلي القلوي. وقد صدقا معا تقسيم السنة الى اشهر انثوية وذكرية، فكانا لا يجتمعان الا في آذار وايلول وكانون الاول. وسلخا معزة جبلية وناما على جلدها اربعين ليلة بناء على نصيحة لاحد الكرد المارين بالصدفة. والتهما اعشابا ما انزل الله بها من سلطان .

\*\*\*

رحت التمس العون من صديق الطفولة (راضي). وجدته في صومعته الخشبية غارقا في الخمرة والتأمل. لقد ترك مقاعد الدرس في قسم الفلسفة - جامعة بغداد ولكنه لم يترك الفلسفة نفسها. وجدت الباص الخشبية مركونا بصمت بليغ. مازال المكان الاصلح لفتح الملفات التي ترتبط بشكل وثيق بالفلسفة. وتبين ان راضي على اطلاع بمحنة رقية وعمران، فازاح ذلك الكثير من المقدمات. كان يحمل تصورات فلسفية عن الحل تعتمد على فكرة التسامي واعادة عمران الى باص الخشب. وحين عرضت عليه التصور الرياضي (نظرية الاحتمال ) تحمس كثيرا، ووجد نقطة التقاء خطيرة تجمعنا. اعددنا ملفا بالمعلومات الميدانية التي جمعناها. سمحنا بحضور اثنين من اخوات رقية مع ازواجهن بناء على طلبها. اوضحت لأخي وزوجته ان الأمر ليس له علاقة بالسماء او الأرض. حاولت تقديم تفسير يعتمد على نظرية الاحتمال. قلت لهما ان النظرية لا تعزل ذريتك عن ذرية الآخرين. ولكي تتبعدوا عن منطقة الشعور بالظلم عليكم ان ترتفعوا بقدر كاف وتنظروا الى



بناتكم كجزء من ذرية أكبر: مثلاً ذرية الجد أو الفخذ أو العشيرة كلها. وسيكون الأمر اهون اذا اجتمعت عشيرتا الاب والام. في هذه الحالة سوف تحصلان على صورة بعيدة عن المنطقة المظلمة التي تدوران فيها. شرحت لهم بشكل مبسط ماهية النظرية. ورحت اقربها لهم مثلما افعل مع الطلبة الذين لا يحملون فكرة عنها. عثرنا في سوق الهرج على مانحتاج اليه من قطع الدراهم المعدنية. لم يعد لها قيمة في التداول لكنها سوف تكون حجر الزاوية في مشروعنا للبحث عن مخرج لرقية وزوجها. كل شيء اصبح معداً للتجربة التي سوف نجريها. أخذ الحضور اماكنهم في الباص. وضعنا صينية كبيرة على الطاولة الخشبية لكي تستقبل قطع النقود التي سوف ترمى.

الدرهم له وجهان. بالعامية العراقية ( طرة وكتبة )، لكننا سوف نسميهما ( وجه وقفا ) كي يشاركنا العرب هذه المحنة، وهما يملكان نفس احتمالية الحدوث وهي (50%) خمسين في المئة. الا اذا كان الدرهم مغشوشاً. تركنا رقية تختار ايهما يمثل الولد فاخترت الوجه. وبذلك تكون البنت هي القفا. وضعنا الدرهم في كف رقية. وجرى الاتفاق على 6 رميات. انتبهوا جيداً الى هذا الرقم. بإمكانكم ان تقلبوه في مخيلتكم الى 6 ولادات. تحولت باص ابو راضي الى مستشفى للولادة الرياضية. اصبح الجميع متلهفا لمعرفة ما يسفر عنه هذا المخاض الجديد. حدست رقية على الفور ذلك التناظر المريب بين رمي قطعة النقود وبطنها. ومثلما استعدت للبدء بالطلق فاننا اصبحنا نترقب تسجيل النتائج. امسكت رقية بالدرهم بقوة، وراحت تعتصره، وتنفخ فيه، كأنها تستدعي لحظات العذاب التي عاشتها ست مرات، ثم رفست الدرهم بقوة الى الهواء، بطريقة لا تختلف رمزيا عن لحظة الطلق. علقت اختها الصغرى قائلة : (هذه اول مرة تنجب رقية بهذه الطريقة). طار الدرهم محلقة فوق رؤوسنا وهو يحوي وجهها وقفا او ( ولدا وبنات ) يتقلبان في الهواء فيقلب وجه رقية معه، يسقط في الصينية فنسمع جميعاً رننه مثل صرخة جنين خرج تواً للدنيا. سوف يتأرجح قليلاً قبل ان يستقر مفرجاً عن (وجه) ناصع. صاحت اختها مبتسمة، وبثت البشرى في وجه اخي عمران.

(ولد ... ولد، رقية جابت ولد).

(جابت) بالعامية العراقية معناها (انجبت). سجلنا نتيجة الرمية. لم تتمالك رقية نفسها. حملت الدرهم بكفها وراحت تقبله، ثم تشمه، ويخيل الي انها كانت تبحث فيه عن خصية مختبئة لتطبق عليها، ثم ناولته الى عمران فطبع قبلة حارة. واستعدت بانتشاء للولادة الثانية. رمت الدرهم من جديد، فحلّق في هواء الباص، ثم سقط، فاعطى وجه ( ولد ). وشعت عينا رقية بالبشرى. وباركت لها اخواتها رميتها. وجاءت بقية الرميات كالآتي: قفا، وجه، قفا، وجه. وبذلك حققت قدرية في الجولة الاولى المؤلفة من ستة رميات: 4 وجه (ولد)، و 2 قفا (بنت). وهي نتيجة طيبة ومرضية لها.

ولكي ندخل في صلب نظرية الاحتمال كان علينا ان نعيد التجربة مرارا بجولات سداسية. في الجولة الثانية جاء الولد مرتين. وفي الثالثة خمسة مرات. والرابعة مرة واحدة. وفي الجولة

الخامسة ثلاثة مرات. كانت اصابع رقية ترتجف وهي ترمي الدرهم كل مرة. حين انتهت الجولات الخمس تنفست الصعداء . فقد ظهر الذكر في جميع الجولات، كأن حياتها اعيدت خمس مرات ولكن بنتائج اخرى من صنع يدها. استهوتها اللعبة . انتعشت روحها. وراحت الدموع تتساقط من عينيها وهي تلتهم قطعة النقود وتلصقها بصدرها مثل جنين بحاجة الى الرضاعة. ذهبت النتائج في عمق محنتها. ما الذي يجري في بطنها أذن؟ من هو المسؤول عن الدرهم الذي يتقلب في احشائها كل مرة؟ سوف نذهب الى قلب المحنة. ونطرح السؤال الذي يعيش لحظيا في وجدان رقية: ما هو احتمال الحصول على ست بنات؟

الجواب: ان احتمال الحصول على 6 قفا (بنت) من ستة رميات يمكن حسابه بضرب الكسر ( 0.5 ) في نفسه ستة مرات لنحصل على ( 0.015625 )، او واحد من اربعة وستين. وهو احتمال ضعيف جدا، لكنه قد وقع لرقية. وهذا ما يعطيها الحق بالمرارة. ولكن الشيء الذي لا تعرفه رقية ان هذا الاحتمال الضعيف جدا هو نفسه احتمال مجيء ستة اولاد من ستة ولادات. ان نظرية الاحتمال لا تفرق بينهما بتاتا. ولا تعرف المفاضلة بين البنت والولد. مازالت المشكلة قائمة؟ اين العدل؟ هل هو في ولد واحد، ام اثنين، ام ثلاثة، ام اربعة، ام خمسة، ام ستة؟

جربت الاختان حظهما. جاءت النتائج معززة لما وصلنا اليه. ان العينات الصغيرة لا تعطي اي مؤشر. وتدفع الى التساؤل والحيرة. ان كل الاحتمالات واردة. والسؤال الذي لا مفر منه:

اين العدل اذن؟

جاء دورنا كي نرمي مافي جعبتنا. هنا تجيب نظرية الاحتمال بقوة وصلابة ان العدل لا يظهر في العينة الصغيرة، بل يتطلب زيادة عدد الرميات الى اقصى حد ممكن. وبدل 6 رميات سوف نرتفع الى 100 رمية . وضعنا مئة قطعة نقدية (درهم) في علبة معدنية. وطلبنا من رقية ان تخضعها جيدا قبل ان ترميها في الصينية. بإمكانكم ان تتخيلوا رقية وهي تنجب مئة طفل مرة واحدة.

جاءت النتيجة: 33 وجه (ولد)، 67 قفا (بنت).

شيء حسن، لكننا مانزال بعيدين عن النسبة المثالية (المنصفة). سجلنا النتيجة، واعدنا الكرة في جولات جديدة حتى وصلنا الى ما مجموعه ( 1000 ) رمية منذ بداية التجربة.

قرأنا النتائج النهائية : وجه ( ولد ) 447، قفا ( بنت ) 553 .

ولو قسم كل منها على 1000 فسوف يعطينا ( 0.447 )، ( 0.553 )، وهي ارقام قريبة من النسبة المطلوبة . هنا تظهر العدالة او القانون الالهي بوضوح اكبر. وكلما زاد عدد الرميات كلما اقتربنا اكثر من النسبة السرمدية ( الخمسين في المئة). ليس صعبا الآن القول: ان رقية لو انجبت 1000 طفل فمن المؤكد انها ستشعر بوجود قوة عاقلة متزنة وسط هذا الاعتباط المؤلم. وبأن اللاعب الخفي اكثر عدالة مما تتصور. وسيصبح اكثر عدلا لو

انجبت عشرة الاف طفل. وستكون العدالة اقرب للمثالية اذا استطاعت رقية ان تنجب مليون طفل. العدل يظهر بوضوح عند زيادة عدد الرميات (الولادات). هنا يكمن لاعب النرد الخفي. وسواء كان هو الله او نظرية الاحتمال فالتسمية ليست مهمة، فهو عادل بشكل مذهش للغاية حين يجمع الاعتباط والحتمية في جسد واحد. لكي نصل الى هذه العدالة علينا ان ننظر بطريقة اخرى الى انفسنا: ان نرى انفسنا وسائل وليس غايات. وظيفتنا ان نكون ادوات للعدالة وليس تحديد مضمونها. ان لا ننظر الى انفسنا كمحور، بل حرف في عبارة طويلة. لاشك يا رقية انه ليس بمقدورك انجاب مليون طفل. وهو ليس ضروري يا عزيزتي. ان اللاعب الخفي وزع تلك المهمة على عدد آخر من البطون. اليك قائمة مصغرة من صنع لاعب النرد الخفي . مؤلفة من اثني عشر عائلة تعرفينهم جميعا. لتري بنفسك شكل العدالة. لاحظي يا رقية ان اسمك من بينها. انت هنا ضمن سلسلة ولست محورا.

\*\*\*

وضعنا احصائية لعائلة اهلي (ذرية ابي) المكونة من ستة بنات وستة اولاد كلهم متزوجون. حسبنا عدد الأطفال وجنسهم :

- خولــــة و ســــامي : 3 ذكــــور، 3 أنــــثــــات .
- طــــالب وزهــــرة : 4 ذكــــور، 5 أنــــثــــات .
- حــــسن و ربــــيعــــة : 2 ذكــــور، 0 أنــــثــــات .
- صبيــــحة و غــــازي : 7 ذكــــور، 4 أنــــثــــات .
- بدريــــة و موــــحــــان : 1 ذكــــور، 3 أنــــثــــات .
- ضــــواهن و خــــلف : 6 ذكــــور، 2 أنــــثــــات .
- معن و كــــريمــــة : 1 ذكــــور، 2 أنــــثــــات .
- عمــــران و رقيــــة : 0 ذكــــور، 6 أنــــثــــات .
- جــــسام و اميــــنة : 3 ذكــــور، 1 أنــــثــــات .
- فــــاتنــــة و غــــالب : 1 ذكــــور، 1 أنــــثــــات .
- ســــلامــــة و حيدر : 3 ذكــــور، 2 أنــــثــــات .
- هــــشــــام و مــــنى : 2 ذكــــور، 1 أنــــثــــات .

المجموع : ذكور : 33 ، أناث : 29

ولو حسبنا النسب ( ذكور: 53% ، أناث 47% ) لخرجنا بنتائج ممتازة جدا لصالح نظرية الاحتمال رغم صغر العينة. ولو اضفنا اهل رقية: اخوتها واخواتها المتزوجين واطفالهم، سوف ترتفع النسبة اكثر. وعندما نصعد عموديا الى الجد من جهة الاب ( ابنائه: جميل

وجبر وراهي وشراد، وبناته: بشيرة وكفهن ورسمية) وحسبنا ذريته فسوف تقترب النسب اكثر من حدود نظرية الاحتمال، وهكذا كلما اتسعت العينة كلما ازداد الاقتراب من المناصفة. ولو انتظرت يا رقية حتى تكبر بناتك الست ويتزوجن وينجبن، فسوف تغيرين الكثير من معتقداتك.

\*\*\*

## نكبات عمتي

في الطريق الى مستشفى الأمراض العقلية ( الشماعية ) عبر اخي عمران عن شعوره بالخلج من بقاء عمتنا (بشيرة) في مستشفى المجانين. انه يأمل ان يساعد حضوري في علاجها واعادتها الى البيت. اجبته ان الجنون ليس عيبا، انه وسيلة دفاع، وربما يوفر لعمتنا توازنا نفسيا افضل من التعقل. صمت اخي وواصل قيادته للسيارة وسط ازدحام مروري مكثف. كان طريقنا يمر بشوارع مدينة القاسمية المكتظة بالبشر والعربات من كل صنف. وبسبب الحواجز الامنية ونقاط التفتيش أصبح الطريق الى المستشفى يأخذ وقتا يعادل عشرة اضعاف الوقت الطبيعي. وكان على اخي عمران ان يملأ هذا الفراغ بالمزيد من استحضار الذكريات. مررنا على السنوات العشر التي عشتها في حضان عمتي. لم افارقها حتى بعد ان انتقلت الى بيت زوجها (حافظ طعمة) الموظف في دائرة النفوس. شهدت نكباتها الاولى دون ان اعى وطأتها. كانت ذاكرتي تخبو مثل كومة حطب فينفخ فيها عمران. قبل ان اغادر البلاد كانت عمتي قد اصببت بنكبتين متتاليتين فقدت فيهما اثنين من عائلتها. الضحية الاولى كان زوجها (حافظ 47 سنة) في حادث مروري فترملت مبكرا. ثاني الضحايا كانت ابنتها (فاتن 34 سنة) التي تورطت في علاقة حب فاشلة، دفعتها الى الانتحار، مع كم لابس به من الغمز والأشاعات. عند هذا الحد توقفت ذاكرتي ولم يعد لي اية صلة بتاريخ عمتي وما حل بها بعدي. بعد رحيلي بسنوات غرق ابنها (مهدي 15 سنة) في بحيرة الثرثار. وفي عام 1983 فقد ابنها جندي المشاة (ستار 27 سنة) في قاطع ديزفول في اول اشتباك مع الإيرانيين، وانقطعت اخباره كليا. لم يبق لها سوى (ضياء) اصغر ابنائها. جلست فوقه بثبات. ومدت جناحيها الواسعتين مثل نسر لتحافظ عليه باظافرها واسنانها امام قدر الموت الذي يطاردها. قطعت نقطة التفتيش الأخيرة تدفق حديثنا، ووجدنا انفسنا على مشارف مستشفى الشماعية للأمراض العقلية. حين دخلنا المستشفى استقبلتنا احدى الممرضات، وبدا انها على معرفة خاصة باخي فقد اجلستنا في غرفتها وصنعت لنا شايا. ومع حضور اقداح الشاي دخلت علينا سيدة عجوز منفوشة الشعر بلا فوطة ولا عباءة. وبدا عليها انها احدى نزيلات المستشفى. ما ان تبادلنا النظرات مع اخي حتى رأيتهما ينخرطان في وقت واحد في بكاء مريع. ارتمت العجوز في احضانها وارتى في احضانها وراح يقبل يديها وجبينها وركبتها. ثم التفت الي وجري اليها وسط سحابة من النحيب والدموع المدرارة.

( هل عرفتيه يا عمتي ؟ )

التفتت ناحيتي. تقدمت خطوة. ازاحت خصلة شيب كانت تغطي عينها اليمنى، ثم تراجعت الى الوراء خطوتين كأنها ترجع بالزمان. وبدل ان تقترب ظلت ترجع بخطواتها الى الوراء. فتقدمت نحوها. وكلما تقدمت خطوة تراجعت هي خطوتين، حتى وصلنا سوية الى زمن بعينه، ولمسنا جمرة تلك السنين الخوالي. فناحت عمتي مثل طفل تائه، وسال اسمي من بين شفتيها، وتدلى مع خيط من اللعاب الى عنقها. مالت بوجهها يمينا وشمالا وهي تقلبني بترو لتستوعب حضورا مباغتاً، ثم ابتلعت شهقة عميقة لتملأ صدرها المثقل بالالوجاع. فتحت ذراعيها، واغمضت عينيها، تاركة دمعيتين تتدحرجان في خطوط جفنيها، ثم تهبطان بأناة لتقفا عند طرفي فمها. لم يتوقف النحيب. في لحظة واحدة ذاب جليد الغربة. ووجدت نفسي اعود الى حضنها طفلاً. وهي تشمني وتمرر اصابعها على كل حرف جديد في وجهي، في غضوني، وعيوني، في فروة سوداء مطبوعة في الذاكرة رغم الصلح والشعيرات البيضاء المتبقية. كانت الدموع تتساقط لالف سبب وسبب. سكنت اخي وراحت عمتي تروي مأساتها بنفسها. كانت الدموع تضيء وجهها مثل اقمار سوداء مع اقتراب مأساة عمتي من ذروتها. فقد حصل في غياي حادث مروع يتجاوز في شناعته كل الحوادث التي مرت عليها. كانت عمتي على وشك ان تتعافى من النكبات الأربع بعد ان وضعت كل ثقلها الوجودي على كتفي (ضياء) الابن الوحيد المتبقي لها. لم يبق لضياء سوى يوم واحد على التخرج في كلية طيران الجيش. كل ما في ضياء كان يدفعها الى الأمل بالعودة الى الحياة: وسامته المفرطة، وطوله الفارع، ودماثة خلقه، النجمتان الذهبيتان اللتان سوف تستقران على كتفيه، لقب طيار الذي ينتظره، والعش الزوجي الذي انتقته بعناية واعدته له طوال سنين. كل هذه التفاصيل وما يرافقها وضعت عمتي على اعتاب الشفاء من النكبات الأربع، والعودة التدريجية الى الحياة، والعيش لما تبقى لها من سنين دون كوابيس. غير ان سهوا بسيطاً في طريقة النزول من كابينة الطائرة السمتية وضع حدا لكل هذه الآمال العريضة. كانت المروحة مازالت تدور. وكان عليه ان يخفض رأسه عند نزوله من الكابينة. لا احد يدري بالضبط، وحتى مدربه كان عاجزاً عن فهم هذا النوع من الخطأ الذي لا يرتكبه حتى هاو عمره بضعة ايام في الطيران. ما الذي جعله يخرج من الكابينة منتصب القامة؟ هل هو الزهو؟ الطول الفارع؟ الحماس والغبطة؟ هل هو طيف أمه التي تنتظر هذه اللحظة بكل جوارحها؟ هل رآها وهي تطير في الهواء لتعانقه؟ هل سمعها وهي تزغرد، وتطش الحلوى فوق رأسه؟ هل كان يتأملها وهي تتعافى وتخلع السواد القديم؟ كيف يمكن لمن يرى كل هذا ان يلتفت الى مروحة؟ حين حطمت المروحة جمجمته تحطمت معها كل الآمال والأحلام المعقودة. أصبح جنون عمتي (بشيرة) هو الحل الوحيد لأستيعاب هذا الأعصار المدمر. كان الكفر هو المسكن الوحيد لنوبات حزنها. حين تأتيها النوبة تحرص ان يعلو صوتها ليصل الى اكبر عدد ممكن من نزيلات الردهة. تنهال بعزم وثبات بمجموعة شتائم توجهها الى السماء. لم تكن توجه لوما او عتاباً بل اتهامات صريحة الى الله بالظلم. وقد وضعت معادلات معكوسة لأسماء الله الحسنى تحمل اوصافاً شنيعة، وقذف تقشعر له الابدان ممزوجة بنعوت سوقية. ان خشية الله تمنعني من ايراد الاوصاف والنعوت التي كانت عمتي تكيلها علناً الى الله. كانت تلك النعوت تليق بأعتى المجرمين. لا

تنتهي نوبتها الا بعد ان تكمل تلاوة ( 99 ) اسما شنيعا لله كفيلة بهدر دمها لو كانت خارج اسوار مستشفى المجانين . وقد استسلمت ادارة المستشفى لهذا العلاج بعد ان اكتشفت عجز الابر والصعق عن تهدئتها فغضوا النظر عن نوبات الكفر العلني التي كانت تأتيها يوميا.

\*\*\*

في طريق العودة سألي اخي ان كنت ما ازال اتذكر البيت الذي عاشت فيه عمنا بعد زواجها. واقترح ان اقود السيارة بنفسي. لكني اعتذرت له قائلا:  
( سأضل الطريق حتما).

لم اعد احمل عن المكان سوى ظللا باهتة. كان في السابق بيتا واحدا يجمع الاخوين ( حافظ وسبتي ) اولاد طعمة. بعد نكبات عمتي انتهى ان يكون بيتا لسبتي وذريته لوحدهم. عاد بي عمران الى تلك الزيارات الطويلة التي كنت اقضيها مع عمتي واولادها وابناء وبنات عمومهم. قفزت من فم عمران جملة خلخلت سياق الذكريات، قال لي:  
( سوف ترى البيت المسؤول عن جنون عمنا).

صدمتني الجملة بغرابتها. كانت اقوى من عصا غليضة انهال بها على ذاكرتي ليحطم ماتبقى منها. كنت حتى تلك اللحظة اعتقد ان نكبات عمتي تقف لوحدها وراء ما وصلت اليه. لكن اخي اعلن لي بثقة ان نصف جنون عمتي يرجع الى عائلة سبتي (شقيق زوجها). ظلت الجملة عالقة في الهواء تنتظر ايضاحا. تحدث عمران عن التاريخ المشترك لعائلة الاخوين (سبتي وحافظ ) والافتراق الذي حصل بعد ذلك. لقد تزوج الاخوان في يوم واحد، وزفا في لحظة واحدة: دخل (حافظ ) على عمتي (بشيرة) فانجبت له 5 مواليد، ودخل سبتي على ابنة عمه (علاهن) فانجبت له 11 مولودا. ما زلت اتذكر ان العائلتين عاشتا سووية في بيت واحد. لكني لا اتذكر حدثا بعينه فرقهما عن بعض، ما عدا ضيق البيت امام توسع العدد.

استقبلتنا السيدة علاهن بالقبل. وتقدم اولادها واعتصروني واحدا بعد الآخر. قادتنا الى غرفة الضيوف فوجدنا كبير العائلة (سبتي) مازال حيا وبكامل وعيه. نهض الينا رغم بلوغه الرابعة والثمانين. مازال الام (علاهن ) بكامل عافيتها. سوف تشرف بنفسها على اعداد الطعام لرتل طويل من المتزوجين والمتزوجات وذريتهم، راحوا يتقاطرون على البيت كأنهم في عرس. جاءت بنات سبتي الاربع مع اطفالهن. قبلوني جميعا. واستغربوا من صلي و شبي، فقد تركوني صبيا بفروة اسد سوداء تغطي وجهي. ذكروني بالسنين التي كنت لعب معهم رغم اني نسيت كل شيء. لم يبق ببالي سوى حضن عمتي. طافوا بي جوانب البيت العتيق. واخذوني الى تنور الخبز المكان المفضل لاختبائي في لعبة الغميضة. خجلت من سيل الود، ومن جهلي بهذه المخلوقات البريئة. وفي لحظة ما شعرت بحرج، فلقد نسيت الكثير من الكلمات الودية اللازمة للرد. التفت الى عمران فوجدته مشغولا باحصاء ذرية سبتي. وجد وفرة من المتطوعين لمساعدته. اخرج من جيبه قلما ودفتر

صغيراً، وطلب تسجيل أسماء جميع أفراد العائلة وأعمارهم. تزامم الكل حوله إذ كانوا يحفظون عن ظهر قلب أسماء وتواريخ كل فرد في العائلة. اقتربت إحدى بنات سبتي مني وقالت:

( بعد هذا سوف لن تنسانا مهما غبت )

انفرج فمها عن ابتسامة عذبة للغاية، كأنها تذكرني بشيء نسيته في تنور الخبز قبل أكثر من أربعين عاماً. ثم تقدمت أكثر مني ودفعت طفلها كي أقبله. الحركة التي افتعلها عمران كانت ذكية ومباغطة، حتى أنني لم انتبه إليها إلا متأخراً. سوف نفتح دفتره الصغير ونقتطع منه الأرقام الإجمالية.

يبلغ المجموع الكلي لبيت سبتي ( 86 ) نفراً، مؤلف من الوالدين والأبناء والبنات وذريتهم. وعلى صعيد البقاء حققت العائلة نتائج مذهلة حتى الآن، فجميعهم أحياء. رئيس العائلة سبتي وصل إلى عمر ( 84 سنة ) وزوجته علاهن ( 67 سنة ). الأولاد والبنات تجاوزوا جميعاً سن الخمسين، وخلفوا ذرية عبرت ثلاثة حروب، وحصار اثني عشر عاماً، وأعداد هائلة من المفخخات، دون أن يتعرضوا إلى خدش. رسم لنا عمران استقطاباً موجعاً بين عمتي وعلاهن زوجة سبتي. وللحظة نظرت إلى وجهه فوجدته يقطر أسى. وبينما فقدت عمتي جميع أفراد عائلتها البالغة ( 5 ) أفراد، فإن علاهن ما زالت تحتفظ بحيويتها وبزوجها وجميع ما خلفت من ذرية بما يساوي ( 86 ) نفراً. في باصنا الخشب رأينا عمران يزيج زجاجة الخمر والكؤوس التي وضعناها على الطاولة، ليضع قبالة أعيننا ميزان العطار ذي الكفتين. لقد استعاره خصيصاً ليرينا كيف يوزن الظلم. وضع في كفة عمتي ونكباتها، وفي الكفة الأخرى علاهن وذريتها. و تساءل بصوت حاد مليء باللوعة:

( أيهما الأثقل: من فقد كل ما عنده ؟ أم من يحتفظ بكل ما عنده؟ )

دفع لنا وجهه، فرأينا دمعتين تتفجران في مقلتيه، وتساءل بحسرة عن خفة العقل:

( من هو الأخف ؟ من يحق له أن يفقد عقله؟ ).

لم ينتظر منا جواباً. الميزان هو سر الجنون. ولكي لا ننسى راح يذكرنا أن الأخوين تزوجا في يوم واحد. أي أن العائلتين بدأتا من الصفر.

( لاشك أن نقطة البداية هي كفة في الميزان، وهي مطبوعة في ذاكرة عمتي )

توقف برهة ليسحب نفساً عميقاً مع تنهيدة ثم استأنف قائلاً:

( انظروا الآن إلى نهاية الميزان )

ثم أخرج من جيبه حاسبة صغيرة وطلب منا مساعدته في جمع أعمار بيت سبتي، فظهر المجموع الكلي 1893 سنة. أما عائلة عمتي فكان مجموع أعمارهم 210 سنة.

عمران: ( وإذا طرحنا هذا من ذاك نحصل على الرقم 1680 وهو وزن الظلم بالسنين. هذا الرقم يدور بطريقة ما في رأس عمتنا فيحطم كل اتزان فيها. عمتنا تجمع وتضرب وتطرح

كما نفعل نحن. تحسب الامتداد البيولوجي الزماني الشاسع لعلاهن، ثم تطرح منه البتر البيولوجي الزماني الذي تعرضت له فتخرج بحاصل لا يوازيه سوى الجنون).

اندفع عمران بنواح يقطع نياط القلب. تساقطت دموعه في احدى كفتي الميزان، وكانت ثقيلة اذ فقد بعدها توازنه. اضطراب الميزان والانفجار الوجداني لآخي عمران لن يمنعا صعود الامواج العقلانية العالية وهي تغمرنا سوية انا وراضي فيلسوف الباص الخشبية. سألني ان كنت ارى المحنة مثلما يراها. يريد راضي ان يتأكد كل مرة اننا عقل واحد موجود في مجتمعتين. اننا قطبان لمغناطيس واحد. ميزان العطار هو قلب المحنة التي يعيشها عمران وزوجته وعمتي بشيرة. ولو بقي الثلاثة ينظرون الى كفتيه فسوف يعيشون تحت سقف واحد في مستشفى الشماعية. ان معضلة آخي ليست معرفية فقط بل وروحية ايضا. لابد من تفتيت تلك الصلابة التي تثقل روحه وتدفعه الى اختزال العالم بهذه الطريقة المرة. نظرنا في وقت واحد الى جمجمة عمران وماتحتويه. وجدنا فقرا في الخيال، واختزالا في زوايا النظر الى العالم، وهناك طبعا نقص في الخمرة. كان لابد من صدمة اخرى، وبذات السلاح الرياضي البتر وهو نظرية الاحتمال. كان لابد من ازاحة الميزان، ووضع قطعة النرد.

النرد ( الزار ) له ستة اوجه هي ( 1،2،3،4،5،6 ). وتملك هذه الوجوه احتمالية متساوية عند الرمي. تساوي السدس ( ألا اذا كان النرد مغشوشا ). أن نظرية الاحتمال تؤكد ان هذا الرقم صحيح مئة بالمئة، ويمكن التوصل اليه ومسكه باليد. هل يعني ذلك اننا لو رمينا النرد ستة مرات فستظهر جميع الأرقام من واحد الى الستة؟ امسك يا عمران وجرب. ولكي لا نضيع الوقت. سوف نضع لك ستة قطع نرد في العلبة وسترميها مرة واحدة. بدأ عمران الجولة الاولى. رمى النرد ستة مرات. لكن الأوجه الستة لم تظهر جميعا كما تقتضي (العدالة). الامر طبيعي فالاحتمال هنا ضعيف جدا وقدره (1 من مئة ) تقريبا. اعدنا الكرة مرارا، في جولات موحدة مؤلفة من ستة رميات. سجلنا النتائج. كانت متفاوتة ولم يتحقق ظهور الارقام الست مرة واحدة في اية جولة.

عمران: ( اذن متى نحصل على نسبة السدس وتتحقق عدالة النرد؟ )

الجواب: حين نرمي النرد الى اقصى عدد من الرميات. اذا نظرت لكل جولة (من 6 رميات) على حدة فلن ترى اية حكمة، اذ يختفي من السلسلة وجه او وجهين وحتى ثلاثة. ولكن لو رميت النرد مئة او الف مرة فسوف ترى جميع الوجوه وان كانت بنسب متفاوتة وبعيدة الى حد ما عن نسبة السدس المطلوبة. انظر هذا الجدول بعد رمي النرد 60 مرة :

الوجه 1 ظهر 7 مرات.

الوجه 2 ظهر 13 مرة.

الوجه 3 ظهر 15 مرة.

الوجه 4 ظهر 13 مرة.

الوجه 5 ظهر 7 مرات.



الوجه 6 ظهر 5 مرات.

ولكن تمهل يا عمران، سوف نزيد عدد الرميات لنقترب من تلك الحكمة. وضعنا مئة قطعة نرد في علبة معدنية وطلبنا منه ان يخضها جيدا قبل ان يدلقها في الصينية. ورحنا نسجل الوجوه. اعدنا الكرة مرارا حتى وصلنا الى مجموع مقداره الف رمية. جمعنا النتائج النهائية، فجاءت كالآتي:

الوجه 1 ظهر 169 مرة.

الوجه 2 ظهر 163 مرة.

الوجه 3 ظهر 175 مرة.

الوجه 4 ظهر 173 مرة.

الوجه 5 ظهر 159 مرة.

الوجه 6 ظهر 161 مرة.

وهذه التوزيع يعتبر جيدا قياسا لعدد الرميات ( 1000 )، حيث ان قسمة اي واحد منها على ( 1000 ) تعطينا رقما يقترب كثيرا من نسبة السدس ( 0.166 ) وهو الغاية النهائية التي نريد الوصول اليها. فاذا رمينا النرد 6 ملايين مرة، فسوف نحصل على ارقام مقاربة جدا لنظرية الاحتمال، بواقع مليون مرة تقريبا لكل وجه من وجوه النرد. وللتبسيط سوف نفترض ان عمر الانسان مؤلف من ستة فئات عمرية متساوية في احتمالية حدوثها ( من سنة واحدة الى ستة سنوات )، تماما مثل النرد. ان قوانين الاحتمال تعطينا (معدل ) عمر هذا الانسان اذا رمينا النرد عددا كبيرا جدا كأن يكون 6 ملايين مرة. وضعنا مفردة (معدل) بين قوسين لانها ليست المفردة الدقيقة ، والاصح هو مفردة ( القيمة المتوقعة Expected Value ). فاذا جمعنا ارقام الوجوه التي تظهر وقسمناها على ( 6 ) مليون فسوف نحصل على رقم دقيق ومهم جدا هو ( 3.5 ) سنة، وهو يمثل عمر الانسان في هذا النظام المصغر. وضعت امام عيني عمران الشكل الرياضي لهذه الفورمولا، وحاولت ان اترجمها له بالكلمات قائلا: ان القيمة المتوقعة لاي نظام عشوائي تساوي حاصل جمع قيمة كل عنصر في النظام وتقسيم المجموع على عدد العناصر. وبشكل اوضح، لو اعتبرنا عمر الانسان يقابل وجوه النرد (6 وجوه):

في هذا النموذج يتألف عمر الانسان من ستة احتمالات: 1 سنة ، 2 سنة ، 3 سنوات ، 4 سنوات، 5 سنوات، 6 سنوات. مجموعها ( 1+ 2 + 3 + 4 + 5 + 6 ) اي ( 21 )، فاذا قسمت على 6 (حسب الفورمولا ) فسوف نحصل على الرقم ( 3.5 )، وهو محور العدالة في هذا النظام المصغر، ويدعى القيمة المتوقعة ( Expected Value ). فاذا عاش احدهم اكبر منه فهو محظوظ، واذا عاش اقل، فهو اقل حظا. كان علي ان استخدم مؤقتا ذات التوصيفات التي اعتاد عليها اخي. كنت اسحب بحذر الجمرة الملهبة المليئة بالأسى الى قمة العقل الباردة. سوف نكبر هذا النموذج ونذهب الى عمر الانسان بشكله الاقرب الى الواقع، ولنفترض انه لايعيش اكثر من مئة سنة. ان عمر الانسان هو امر (عشوائي ) او هو

نرد مؤلف من مئة وجه، او مئة احتمال. بكلمة اخرى ان هناك مئة وجه للموت، تبدأ من الواحد وتنتهي بالمئة. ان هذا النظام يعطينا محورا للعدالة بموجب نفس الفورمولا السابقة. ان عمر الانسان في هذا النظام هو ( 50.5 )، خمسون سنة ونصف ، انه الحتمية او العدالة في جوهرها البعيد، وهو الارادة العليا للاعب النرد الخفي.

وكان علينا ان نبحر في تاريخ الانسان لكي نصل الى هذا الرقم. كان علينا ان نجري بعض الحسابات ونستعين بجداول اضافية للوصول الى الاهداف المرجوة. جمعنا اعمار وفيات العائلة: ابتدأنا بضحايا عمتي بشيرة: الزوج 47 ، فاتن 34 سنة ، ستار 27 ، مهدي 15 ، ضياء 22 . اذن معدل الحياة هو 29 سنة. لا شك انه معدل واطى ومثير لانواع الأسى، ويحمل ما يكفي من الاعذار لجنون عمتي. وكان لابد من التوسع افقيا. وضعنا جدولا بوفيات العائلة حتى الدرجة الرابعة. قفز المعدل الى 40. وهذا الرقم مازال متدنيا. ويدل ان عائلتنا حتى الدرجة الرابعة ما زالت تحتفظ بالكثير من المآسي. اضفنا الحاج (جابر عفلوق) الذي عاش حتى الخامسة والتسعين، وكذلك جدتي (خاجية) التي بلغت التسعين. غير ان تلكما الشطحتان لم تؤثرا كثيرا على الخط العام للوفيات الذي ظل يتراوح عند 45 سنة. قام راضي بعملية مسح وجدولة لوفيات قطاع 20 (الف دار) في مدينة القاسمية. ارتفع الرقم الى 55 سنة. ثم عاد وانخفض مجددا بعد ان سمح لنا موظف في دائرة نفوس المدينة بالاطلاع على ارشيف الوفيات. اصبحنا امام عدد ضخيم من الموتى ملهب للحماس. دخلت في حساباتنا دفعة واحدة موجات من ضحايا الحرب، وعدد مفزع من المغيبين والمعدومين والمفقودين والمنقطعة أخبارهم، واطفال الحصار الذين توقفت حياتهم بسبب نقص الحليب والدواء، مضافا لذلك سلسلة الميئات العادية، وحوادث الانتحار الغامضة، والغرق المتعمد، وحوادث القتل لأتفه الاسباب، والكمد الذي يدفع الامهات والأرامل الى اختصار طريق العمر. حين خرجنا من تلك السجلات وصل الرقم الى 44 سنة.

لاشك ان هناك اماكن اخرى في البلاد سوف ترتفع فيها هذه النسب. هناك عراقيون من نوع آخر، يموتون بأرادتهم، يرفضون مغادرة الحياة قبل الثمانين. اما في الخارج فلا زال هناك عالما يكشف عن ارقام اخرى. استطعنا العثور على تقرير الامم المتحدة الذي يقدم لائحة بوفيات امم الارض. نذكر منها على سبيل المثال:

اليابان 83 سنة ، فرنسا 81 ، هولندا 80، الولايات المتحدة 78، الامارات 76، الصين 73، روسيا 68، العراق 67 ، الهند 64 ، موزامبيق 49 ، افغانستان 47 ، زمبابوي 46 .

وقبل ان نعبر الى الخطوات التالية في الاحصاء، اعترض عمران طريقنا وطلب منا ان نتوقف امام نموذجين يكشفان بحدة الظلم في العالم على حد تعبيره: اليابان وزيمبابوي، عمر الياباني (83 سنة)، والزمبابوي (46 سنة). وجد فائضا في الحياة قيمته 37 سنة لصالح الفرد الياباني. اما على مستوى الأمة فوجد فارقا شنيعا. اليابان (130 مليون مضروبة في 83 يساوي 10790 مليون سنة)، زيمبابوي (13 مليون مضروبة في 46 يساوي 598 مليون سنة). بعد الطرح حصل على 10192 مليون سنة، اي مايزيد على عشرة مليار سنة .

وهو فائض هائل للحياة تتمتع به الأمة اليابانية مقارنة بشعب زيمبابوي. لم نستغرب من الطريقة التي ينظر بها عمران. فقد كانت هي نفسها التي ينظر بها الى كل من عائلة علاهن وعائلة عمتي، انه ميزان العطار الذي وضع فيه هذه المرة الامة اليابانية في كفة وشعب زيمبابوي في الاخرى. غير اني رجوته ان لا يتعجل الوصول الى مثل هذا الحكم. اخبرته ان يترث قليلا وان يبعد مطرقته المرفوعة لتحطيم الله. اخبرته انه مازال ينظر الى الوجود بنفس الطريقة، ومن نفس المكان الذي تقف فيه عمتي ( مستشفى الشماعية ). علينا ان نوسع دائرة الوجود. وبمصطلحات نظرية الاحتمال نكبر العينة الى اقصى حد لنرى كيف يتصرف لاعب النرد الخفي، والى اين يريد ان يصل بنا. وبالنسبة لتقرير الامم المتحدة، اكدت له ان الخطأ يكمن في تقسيم البشر الى سفارات ودول واعلام، بدل النظر اليهم كمخلوقات تعيسه، مهددة بالموت مهما ارتقت. ان هذا النوع من النظر يهمل وقائع التاريخ. فمع نهاية الحرب العالمية الثانية وصل عدد الضحايا الالمان الى ستة ملايين، الكثير منهم لم يكمل العشرين. ولو اجرينا في ذلك الوقت مقارنة بين عمر الألماني والأفغاني لكانت الارقام في صالح الأفغاني. ولو اخذنا شريحة صغيرة في تاريخ اليابان هو الساعة 8:15 يوم 6 آب عام 1945 وحسبنا عمر الياباني في جزيرة هيروشيما بعد خمس ثوان لأمكننا الخروج برقم مفزع لا يقارن بالفقر قرية في زيمبابوي. لكي نصل الى عمر الإنسان الحقيقي ( 50.5 سنة ) علينا ان نمسح تاريخ وجوده على كوكب الارض منذ اللحظة الاولى. نمتد مكانيا وزمانيا. نسجل ضحايا الحروب، وحملات الابادة الجماعية، والكوارث الطبيعية، والعصور الجليدية، وضحايا الاوبئة، والحيوانات المفترسة، ولدغات الافاعي والعقارب والحشرات الاخرى. ينبغي مسح تاريخ الامبراطوريات القائمة على شئ واحد هو بناء جيوش جرارة لقتل الإنسان قبل الأوان، واختراع كل ماهو ضروري للقضاء على الموت الطبيعي. ان جعل عمر الانسان اعتباطيا هو هدف غير مقصود لجميع الامبراطوريات القديمة والحديثة على السواء.

\*\*\*

صعد الليل الى باص الخشب حاملا معه زجاجة خمر. حملت شقيقة راضي لنا مايكفي من اطباق المزة. وضعتها على الطاولة وعادت لتنام. حمل عمران ميزانه وغادر باص الخشب. بقينا انا وراضي. نعب الكأس تلو الكأس. مع كل جرعة كانت الفكرة تطل علينا من قعر الكأس وهي اكثر تألقا: الطريقة التي ينظر بها اخي وزوجته وعمتي الى العالم مكونة من قطبين (نقيضين). تتجسد هذه النظرة في البحث عن النقيض. بحث الام (فخرية) عن ضررتها (نقيضها) اورثته الى البنت (رقية)، التي بدورها نقلته الى زوجها عمران. وجدت عمتي ضررتها (نقيضها) في بيت سبتي. انه البحث عن الخصم وليس المتمم. وهذه الطريقة تنبع اصلا من جهل مطلق بالعلاقة بين الاعتباط والحتمية، او بالاحرى عدم الاعتراف بها. لاعب النرد الخفي جمع الاعتباط والحتمية في وحدة عضوية رائعة. الحتمية هي غاية الاعتباط. لايمكن رؤية الحتمية في عينة صغيرة. كلما كان العالم صغيرا ( العينة صغيرة) كلما صعب رؤية القانون العام (الحتمية)، وازداد الشعور بالظلم (الاعتباط). ويمكن

القول ان القمار ولعبة الدومينو والورق تنتمي الى عالم الاحتمال، بينما تنتمي لعبة الشطرنج الى عالم الحتمية. وهذا يفسر قلة هواة الشطرنج. ان جاذبية اي حقل تتحدد بدرجة الاعتباط الذي يحتويه. من هنا نفهم شعبية كرة القدم. الاعتباط ميدان يسمح بدخول الجميع، على عكس الحتمية التي لا يدخلها الا الاذكياء فقط. ان الوجود بدون اعتباط هو وجود متجمد داخل المعرف. وان المساعي الرامية لتحويل كل ما هو اعتباطي الى حتمي هي الشر بعينه. وهي عمليات اعدام للمتعة. مثل ادخال التقنيات الحديثة في هواية صيد السمك، او معرفة جنس الجنين سلفا ( السونار )، ناهيك عن تحديده، او اقتراح وضع مجسات اليكترونية في ملعب كرة القدم، وغيرها. ان الايمان بوجود لاعب نرد خفي هو امر ضروري لتقبل الوجود، ليس بالضرورة ان يكون مخيفا، تسجد له الملائكة، ولا معنيا بالديانات ولا الانبياء او مسؤولا عن الحياة بعد الموت، بل ان له وظيفة مهمة ويستحق عليها كل التبجيل هي ضبط الايقاع بين الاعتباط والحتمية.

\*\*\*\*\*

## إرْحِيْمُ المنكوب

الالف قبل الراء لابد منها حيث يتكيء اسمه، ثم تشديد الياء وكسرها، اما الواو فتتمد طويلا حتى تمسح وجه المدينة الغارقة بالوحل، وقبل ان تصل الواو عند حرف الباء، تمر على المسطحات الآسنة المليئة باكياس النايلون والبرغوث والملاريا، وسيولد منها لقبه الفني: إرْحِيْمُ المنكووووووووب.

( مطرب الاهوار والمستنقعات والبرك. غنى وهو في بطن امه، ورضع الفن منذ ولادته. لن يموت المطرب الاصلي سلمان المنكوب الا اذا مات هذا المغني الشاب، والصوت الصاعد في فرقة (فرطنة) للفنون الشعبية: إرْحِيْمُ المنكووووووووب).

هذه الكليشة كانت جزءا من الطريقة المعتمدة في تقديمه للجمهور في اعراس مدينة القاسمية - شرقي دجلة . ذهب الى الحرب. كان على موعد مع رصاصة في العنق. وقبل ان نقله الى مثواه الاخير رفعنا جثته الى الباص الخشبية - مأوى الهارين - لنختم سيرته، ونضع تعريفا اكثر جرأة له، ويلقي الضوء على الخصائص الممنوع تداولها في اعراس المدينة. ارحيم المنكوب: اول الهارين من الحرب، صناجة من ليس لهم موقف سليم من الخدمة العسكرية، ولا يحملون (عدم تعرض). كانت هناك خمسة اجهزة رسمية تطارده لتخرجه من الدنيا قبل الاوان. في المرات القليلة التي ارتدى فيها ملابس الجند لم يكن يشغله سوى (يوم الغاية)، وهو آخر يوم في اجازة الجندي. قرر ان يعيش بلا غاية ليحفظ حنجرته من العطب. (شلع رحاته)، انتبهوا، هذه واحدة من شفرات المدينة (القاسمية)، اي خلع ضرس العقل، حتى قبل ان ينبت له اصلا، هكذا يطلقون على من يرتكب جريمة الهروب ثلاثة مرات. في سجل (الكنية) نعث على اوصاف مفزعة له، كل واحدة منها تقود الى اعدامه. وفي (جدول الضبط) تتراكم المجالس التحقيقية العسكرية لتجعل منه صيدا ثمينا لمفارز الانضباط العسكري. كان عاشقا للهروب، يلتحق بوحدته ليهرب من جديد. كل ايام غيابه عن (سوح الوغى) تتحول الى غناء و حفلات اعراس، وبني خلالها سيرته كواحد من افضل المقلدين للمطرب الريفي (سلمان المنكوب). لم يبق في الساحة سواه بعد ان اكلت الحرب جميع المقلدين. اجتمعت فرطنة بفرقتها. لاتعيدوا عربون الحفلات الى

اهلها فسوف ينهض من رقدته. هذا الموت طاريء مثل نومة الطيور. سوف نعيد الطلقة من حيث اتت. كيف يقتل من لم يحارب ابدا!!؟.

ظهر لمدة خمسة دقائق في برنامج للمواهب مقلدا للمطرب سلمان المنكوب، فتم ضمه الى جوقة الفيلق الثامن المؤلفة من ثلاثمئة منشد ومنشدة بقيادة طالب القرغولي. كان عليه ان يصل معهم الى درجة جواب الجواب ( الصول لاسي ) وهو يردد: ( احنه مشينا للحرب )، لكنه هرب من البروفة الاولى، خرج من مبنى الاذاعة ومشى باتجاه معاكس للحرب تماما.

حين خرج من بطن امه لم يصرخ، بل اطلق صوتا رخيفا يشبه طورالحيايوي. سوف تعيش امه بضعة ساعات فقط بعد ولادته لتوصله الى الدنيا، كأنها ساعي البريد. وفيما كان الناس يرفعون نعش امه، كان فمه المتعطش للحليب يفتش بعينين جائعتين عن ضرع يلتصق به. اختار القدر فرطنة الوصيفة ( الزنجية ) ام رياض الحبشي لتكون امه بالرضاعة. تركت النسوة يودعن الميتة وحملته الى صدرها. كان صدر فرطنة يحوي ضرعين مختلفين: واحد للحليب، والآخر للخمرة ( العرق). لانعرف في الحي اي منهما للخمر واي للحليب، وكيف توفق بين رضيعها رياض، وبين الفم الجديد ( ارحيم ). حين وجد نبع الحياة سكنت تماما، ثم راح يدندن بصوت يدغدغ حلمتها البنية، وغفى فالتصق رأسه برأس رياض الحبشي شريكه في الرضاعة، ولاحقا في الهروب، وفي الفرقة الشعبية التي تديرها الام. سوف يكبر ارحيم ليكون نسخة مرموقة من سلمان المنكوب، وسيكبر رياض ليكون بزاخ ( راقص) العصر بلا منازع، والعضو اللامع في فرقة فرطنة الشعبية، والذي كان يسير على طابوقة واحدة من سطح الى سطح محاكيا الرومانية ناديا كومانشي. على هذا النحو اصبح ارحيم اخ بالرضاعة لرياض الحبشي وللوصائف الثلاث (كاملة، وساجدة، ورجاء)، وكان ينام معهم اغلب الوقت، وشرب على ايديهم اصول فقدان الوعي (الكنكرة)، وهو نوع من التصوف الزنجي، رجفة تشبه سكرات الموت، او رتل من النمل، تصعد في الاكتاف لتميتها وتحيتها، وتتفتح الرؤوس على الطبل الخزف، وتتناطح الجباه مثل قرون الماعز للتخلص من جاذبية الارض، والاتزان على خيط رفيع عند ذروة المزاج. وهكذا كانت الرضاعة والخمرة الطبيعية تدخلان في تعريفه. بعد فطامه تحول من ضرع فرطنة الى عرق زحلة، وكانت الكف التي تحمله هي ذاتها التي تسقيه الخمرة. حين قررت فرطنة فطامه وضعت في فمه ضرعا من البلاستيك (ملهية )، لكنه رماه بعيدا وراح يبكي لثلاثة عشر يوما. كان يتحایل ليعود الى حضنها من جديد. وبينما كانت ساقاه تكبران، كان فمه متوقفا عند لحظة الفطام. كان عليها ان تكون حازمة وتدوس على رقة قلبها. قطعت عنه ضرع الحليب، فتقبل على مضض الحليب المجفف. ثم جربت ان تقطع عنه ضرع الخمرة. فتحت ربعية العرق

المحلي (الزحلاوي). خلطته بالماء. وضعت الطفل في حجرها، كان عمره قد تجاوز الثلاث سنوات. سوف يلسعك، قالت له، فاغمض عينيه، وفتح فمه. كل ما فيه كان غضا طريا. خافت ان تحرق لسانه، فسكبت في جوفه نصف قدح مع قشرة ليمون حامض. وجده لذيذا فتقبله.

\*\*\*

قرر السيد الرئيس زيارة المدينة التي مضى عليها عقدين دون منظومة تصريف للمياه الثقيلة (مجاري). عبرت حاجز المليونى نسمة، وعبر معها رقم الهارين من الحرب الى مئتي الف. وبسبب البرك التي تغطي وجه المدينة، يصعب وصول مفارز الانضباط العسكري والحزبي الى داخل الازقة. كانت تلال الزبل جزءا من معالم الزينة والعلامات الدالة لسائقي عربات الاجرة. السائق للراكب: اين تريد ان تنزل؟ الراكب: بعد تل الزبل الثالث. لم يكن وباء الملاريا هو الخطر. كانت المدينة بحاجة الى شيء واحد - من وجهة نظر السيد وديع الشخلى امين العاصمة ووكيل الداخلية - هو تخليصها من الهارين. في ذلك الوقت وزع منشور سري يتحدى الرئيس وموكبه ان يخترق المدينة بسبب المستنقعات والبرك. لاشك ان نرجسية السيد الرئيس وقعت في الفخ، فتم تأجيل الزيارة لحين وصول فرقة مدرعة من كوريا الجنوبية مؤلفة من مئتين وخمسين جرافة وشافطة وحفارة. وضعت هيونداي الكورية كامل خبرتها في شفت الوحل. شقت حفرا عميقة، وانزلت فيها انايبها العملاقة. ومع مرور الوقت تراجعت المستنقعات والبرك، ولم يبق من لقب ارحيم سوى مطرب الاهوار، تلك المسطحات العظيمة التي تولى ابن عم الرئيس أمرها. كانت تحوي صنفا من الهارين اكثر خطورة من القاسمية، وكان لابد من تجفيفها، لتسهيل القضاء عليهم، فاطلقت مناقصة لكل الشركات الآسيوية لتقديم عطاءاتها. وحين تم تجفيف الاهوار، لم يبق من لقب ارحيم اي شيء.

\*\*\*

كان له اخوات بلونين سود وبيض، يجمعهن تاج الطين فوق الرؤوس، والذعر من قرب الوداع. كلما اهل الحفارون حفنة من تراب ازحنها باكفهن ومسحن وجهه، وخرج منهن عويل رمادي. وقال الدفان: على هذا النحو سوف لن ننتهي ابدا. اتركوا الميت يلاقي ربه. وهرب رياض من لحظة الوداع، ومن عواء امه وهي تخاطب النمل (الدود)، الذي بدأ يشحذ اسنانه بانتظار انصرافنا لينقض عليه:

(يادود، لا تاكل عيونك .... خليه يشوف اليجبونه)

\*\*\*

لو ان الرصاصة جاءت متأخرة، لو لم تلتقي بعنقه، لما تعطلت ثلاثة اعراس في القاسمية، قبض عربوناتها قبل التحاقه بوحده. لماذا سمحنا له ان يتحول الى شهيد؟ لماذا دفعناه ان يتخلى عن فطرته؟ لماذا سمحنا لوديح الشيخلي ان يعزف على اوتار قلبه الهش ويملاه رعبا؟ وقفت فرطنة قبالة الباص الخشبية تؤنبا:

لماذا تركتموه يذهب بقدميه، لماذا لم تمسكوا به؟

كان شعرها الضائع اكثر بياضا من فطرتها، واوسع فضاء من الموت، ثم راحت تنير وحشة الزقاق بنعيمها الذي يمزق الثياب، ويبطل فعل الخمرة عنا.

( يادود، لا تاكل معانيه .... خليه، مثل ماكان، خليه )

\*\*\*

قبل ايام داهموا سطح الدار، فلم يعثروا عليه. كان مختبئا في الباص الخشبية. وهكذا ينجو الهاربون. طوق وديح الشيخلي القاسمية. نصب اربعة مشانق في مفارقها. وجعل الجهاز الحزبي في الانذار. وضع مكبرات الصوت في مقرات الحزب. واعطى مهلة يومين لتحويل الجرذان ( الهاربون ) الى اسود. صفت مئة و خمسون حافلة عسكرية لاستلام النادمين، ونقلهم مباشرة الى جبهات القتال. بعد سبعة عشر يوما من التحاقه بوحده عاد ملفوفا بالعلم الوطني. وكانت هناك خشبة تحمل صمته الابدي. قال عريف الفصيل الذي اوصله انه لم يتوقف عن ثلاثة اشياء: الخمرة والسجائر والغناء. قلت له بإمكانك ان تغني وتسكر، ولكن انتبه جيدا لسيجارتك. تركته ودخلت الملجأ، ثم سمعت الاطلاق، ولم اخرج من الملجأ. وسكت الغناء، ثم سمعت عواء اعقبه شخير، ثم سرعان ما انقطع الشخير. لو اننا شربنا تلك الليلة اكثر مما ينبغي. لو اننا لم نذهب الى ساحة ( 55 )، ولم نر المشنقة، ولم نرو ما رأيناه، عن الهارب المتدلي مثل سروال في حبل غسيل. فلكي لاتسقط كلمة الشيخلي (هذا مصبر الهاريين) الى الارض فقد ربطها بقدمي المشنوق. لو اننا لم ننقل ما سمعناه وهو يقسم برأس السيد الرئيس امام فصيل الاعداء: انه لن يبق هاربا واحدا في المدينة. سكبنا في فمك كأسا من الخمرة فخرج من قفاك، ولم يدخل جوفك. وضع رياض قبلة فوق حنجرتك، وغاص فمه المليء بالسكر والحزن، ولحق تفاحة عنقك المثقوبة. وضع رأسك في حجره، وبكفه اليمنى سد الثقب في مؤخرة رأسك، وبالكف الاخرى سكب كأسا عامرة بالدموع والخمرة، نافثا فيها كل هزيمته واخوته المذبوحة ثم ثغب: ( يا ارحيم، ياخويه). سحبناه قبل ان يدفن نفسه فيك، فسار على خيط رفيع بين الحياة والموت، ثم



راح يتقلب فوق جثتك دون ان يمسك بسوء. كان ثملا بما يكفي ليكون خارج نواميس الطبيعة. سار اليك بالمقلوب (على كفيه) حتى التصق فمه باذنك. قال انه سيلقنك ماذا تقول حين تدخل قبرك. اذا جاءتك الملائكة فقل انك شاركت في الحرب، واطلقت موال، ولم تطلق رصاصة واحدة. وانك تريد الدنيا وليس الآخرة. واذا قابلت النبي محمد فقل له ان مؤذنك الحبشي مازال عبدا، ومازال يردد اسمك خمسة مرات في اليوم منذ اربعة عشر قرنا، حتى لو وهبت نوريك لتاجر قرشي. دارت الباص الخشبية على نفسها. وناحت فرطنة:

( يادود، لاتاكل لسانه .... خليه يتغنى بغنانه )

حاولنا ان نخرج الرصاصة، نعيدها الى منطلقها. وضعنا مرهما، وزيتنا الحنجرة كي تعاود الغناء. لو انه غنى في الملجأ، او اطفأ السجارة، او قطع الموال. لو ان العريف كان اكثر انضباطا. جفت ملامحك مثل اوراق التين. لسانك معقود، ووجهك مثل الكركم. المخاط يسيل من انوف الصغار، واخواتك تندب وتسيح في الزقاق. نبتت في وجوه اخوتك لحى بنفسجية. هربوا من صمتك المطلق. جاءت مرضعتك وقالت: لو كان قد تأخر في الحمام، او فاته القطار. في العادة تموت المرضعات كمدا، لكنها حتى الان لم تصدق، وتعتقد انك مازلت هاربا. هنالك سوء فهم. كيف يقتلك شخص لا يعرفك اصلا. انت عدو للا احد. انت موت غير مرغوب فيه. ما ان نواريك الثرى حتى ينتهي كل شيء، وتبدأ المحنة: لا احد في هذا الباص الخشبية يؤمن بالحياة بعد الموت. سوف نرفعك حتى تفيق، نعيد اليك الحياة لتموت بارادتك، بتشمع الكبد. ملأنا فمك المفتوح بالخمرة. وضعنا ثوبا في النعش، ورحنا نزق الخمرة فيه. وجاء اخوتك، وقالوا لنا انك ستتغنن، رائحتك سوف تملأ باص الخشب، وعليهم ان يحملوك الى قبرك. عيناك مفتوحتان، وتجب على كل ما لا يسمع، لكن لسانك معقود. قلت لنا انك ذاهب لكي تهرب من جديد. لن تمكث سوى يومان، وتعود. ارتبك لحن المزامير، جاءت مبكرة، نقرت وجنتيك فلم تستفيق. ثم حام سرب من الدفوف فوقك، فلم يوقظك. وجاءت فرطنة قبيل الفجر، وهي لا تعرف كيف ينقضي ليل الموتى، سعلت، وطلبت منا سجائر، وقليل من النوم، ثم ناحت من اول الزقاق الى آخره:

( يادود، لاتاكل الحنجور .... خليه يغرد بين الغبور )

\*\*\*\*\*

## شبابيك الفرجة

في عام 1986 تلقيت اول رشوة في حياتي الوظيفية. كنت مهندسا في مديرية كهرباء بغداد، براتب شهري لا يكفي لتناول سمكة على شاطئ دجلة. وهي رغبة عائلية ( انا متزوج ولي خمسة اطفال ) مؤجلة منذ سنوات، بانتظار ان يفتح الله خزائنه ويرمي لي مئة دينار، او احصل على مكافأة من المديرية، او افقد غشاء البكارة الوظيفي. كنت مسؤولا عن تأمين التيار الكهربائي لمنطقة الكرادة - في جانب الرصافة، وهو قطاع يضم عددا من مراكز الدولة المهمة اضافة الى مقرات البعثات الدبلوماسية، وثلاثة ارباع الفنادق والملاهي الليلية في العاصمة. وحدث في ذروة الصيف ان هبت عاصفة هوجاء، اطاحت بالاعمد الكهربية واسلاكها وفناجينها، واحرقت الكثير من محولاتها. كان علي ان اهجر بيتي وابيت في مقر عملي لاسباع عديدة، واجوب الشوارع لاشرف بنفسي على احتواء الكارثة. كان من شبه المستحيل اعادة التيار الى جميع المستهلكين في وقت واحد، فكان لابد من العمل بموجب نظام الاسبقية الذي اقرته الجهات العليا في الدولة. وبموجب هذا النظام فقد احتلت القمة بيوت الوزراء والشخصيات الهامة في الدولة، ومقر القيادة القومية للحزب، والجناح الاداري لوزارة الدفاع، وفي المرتبة التالية السفارات والبعثات الدبلوماسية والمستشفيات، بعدها سلسلة الفنادق الكبرى، ثم تأتي المعامل القديمة ( السجائر، والجلود، والخمرة ( العرق)، والدواجن)، تليها الملاهي الليلية، وسلسلة الحانات الصغيرة، وبيوت الله، ثم يأتي في المرتبة الاخيرة بقية المواطنين. وكان من المحضور الكشف عن هذه الاسبقية، ناهيك عن التلاعب بها.

في ذروة هذه الايام العصبية وجدت نفسي جالسا مع صاحب ملهى (فينوس) الليلي. لقد سحبني من الشارع بلطف. وضع قبلتان ساختان على خدي. ومسح بمنديله العرق عن جبيني. جردني من كل الموانع وادخلني الى الملهى ليريني فداحة الضرر الذي سيلحق به اذا لم يعد التيار اليه. في مكتبه انطفأت الفخامة، واصبحت الارائك الجلدية مصدرا للتذمر والاشعاع الحراري. كانت هناك مروحة تنفث لهبا، وتتغذى من مولد صغير، يطلق زعيقا لايتناسب مع ضآله حجمه وعدم قدرته على تبديد سطوة الحرارة الخانقة، فهو بالكاد يدير تلك المروحة مع بضعة مصابيح للتواليت والممرات. اما صالة العرض فكانت غارقة في الظلمة، والدخول اليها يشبه الدخول الى فرن حجري. شرح صاحب الملهى ورطته باقل مايمكن من الكلمات. لقد استورد ثلاثة عشر حساء من امريكا اللاتينية. راهن بكل مدخراته، واستلف اموالا من اقاربه. دفع الكثير للحصول على التراخيص الامنية والصحية

والسكنية. جلب منظومة تكيف يابانية حديثة، بطاقة كهربائية عالية. حيث ان سخونة فتياته تتطلب تبريدا مركزيا فائقا اثناء المضاجعة. ثم راح يصف لي الخصائص الاسطورية لتلكم الفتيات. قال انهن يتقن فن احياء الموتى. فعرفت من خلاله ان الرجل لايموت حين يتوقف قلبه، ولكن حين يتعذر عليه الانتصاب. انهن مدربات لاجراج الجن من الخصى. خبيرات في ايروتيك اللسان: من المسح الدقيق لشرايين القضيب، مروراً بلطع اخاديد ومقرنصات كيس الصفن، وشفط اللعاب المنوي، وشم رحيق فتحة الشرج، وعمليات ايقاد البضر بالاصابع، وخلط بصاق الزبون بزبدة المهبل وتوزيع مذاقه على الشفتين. لقد اطنب في وصف الكثير من الرغبات الداعرة التي تراود اخيلة الزبائن. واحسب ان الرجل قد راهن على اغرائي، قبل ان يعرض علي ثلاثة من اجمل فتياته مقابل عودة التيار الكهربائي. لم يقل ذلك بشكل فج، بل عبر عنه بطريقة ودية وصادقة، قائلا ان وحشية المناخ العراقي في تموز لاتسمح بالوصول للذروة (اورغازم). مؤكدا ان ملامسة المرأة في هذا الشهر يشبه نكاح الابل في الصحاري. وانه يمكنني ان اعيش ساعات خارقة للعادة مع الفتيات الثلاث مع عودة التيار وتشغيل منظومة التكيف. كان الرجل فياضا سمحا، وقد سلم باني لن ارفض هذا العرض الباذخ. اصبح اللقاء على مقربة من ساعة الفصل. قلت له : (ان لطفك يخرجني. واضح انك تقدم لي احسن ماتملك. غير اني يا عزيزي لا اقدر ان اعاشر امرأة دون حب. انا متزوج يا عزيزي واب لخمسة اطفال، ولا اتخيل نفسي اخون زوجتي بهذه السرعة). رأيت ينكمش مثل قنفذ. وشعرت ان زمام اللقاء اصبح بيدي. في ظل انعدام الخبرة، وتحت وطأة تاريخ وظيفي ناصع البياض ، يقترب الآن من السقوط في حفرة سوداء. في لحظة ارتباك واضحة تلفظت بعبارة تنتمي الى فقه الفساد الاداري:

(انك تطلب مني ان اعبر المحضور، و اتلاعب بنظام الاسبقية. اليس كذلك؟)

فقال: (انا حاضر لكل ماتطلبه)، وهي الجملة العراقية اللائقة لتقديم الرشوة. كان الرجل في ورطة حقا. شعرت انه يشبه عفريتاً مأزوماً خارجاً توا من مصباح سحري، وقد ضم كفيه الى صدره قائلا : (شبيك لبيك ...)، وان علي ان اقول كل ما اتمناه. شعرت ان الفرصة اصبحت مواتية لتحقيق حلم يشبه جائزة اليانصيب، يراودنا (انا عائلتي) منذ سنين، يتجسد في سمكة نهريّة، نلتهمها على طاولة مطعم في كورنيش ابي نؤاس، مثلما يفعل ذوي الحظ العظيم.

قلت له دون تردد: ما اتمناه هو سمكة (مسكوفة) على شاطئ دجلة، ليست امنيّتي وحدي، بل امنية زوجتي واطفالي.

للهولة الاولى لم يستوعب صاحب الملهى طلبي. رأيت يحدق في لشوان بعينين مليئتان بالشفقة والراء. كان على وشك ان يبكي على حالي. تركني اتلفظ على مضض راتبي الشهري ( 96 ) دينار، والثلث المتوقع للسمكة ( 120 ) ديناراً. اظهر الرجل حزنا وتفهما عميقا. لم يتباطأ. اخرج محفظته، وكان سخيا للغاية، فاستل منها مئتي دينار. لم احتمل فداحة تلك البهجة المعجونة بخيط مر، فاغمضت عيني، وتركته يدس اوراقه الخضراء في جيب سروالي، ويطبّط على كتفي، محاولاً تخفيف وطأة اللحظة. لم يكتفي الرجل بتقديم المال

لي وسرني بشيء لا اعرف كيف ائمنه. قال ان عنده وظيفة لي قد تنقذني من العوز. سحبني الى غرف الفتيات او (الخلوة) كما يسميها. مررني على شبابيك مدورة بحجم الكف تطل على الغرف. ذكرتني بشبابيك الفرجة في مطاعم السمك على دجلة. قال ان الشبابيك المدورة هي للتلصص على الزبائن اثناء المضاجعة. رغم ان اسمه (تلصص) لكنه يجري بعلم وارادة الزبائن، يدفعون ثمنه برحابة صدر، حيث تتضاعف اللذة الجنسية للزبائن حين يكون هناك من يتلصص عليهم، خصوصا حين لا يقدر (المتلصص) ان يحتل مكانهم، بسبب العجز عن دفع فواتير الملهى. البعض من الزبائن يجلب معه متفرجه الخاص: خادمه، او صديقه، او سائقه، او مستخدميه. الزبائن عموما يفضلون متفرجا من ذوي الدخل المحدود. ولهذا فان مدير الملهى يجدي لائقا لشغل هذه الوظيفة. الامر سيكون سريا للغاية. ولن تكون هناك اية خيانة زوجية. وستؤمن لي الوظيفة دخلا اضافيا يتجاوز راتب الحكومة. وستحدد اوقات العمل بحيث لا تتعارض مع دائرة الكهرباء. واصل الرجل تقديم الدلائل الكافية لضميره الحي. لم يكن امامي سوى ان اعانقه بحرارة. وعدته ان افكر جديا في الأمر، وارد عليه لاحقا. ومن مكتبه اتصلت بمساعدي، وابلغته ان يترك كل شيء، ويتوجه الى ملهى فينوس، ولا يبارح مكانه الا بعد عودة التيار الى الملهى. وابلغته ان لا ينتظر عودتي الى الدائرة. احتاج ان استريح بضعة ساعات مع عائلتي. غادرت الملهى متوجها الى شاطيء دجلة.

\*\*\*

مررت عمدا بالمواضع التي تذكرني بالعوز الدائم: سلسلة الحانات التي تقدم الخمرة المحلية (العرق) لذوي الدخل المحدود. الافلاس يدمر اللذائذ، ويضخم صورتها في نفس الوقت. كلما فتحت زجاجة العرق وعبرت حاجز النصف (نصف لتر) يرسل الله اشارة تؤكد لي انه ليس بلشفياء، وان الطبقات من صنع يده. يذكرني بكلمات بليغة ان شمس تشرق على الاغنياء والفقراء. الله يؤمن بالاستقطاب: الغنى الفاحش والفقير المدقع يبعدان بنفس المسافة عنه. ووجود المخلوق في اي منهما هو رهن بالاعتباط. وبموجب الاستقطاب الالهي فقد وجدت نفسي في جهة العوز، غير انني صنعت منه نافذة لرؤية الوجه الاملس للعالم. ودربت عيون اطفالي. السمكة التي لاتطالها يدي التهمها بعيوني. اضاعف جرعات الخمرة كي يلتهب الوهم مثل نار الخشب الحي. سلكت الطريق الى شارع ابي نؤاس. سأعيش ساعات خارج المألوف. دخلت فندق الميريديان. قررت ان اصرف اول دينار على البيرة قبل اللقاء بالسمكة الحلم. كبست على آخر زر في المصعد. ورحت افكر فيما جرى. مع كل طابق كان جسمي يصعد الى الاعلى، بينما روجي تنزل الى الاسفل. كنت انتظر ان يتذكرني مدير عام كهرباء بغداد، فيقدم لي مكافأة على بقائي سبعة ايام بلا نوم. لكن ذلك لم يحصل. وتقدم صاحب ملهى ليلي فوضعي امام سرير مخملي وثلاثة مغارات لاتينية لانام فيها، فرفضت، لكنني قبلت ان يمد اصبعه في جيبي ليفض بكارتي المهنية. في الخارج تحتفل سنتنا بالدخول الى قعر جهنم. كان الفندق محتاطا لاي انقطاع كهرباتي، حيث يغذى من ثلاثة قابلوات ارضية لا تتأثر بالعواصف. لفحتني برودة الطابق الاخير. وحين جلست تغيرت معتقداتي. بهذه البرودة المبالغتة يمكن اطفاء اكبر الثورات. كمية

العنف المكدسة في طبعي بدأت تتقهقر. ارتخت عضلات الاحتقان الطبقي، فتمددت شفتاي. رحت ابتسم للحيطان وللمقاعد الوثيرة وهي تحتضن جسدي المتهالك. جبي عامر، ولاحدود للرغبات المؤجلة. طلبت بيرة مثلجة للمرة الخامسة. طبعت قبلا على خدها الندي، ورسمت بأصبعي دروبا على زجاجها المضرب. من برج الميريديان رحت انظر الى شبابيك الفرجة الممتدة على طول كورنيش ابي نؤاس، بموازة مطاعم (جرادغ) السمك المسكوف. انا وعائلي ننتمي الى صنف المتفرجين. كانت حصتنا ثمانية شبابيك، نحشر فيها وجوهنا اربعة مرات في الشهر، لتفرج على افواه الآخرين وهم تلتهم اطباق السمك المسكوف. اللذة الميتافيزيقية للسمك المسكوف، على هذا النحو، لم تكن طارئة في شاطئ دجلة، بل عقيدة قديمة وراسخة، نابعة من مزاج عريق، تحول الى رؤيا جمالية تتلخص بمبدأ اللذة القصوى: لكي يكون الشيء طيبا ينبغي ان يتناوله اقل عدد من الافواه. ولكي تكتمل عناصر اللذة لابد من رؤية الافواه المحرومة بشكل مباشر ومتزامن. هذه الرؤيا هي التي تفسر شبابيك الفرجة. لم يكن السمك قلبلا في النهر. كان الصيادون يتعمدون اخراج اقل ما يمكن منه. وكان أئمة هذه العقيدة، وهم غالبا من الأثرياء وذوي النفوذ، يقفون فوق رؤوس الصيادين، يعدون السمك في الشباك ليضمنوا عدم وجود فائض لأمثالنا. وكلما أصطادوا اقل عوضوهم بزيادة السعر. يمكن ان اسميه الدعم الارستقراطي للسمك. الوحيد الذي يرفض هذه العقيدة هو السمك نفسه. في نيسان تقذف كل سمكة الى النهر مليون بيضة، تتحول بعد ساعات الى قطعان سباحة. السمك يستغيث، يقفز فوق الماء، يتحرش بشباك الصيادين، يرقص على ايقاع مجاذيفهم، واحيانا ينط في قواربهم طالبا ان يخرجوه من النهر، ولكنهم لا يقبلوا خوفا من الاخلال بمذهب اللذة القصوى. كان أئمة هذه العقيدة يدفعون لهم الفرق. يريدون ان يظل السمك عزيزا ذو مذاق خرافي، أن لا يكون بمتناول كل يد، ان تظل العيون جاحظة مشوهة، والشفاه يابسة، والرؤوس مليئة بالأخيلة، والامنيات المستحيلة. أغلقوا جميع المنافذ: أشترى الشاطئ، وضعوا لوائح تمنع الصيد، لم يسمحوا حتى بسنارة، وضعوا اسعارا خرافية، اشترى جميع افراد الشرطة النهرية.

سنوات طويلة ونحن نتفرج على هذه المطاعم النهرية. لم يكن بمقدورنا أن نجلس حتى ولو مرة واحدة. تربت اعيننا وانوفنا، وصرنا نلتهم ونشم عن بعد. سال لعابنا مرارا. ونزل مخاط اطفالنا. خرجت ديدان الشهوة من بطوننا. امعاؤنا ارتبكت، فلم تعد تفرق بين اللحم وبين الوهم، وكانت تفرز عصارات هضمية لهبرات سمك لا وجود لها الا في افواه الآخرين. صاحب المطعم يسأل الزبون ان كان يريد السمك بالفرجة او بدونها. اغلب المتفرجين هم من المشردين او العاطلين عن العمل، ولكن بعد الدوام الرسمي ينظم اليهم ذوي الدخل المحدود: موظفو الدولة، ومعلمون، وفنانون بلا دخل، وعمال ملوا الوقوف في المسطر، وغيرهم وكان البعض منهم يصحب عائلته مثلي. البعض من زبائن المطعم يجلب معه متفرجه الخاص: صديقه او سائقه او خادمه او مستخدم عنده. اما تجار الخردة فكانوا يفضلون متفرجين من ذوي الشهادات العليا. كل ما يخرج من افواه المتفرجين من عصارات معوية، يتجمع في اوعية وضعت تحت الحنك، حيث يقوم عامل

المراقبة بايصالها الى الزبائن، كي يروه باعينهم، فتتضاعف لذتهم وشهيتهم، ويواصلوا اكلهم. كانت الشبابيك مزودة بفتحتان صغيرتان للشم. المطعم يلبي الطلبات الخاصة ايضا، حيث يشترط بعض الزبائن ان يكون المتفرجون من ذوي الشهادات العليا حصرا. كان الزبائن يدفعون ثمن السمك اضافة الى ثمن التفرج عليهم. في نهاية اليوم يتحاسب صاحب المطعم مع المتفرجين عن عدد الساعات التي قضوها وراء الشبابيك. يعطوهم اجورهم، لكنهم لا يحصلون على السمك بتاتا، كي لا تنطفيء شهوتهم. كان هذا هو الشرط الاوحد للسماح لهم بالعمل وممارسة الفرجة .

خرجت من الميريديان. فقدت الحذر. كلامي مبعثر، وغنائي موجه. احمل أحقادا قديمة، ولا اعرف كيف افرج. لا اعرف كيف اردم الهوة بين جيبي المثقل بالدنانير والعوز القديم. تركت الرصيف و نزلت الى النهر. كانت المثانة ممتلئة بخمسة زجاجات بيرة. سحبت سروالي وقذفتها في النهر. شعرت بلذة عارمة، وانفتح علي بئر من الجوع . تقع مطاعم السمك المسكوف ملاصقة للنهر. يتم اصطياد السمكة مع الماء الذي تسبح فيه. تتوهم السمكة أنها مازالت في النهر فلا تصيبها الكآبة. هكذا يفسر الصيادون سر الطعم اللذيذ. تنتظم المطاعم في نسق اخلاقي صارم، لايسمح لأكثر من واحد بالمئة من الناس بالدخول اليها.

حين دخلت مطعم السمك المسكوف، تقدمت أربعة وجوه جافة واحاطت بي، لتمنع تقديمي نحو طاولة فارغة محاطة بسبعة كراس. كنت معروفا لديهم، وان مكاني المعتاد هو شبابيك الفرجة.

تقدم الي ذو الكرش المدور، سألني بنبرة خالية من الود: هل معك مال؟  
قلت له: معي مال يكفي لأكبر سمكة عندك.

سألني: هل يمكن أن أراه؟

بفضل الاوراق الخضر لم تستغرق أهانتي وقتا طويلا. قلت لهم لا داعي للأعتذار، فانا اتفهم تماما فلسفتكم. اتصلت بزوجتي. طلبت منها ان تلتحق بي ومعها الاطفال على الفور، وان تؤجل اسئلتها الى مابعد. اوصيتها ان لاتساوم سائق التاكسي، فقط تعطيه اسم المطعم وكورنيش ابي نؤاس. حجزت طاولة لسبعة اشخاص. هذه هي المرة الاولى التي نجلس في جهة المتن ( الحالة الصلبة) للمطعم. وسيكون هناك من يتفرج علينا . كنت اعرف الكثير من وجوه المتفرجين، حتى ان احدهم ابتسم ولوح لي بما يشبه التباريك، واحسب انه تمنى ان ياتي اليوم الذي يجلس فيه مكاني. وصلت زوجتي ومعها الاطفال. قالت انها تخشى ان تغص بعظمة اذا لم تعرف سر المال. رجوتها ان تؤجل فضولها الزائد عن اللزوم، ووعدتها ان اخبرها بكل شيء بعد تحقق الامنية. اوصيتها ان تنسى العوز وتبالغ في التبذير. المطلوب هنا هو مداواة جوع العين. هو التحول من حالة الفرجة الى الحالة الصلبة. اخترنا سمكة بحجم الحلم. لم تكن معروضة في الحوض بسبب ضخامتها. كانت تعيش في النهر ومربوطة بحبل غليظ الى المرسى بانتظار من يدفع سعرها. سمح لاطفالي بالاقتراب منها

قبل الاجهاز عليها. نقلت الى وعاء كبير (بانيو) لتبقى حية لآخر لحظة. تجمع الاطفال حولها وراحوا يلعبون معها، يطعمونها فتهاز زعانفها لهم، وتفتح فمها لتلتقط الخبز منهم.

وصلت السمكة على محفة يحملها اربعة عمال مصريين. وقفنا نصفق بعيون وافواه مفتوحة. جاءت محاطة بطوق من الالعب النارية، اسهما ونجوما ملونة تتساقط فوق ذلك السهل الفسيح المدهون بتمر الهند والفلفل الاحمر وقشر الليمون، ولب البصل الحائل، وخبز التنور وسفايد الطماطم والبصل المشوي. سوف تمتد الاصابع لتحفر هذا السهل اللحمي الغارق بالزيت واللذائذ. كان المشهد في ذروته. واحسب ان عائتي لم تشعر بوجودي الباذخ مثلما شعرت في تلك الساعة. ألفت زوجتي نظرة على كل ما يحيط بنا. شعرت بتلك اللذة الغريبة التي تفوق السمك، اللذة الكامنة في عيون المتفرجين في تلك اللحظة. تركت السمك وراحت تراقبهم وهم يمدون رؤوسهم ويلعقون سنتهم الخاوية. دخل مصور فوتوغرافي متجول، فنادت عليه، وطلبت منه التقاط صور للطاولة من كل الجوانب. وحين تأخذ زوجتي مكانها سوف تحرص على التحقق من وجود اللذة المضاعفة. تزيل العظام من اللحم الابيض، وترفع هبرة لتدسها في فمها. يتساقط زيت السمك من بين اصابعها. تلتفت فترى وجوها ملتصقة بشبابيك الفرجة: اعين جائعة تتلصص، واخرى خجولة تتظاهر بالفضول والرغبة في رؤية النار، واخرى تحاول جاهدة حفظ ماء الوجه. سوف تنهار هذه الوجوه تباعا، وتتقيأ لذتها في وعاء تحت الحنك. وفي لحظة بعينها ينفث فم على مصراعيه. تتدلى الشفة السفلى ويسيل لعاب كثيف مخلوط بعصارات هضمية ملونة. وان كفا تمتد على عجل لتسحب الوعاء الذي استقبل هذا الفيض من اللذة الميتافيزيقية. كانت هناك كف عامل المطعم المكلف بمراقبة المتفرجين، وردود افعالهم. في تلك اللحظة رصدت اول عملية سيلان للعاب، فانطلق على الفور وسحبه ليطوف به على الزبائن، يريهم لعاب المحرومين في الخارج، مشيرا الى رقم الشباك والعينين المتبلتين بالشبق لهبرة لحم. تتضاعف اللذة على الفور، ويكتسب المطعم سمعة طيبة، ومصدقية في تأمين اللذة والتمسك بقواعد النقابة. يقف صف من العمال مثل الملائكة لخدمونا طوال الوقت. وضعت زوجتي ورقة خضراء في كف احدهم فصار يتطافر مثل فرس جامح. يكاد وجهه يتمزق من فرط الابتسام. وحين انتهينا جاء الكرش المدور بنفسه حاملا شيشة عطر ليرش بها على وجوهنا وأيدينا ودون اسماءنا في سجل المطعم. طلب الاطفال ان نذهب لتناول الايس كريم في مرطبات (الفقمة)، كانت هناك رغبة اخرى مؤجلة. وجدنا تطورا جديدا في الخدمة. اضيف جدار عازل مزود بشبابيك للفرجة. اثبتت قدرتها على مضاعفة اللذة، والسعر ايضا. وفي طريق العودة مررنا بمطعم (دجاج بالتنور) فرأينا لوحة تشير الى دخول شبابيك الفرجة الى التناير نفسها، عدا الفرجة على الزبائن. وكتب محل للعصائر اعلانا عن حاجته الى عمال اجراء يتفرجون على الزبائن وهم يشربون كوكتيل طبيعي من خمسه فواكه بما فيها الموز والمانغا. وافتتح احدهم مسبح صيفي بسعر خرافي حيث لا يتسع حوضه سوى عشرة اشخاص احيط بسياج كونكريتي عال يحوي الفي ثقب للتلصص. سحبتني زوجتي من استغراقي في ملاحقة شبابيك الفرجة وهي تتمدد في جسد المدينة، وطلبت مني ان افى بوعدى:

هل يمكن ان تشرح لي ماذا حصل، من اين اتيت بهذا المال؟

\*\*\*\*\*



## وجه الجرادة

(رسالة من مفلس الى صديقه في اوربا)

صديقي العزيز:

وصلتني صورتك الباهرة والتي تظهر حياتك في اوربا وتطوافك في قارات العالم الخمس. لا أملك يا صديقي سوى الدعاء ان يديم الله عليك هذه النعمة. تمعنت طويلا فيك. اول شيء هزني هو وجهك ولون شعرك اللذان لم يتغيرا قيد شعرة. هذه العبارة لا أقولها مجازا بل أعني كل حرف فيها. وهي ليست أطراء ( كما هو معتاد عندنا ) بل شيء أربكني تماما. لاحظت أنك لم تكبر أطلاقا. ما الحكاية يا صديقي، هل تنتقل بسرعة الضوء كي يتوقف الزمن عندك، كما يعتقد أينشتاين؟ ام ان ذلك له علاقة بالمغناطيسية؟ فقد سمعت ان عقارب الساعة لا تتحرك في القطب الشمالي، وانت تعيش في بلد (النرويج) على حافة القطب. لم الحظ ذلك وحدي بل أهلي ايضا. فقد افترقنا ونحن بعمر واحد، لكنهم يؤكدون لي ( وهم يتأملون صورتك ) ان الفرق بيننا الآن هو 20 عاما، وهو نفس الزمن الذي مضى على هجرتك. الا تخشى يا عزيزي ان تظل هكذا الى الأبد؟ الا تخاف ان تظل متوقفا عند هذا الحد، فلا تذوق طعم المراحل الرذيلة من العمر؟ ألا تخشى ان تصاب بالملل من جسد لا يشيخ؟ وماذا تفعل حين تراودك الرغبة في الموت بينما جسدك بكامل عافيته، هل ستقدم على الانتحار؟ أنصحك يا صديقي أن تباعد عن القطب الشمالي لتسمح لساعتك بالدوران.

سوف احدثك قليلا عن نفسي. لا بد أن أخبرك أنني تزوجت. هل تعرف ممن تزوجت؟ تزوجت الأفلاس. انا أضاجع الأفلاس يوميا. هل تتخيل؟ كلما مددت يدي في جيبي أشعر بنوع من الانتصاب العدمي. الافلاس شئ قبيح يا صديقي، حين يطول تظهر آثاره على الوجه. لا اقدر ان ابعث لك صورة لوجهي. سوف تستغرب التبدل الذي طرأ علي. ولا اريد ان احطم الصورة التي تركتني عليها. ربما لن تعرفني، واخشى ان اسبب لك الذعر. اصبح وجهي يشبه الجرادة يا صديقي. تركتني وانا أشبه خالي المرحوم ( فائق ). لكنني الآن لا أمت بصلة اليه. لقد ولدت حسب رغبة أمي ( ثلثين الولد على خاله )، لكن ثلثي خالي اختفى وحل محله وجه حشرة. أخذني والدي الى الطبيب. وضعنا امامه صورتان قديمتان واحدة لي والأخرى لخالي كي يرى اوجه الشبه. انظر يا دكتور. كنا شبه متطابقين، او لنقل ان

هناك ثلثين مني مأخوذ من خالي. ( لا أعرف ماذا جرى لي يا دكتور؟) لم أعد أملك حتى واحد بالمئة من خالي . ولو نهض من قبره وشاهدني فسوف يتبرأ مني. لم يبدي الطبيب أستغرابا. قال ان هذا الأمر طبيعي جدا، ولا يدعو للقلق . أمرني ان اخلع جميع ملابسي، وأبقى باللباس الداخلي. لم يفحص الطبيب وجهي ولا قاس ضغطي وحرارتي. لم يخرج سماعته ويضعها على صدري. لم يفحص عيني ولا أذني. تركني عاريا وانقض على ملابسي. راح يفتش في جميع الجيوب. لنقل أنه نفضها نفضا. سألتني أن كان هناك جيوبا داخلية في ملابسي. أجبت بالنفي.

سألتني: هل أنت مفلس؟ أجبت بنعم، فقال: ( وهذا ما توقعته، كل المفلسين لهم وجه الجراة).

ثم أمرني ان أرتدي ملابسي، وخاطبني قائلا: (لا تقلق، وسوف يعود لك وجه خالك حالما تتحسن حالتك المادية). لم يكتب لي اي دواء ونصحني بالبحث عن عمل. رحت اتردد على مقهى المفلسين لصاحبها (أبو ذنون). وجدت هناك أرائك خشبية عتيقة تحتلها وجوه جراد أخرى بجيوب خاوية تعشعش فيها العناكب. كانوا يقطعون صمتهم الطويل بأقداح الشاي التي يقدمها لهم ابو ذنون ثم يقيدها في دفتر الديون الذي يشبه في شكله وحجمه سجل النفوس، ويحمل عنوان ( سجل الديون لابي ذنون) . فتح ابو ذنون صفحة لي وسجل اول قدح شاي بالدفع الآجل. كان جلوسي في المقهى يخفف من وطأة الوجه الذي أحمله. لم اعد اجرؤ على النظر في المرأة واتحاشى عيون الناس، و خصوصا عيون النساء. وقطعا لا اقدر ان ابادللك الصور التي ترسلها الي. ما أن انهيت قدح الشاي، حتى شاهدت صبيا يدخل المقهى حاملا ( بسطة ) لبيع سجائر بالمفرد. أردت ان أشتري سيجارة. مددت يدي الى جيبي فشعرت بلسعة نار حارقة. سحبت كفي من جيبي فوجدت عنكبوتا ينبت أسنانه في لحمي. نهضت من الأريكة ورميته بعيدا. كان الألم فظيحا. خجلت ان اصرخ وسط المقهى. رفعت أصبعي الدامي فرآني صاحب المقهى وهرع لنجدي بزجاجة كولونيا وقطن طبي. نظف الجرح وغطاه بقطعة قماش (شاش) وقدم لي نصيحة لتفادي عض العناكب في المستقبل:

( البس ثيابا بلا جيوب، او ابحت عن عمل).

أشار ابو ذنون علي ان أذهب الى وسط المدينة (باب الطوب ) واعرض ذراعي في وقفة (مسطر) العمال. قال أجلس هناك وستجد من يشغلك. جلست في باب الطوب اربعة عشر يوما متتاليا أنتظر من يشغلني. كنت أقف من الساعة السابعة صباحا وحتى الثانية ظهرا دون جدوى. لم يأت من يشغلني. في اليوم الرابع عشر، وقبل ان انسحب لأعود الى البيت، تقدم مني احدهم وسألتني ان كنت قادرا على العمل خمسة ايام في الاسبوع. صحت دون تردد: نعم. وقفت وامتألت نشوة شاعرا ان باب الفرج قد فتح لي، فاضفت:

(طبعا أنا حاضر وعلى الفور).

فسألتني ان كنت قد اشتغلت هذه الشغلة من قبل . قلت انا حاضر لأي عمل تطلبه. قال: (هل تقدر ان تنام معي خمسة ايام في الاسبوع؟).

اتضح انه لوطي. وهو بالتسمية المحلية ( دودي ) اي العنصر السالب. وكان يبحث عن الموجب. اعتذرت له بلطف. قلت له انا ما زلت باكرا، وافضل ان ابداً حياتي الجنسية بفرج امرأة. فانصرف بلطف باحثا عن عاطل آخر. لم تعد الدولة ملزمة بتقديم العمل، لقد تغيرت وظيفتها. يقول المسؤولون ان وظيفة الدولة الجديدة هي ادامة الحزن وصيانة البنى التحتية له. هناك وزارة خاصة بالنواح. بإمكانني أن أتعين فوراً إذا أبتكرت طريقة جديدة لاستدراار الدمع وسكب المرارة في النفوس. هناك فرص عمل أخرى خارج الدوائر الرسمية تتطلب مهارات نفسية لا أملكها مثل زرع عبوات ناسفة، او الخطف، او استخدام الكواتم، أو تسميم المياه، او سرقة الادوية، أو أسرة المرضى وهم نائمين في المستشفيات وتهريبها الى إيران. نصحني صاحب المقهى ان أترك مشاريع الدولة، وأبتكر فرص عمل جديدة. وجدت ان أهل الجنوب يحرمون على أنفسهم أكل الاعضاء التناسلية للغنم ويرمونهم مع الفضلات، بينما أهل الموصل يستطعمونها ويعتبرونها الأطيب في الأغنام و يسمونها (حليوات)، فرحت أتاخر بها. وجدت ان الكرد يرمون بيوض السمك ( الثرب ) في المزبلة فحمدت الله على هذه العادة، وصرت اجمعها من مزابل بائعي السمك في اربيل والسليمانية وأبيعها في بغداد. وجدت اليزيديين يزرعون الخس ولا يأكلونه لأن نبيهم اختبأ فيه حين طارده الاعداء، فكانوا يهبونه لي مجاناً. وتاجرت بالخمرة المحلية (العرق) المصنوعة في القرى المسيحية، لكن جماعة النهي عن المنكر شمووا رائحته، والقوا القبض علي متلبسا بشحنة خبأتها في حقيبة، واحرقوها أمامي. وكان علي ان افتش للصابئة عن البط لعيدهم بعد تجفيف الاهوار. اصبحت الفوارق المذهبية ومحرمات الأديان مصدر رزقي. غير ان كثرة المجاميع المسلحة وقطاع الطرق قضت على تجارتي، فتوقفت وعدت الى الأفلاس من جديد.

\*\*\*

صديقي العزيز:

صورك عن حياتك في اوربا هي اكثر من رائعة، وتعوض الكثير من الجذب الذي نعيشه ارجو ان لا تتوقف عن ارسالها. قبل أسابيع عملت في بيتنا معرضاً لنخبة منتقاة من صورك. لصقتها على ورق كارتون، وعلقتها في غرفة الضيوف. حضر الأهل والأقارب للتفرج عليها. وقفوا مبهورين أمام الحفلات التي تقيمونها في المهجر، والموائد المليئة باصناف الطعام والشراب و الغناء والرقص، والألعاب النارية في رأس السنة، وركوب المناطيد الهوائية، وصورك المتكررة مع العائلة في مدن الألعاب والسيرك، وصور الاطفال وهم يحتضنون الدلافين والثعابين الغليضة التي جعلت اطفال اخوتي يتقافزون من الحماس، وحفلات أعياد الميلاد والكيكة الحلزونية التي تشبه ملوية سامراء، والتي كاد اطفال اخوتي أن يثقبوا الصورة بعيونهم لأنزاعها. أما صورك الشخصية فقد تلاقفتها الأيدي أسرع من غيرها. اخواتي الأربع حلمن بك جميعاً. بقوا الليل بطوله يتأملونك. وفي الصباح فاتحتني امي في امكانية ان تتزوج واحدة او اثنتين منهن، بل انها اندفعت قائلة ان الشرع يبيح حتى اربع. وحصل نقاش بحضور البنات. وتم التوصل الى ان الدين يسمح لك بأربعة أخوات بشرط عدم الجمع، بمعنى انك ستتزوج اخواتي على دفعات. وافق البنات

واصبحت كل واحدة تحلم ان تكون هي الاولى. ولكي لا يحصل ظلم فقد حلت المشكلة بأجراء قرعة بينهم لترتيب الأولوية. كانت أُمي متحمسة جدا. طلبت مني على الفور ان ارسل لك صور أخواتي. قالت أن هذا امتحان حقيقي للصدقة بيننا. ( فاذا كنت تتخرج ان تطلب منه مال، فأطلب منه ان يكون صهر لنا). واستعانت بواحدة من ستة اقوال مأثورة هي كل ما تحفظه في هذه الدنيا ( الصديق وقت الضيق). تركت أهلي يفصلون ويلبسون فيك كيفما شاؤا. خجلت ان أفاتحهم بالحقيقة. أخذت والدي بعيدا. كان لابد ان اعلن له انك متزوج، وعندك أربعة أطفال. وما عدا الزوجة الثابتة، فانك تتزوج كل اسبوع تقريبا. سمحت لأُمي ان يرى بعضا من صورك مع معشوقاتك في بقاع الارض. فاستولى عليه الغم وعاد الى لف تبغه العتيق. هنالك صور تحدث صدمة حين نكتشف انها تخص أناسا نعرفهم وليست مقتطعة من مجلة. فقد استيقظت في منتصف الليل، فوجدت والدي يقلب صورك بعيدا عن سرير أُمي. لم يكن والدي شخصا متهتكا. نصحني بالكف عن مراسلتك بعد ان شك انك بلا أخلاق وانك بخيل وعديم الضمير. لا حظت عليه غضبا شديدا. حين حذق الي احتضنني ودفن رأسه في وجهي وراح يبكي. لقد شعر بالظلم، وقصر اليد بحجم المسافة التي باتت تفصلني عنك. وكانت قاسية وموجعة تلك التهنيدات والتمنات وانصاف الجمل التي كانت تخرج من بين اسنانه. الصور التي ارسلتها وانت تضاجع البولونيات هيجتني كثيرا. لأول مرة أتعرف على سرير وارشو الثلاثي. كم أنت بارع في هذا النوع من الأسرة. ولفت نظري يا صديقي تبخر آخر قطرة من الحياء فيك. اعتقد انك عبرت بشكل سافر عن التبدل الذي يتعرض له المرء بعد فترة طويلة في المهجر. ينبغي ان تعرف اني لست محروما من المال فقط، هناك حرمان اكبر وأقسى منه هو جسد المرأة. صورك مع المغربيات وضعتني في مواجهة مباشرة مع الفلفل. اشعر أنه جنس حاد فيه قدر كبير من التوابل تجعلني أهرش خصيتي حتى تدمى. والبلغاريات يا عزيزي، آآآآآآه، لم اكن على علم بالافخاذ البلغارية الاسطورية، لم يكن يصلنا من هذا البلد سوى معجون الطماطة حيث ينقله سائقو شاحنات بدناء ونصف عراة ليعودوا الى بلادهم ببراميل النفط الخام. ثم انهالت علي صورك مع السمرات والشقراوات والغجريات والأرداف اللاتينية المدهونة بزيت الأرغان، ونساء الكرنفال في ريودي جانيرو، ومهرجان النكاح في الهواء الطلق في البيرو، وتلك الاجساد العارية التي تتوسل بك ان تغطيها بلحمك وترضع من ثقبها الخمس، وحفلات التنكر ولبس القرون والأقنعة وریش النسور التي تنتهي بالنكاح الجماعي، حيث تطفأ الانوار ويبدأ فصل النمرور الهائجة، وعض الغزلان من رقابها. لاشك انك وضعت في بالك ان تناكح القارات الخمس. هذه العولمة الجنسية هي جزء من التيار الجارف الذي دفعك الى الهجرة. أما هنا فلا زلنا يا عزيزي نزرح تحت وطأة جنس محلي لم يتخطى حاجز الرقم اثنين ( زوج وزوجة ). وحتى هذا الجنس العتيق جدا لم أصل إليه أنا شخصيا، ولم أذوق طعمه بعد رغم عبوري سن الاربعين. أما الغالبية هنا فلا زالت تمارس جنسا أحاديا ( خنثيا )، او ما يمكن أن نسميه النكاح الذاتي، حيث ينكح كل واحد نفسه بنفسه. كنت املك فكرة بسيطة جدا عن الجنس وأوضاعه. كان من الممكن

ان ابقى هكذا، لكن صورك اظهرت لي اكثر من اربعين وضعية للجماع، ولولا الحياء لكنت وزعتها على البيوت او طبعتها ووضعتها في رصيف الشارع. المتزوجون هنا لا يعرفون سوى وضعيتين للمعاشرة هما: ( شلخ الباذنجان ) و ( تقعيد المنارة )، الاولى لأنجاب الذكور والثانية للأناث. هنالك صور من نار يا عزيزي، بكيت طويلا وانا أتأمل فيها، فقد كانت اعضاؤك تلتهم اللذائذ كلها في وقت واحد. في واحدة منها كانت أعضاؤك جميعا تناكح: شفتاك تمتصم شفاه، ويدك اليمنى في فرج والأخرى في دبر، وثعبانك يغوص في مغارة مظلمة، واصبع قدمك اليمنى مغمس في مهبل من العسل، والاصبع اليسرى في شق ينضح لها بنفسجيا، وكانت الاثداء عناقيد مدلاة من حولك وقريبة من فمك تقضمها متى تشاء. شاهد صورك رواد مقهى المفلسين في الموصل، فلطموا على خدودهم ورجوني ان تبيت معهم ليلة واحدة.

\*\*\*

قبل مدة ليست بعيدة ظهرت علي أعراض مرض غريب كاد يسبب لي العمى. بدأت عيناى تصبان سائلا أبيضاً مستحلباً. فحصني الطبيب في المستشفى الحكومي. (افتح عينيك ) قال لي. مرر طرف اصبعه على جفني ثم وضعه على لسانه. (أغلق عينك). تركني، وأخذ والدي على أنفراد ليخبره ان السائل الابيض الذي ينهمل من عيني هو سائل منوي، تسبح فيه حيا من حية. قال الطبيب لأبي:

(ابنك يقذف من عينيه، لابد انه يحدق كثيرا في النساء دون ان يتذوقهن. هذا المرض بات معروفا هنا. واذا أستمرت حالته، فسوف يصاب بالعمى. ينبغي ان تزوجه فورا. ينبغي ان يقذف من المكان الطبيعي).

لم يكن ابي قادرا على تزويجي، فسأل الطبيب ان كان لدى وزارة الصحة دواء عاجل أو مسكنات. أجاب الطبيب بحزم ان الدواء الوحيد هو جسد المرأة. شرح له أبي الصعوبات التي نكابدھا، وتكلم بحياء عن الأفلاس الذي نعيشه، فنصحه الطبيب ان ياخذني الى أقرب مبغى، لكننا لم نكن نملك المال اللازم للجماع، خصوصا بعد الهروب الجماعي لعاهرات البلاد ( عقب صعود الأسلاميين ) واحتلال الشارع من قبل ضباع النهي عن المنكر. طلب مني والدي أن ( أغض بصري ) حتى يعثر لي على عاهرة تعمل لوجه الله تعالى. طلب أن اصبر وأغلق عيني عند مرور النساء كي لا تتفاقم حالتي وأصاب بالعمى. كنت حتى هذه اللحظة اجهل العادة السرية واشعر بالخزي من ممارستها. نصحتني احد المعممين بقراءة المعوذات. نصحتني آخر أن اردد ( اللهم اجعلها بقرة في عيني ) كلما أبصرت امرأة حسناء. حاولت العمل بهذه النصائح لكنها لم تنفع. كان جوعي اكبر من أية صورة بلاغية. بل أنني وصلت الى الدرجة التي اصبحت عيني فيها تحول المرأة البقرة الى غزال أهيف. وضعت عصابة سوداء على عيني وطلبت من ابن اختي ان يقودني الى المقهى. في الطريق دخل المدينة مسلحو (داعش) فتركني ابن اختي وهرب وبقيت أسير على عمالي. وصلت المقهى وجلست على احد الأرائك وطلبت شاي. لم يرد علي أحد. يحيطني صمت مطبق لا أراه. قلت في نفسي لابد ان صدمة احتلال المدينة قد أخرست الجميع. لم يمض وقت طويل حتى اقتربت مني قدمين ضمنت انهما لصاحب المقهى. كنت أنتظر ان

يضع قدح الشاي على الطاولة. مددت يدي فلامست شيئاً غريباً. تتبعته بأصابعي فتبين أنه سيف عربي مازال ندياً. سحبت يدي على الفور و رحت أنتظر. لم يكن صعباً علي التخمين ان واحدا منهم (داعش) يجلس جنبي الآن، وقد وضع سلاحه على الطاولة. علي أن لا اهرب و أنتظر صاحب المقهى. ولا بد أن أتماسك كي أعود الى البيت بسلام. لابد انهم في حالة توتر الآن، ويشكون بالجميع. ينبغي ان اظهر اكبر قدر من التمسك بالعمى، فهو الأمل الوحيد لي بالنجاة. ثم سمعت صوتاً:  
( لا يوجد شاي، ولم يعد المكان مقهى).

هل هو واحد منهم؟ هل كان يخاطبني؟ بقيت صامتاً، فهز كتفي، عندئذ انتبهت ان الكلام موجه ألي.

( أنت جالس في مقر الدولة الإسلامية وليس في مقهى )  
كان لابد ان أبدي أكبر قدر من القبول لهذا التحول الذي طرأ على المكان.  
(أعذروني، قلت لهم ، أنا لا أرى، وما زالت ذاكرتي هي التي تقودني).  
سألوني: ( منذ متى وأنت أعمى؟).

انتبهت انهم جادون للغاية، ولا يقبلوا الكلام دون تقليبه. كان لابد ان أسبقهم في قول الحقيقة قبل ان يخضعوني لأمتحان يحسم أمري. قلت لهم انني لست اعمى وحكيت لهم قصتي. قلت انني اريد ان ( أغض بصري عما حرم الله). بدأوا تحقيقهم معي. لم يسألوني عن أسمي ولا وظيفتي ولا عائلتي ومسكني. لم يسألوني عن أي شيء يتعلق بهذا العصر. سحبوني الى القرن الأول الهجري وأمطروني بوابل من الأسئلة. طلبوا مني أولاً ان اقرأ ثلاثة سور من القرآن فقرأت لهم نصف القرآن. سألوني عن زوجات النبي، طلبوا مني ان اذكر أسماءهن، وجدول معاشره النبي لهن. فذكرتهن جميعاً. سألوني عن الصحابة الذين حضروا صلح الحديبية. كنت مصمماً ان لا اترك لهم اي منفذ لذبحي. سألوني عن الحاضرين في سقيفة بني ساعدة، وعن الذين اجتمعوا في دار بن الأرقم المخزومي. سألوني عن اسم الفرس التي طارت بالنبي من مكة الى المسجد الأقصى. سألوني عن أسماء قتلى بدر وحنين. عددتهن جميعاً. ثم وجهوا الي سؤالاً مباغتاً :  
( من هو آخر الخلفاء الراشدين؟).

هنا حدثت انهم نصبوا لي فخاً، وعلي ان لا أقع فيه. قلت لهمم دون تردد:  
( الخليفة ابو بكر البغدادي، طبعاً ).

عندئذ ربتوا على كتفي وطلبوا مني أن أزيح العصابة عن عيني. قلت لهم : ( هل تسمحوا لي بابقاء العصابة ، اريد ان اغض بصري عما حرم الله). قالوا افتح عينيك، لم يعد هناك ضرورة لغلقها، فالنساء لم يعد لهن وجود في طريقك، وحتى لو صادفتهم فلن تستدل عليهن.

حين فتحت عيني وجدت رؤوس جميع المفلسين مقطوعة ومعلقة على اعمدة المقهى. كانت وجوههم مازال تشبه وجوه الجراد. سألت المسلحين:  
(لماذا قطعتم رؤوسهم، أنهم مفلسون، الا ترون وجوههم؟)

قالوا: (أنهم فشلوا في الاختبار. لم يكونوا من حفظة القرآن. ويجهلون أسماء السلف الصالح. ولم يكونوا من المصلين فقد فشلوا في تحديد القبلة والوضوء. وفتشنا جيوبهم فوجدنا صورا أباحية).

ارتج قلبي على وقع العبارة الأخيرة، فقد كانت صورك يا صديقي في جيوبهم. حمدت الله أنهم لم يذكروا أسمى. لم يعترف أي واحد منهم علي.

\*\*\*

لكي تتعرف يا صديقي على داعش علي ان اعيد اليك صورك بعد ادخالها الى مختبرهم. لم يدخل هذا التنظيم عصر الألوان بعد. أنه يعيش بلون واحد فقط. ويطمح ان يرسم خريطة العالم بلونه. عليك ان تتخيل جبال الثلج في النرويج وهي تتحول الى فحم. ولكي تعرفهم عن كذب عليك أن تركب الزحافة الجلدية التي تجرها كلاب الهسكي. سوف تنتقل بها من قريتك الى سوق المدينة. في الطريق يستوقفك ( الفايكنغ ) بقرونهم الفولاذية واجسامهم التي تشبه العفاريت شاهرين فؤوسهم بوجهك. سوف يطلبون منك ان تقرأ لهم أجزاء من خطبة ( أريك بلوداكس ) ملك النرويج في قادة السفن المتوجهة لأحتلال سكوتلاند. وبعد ان تنتهي عليك ان تذكر أسماء القادة. وحين تفشل في الأجابة يبقرون بطنك بقرونهم الفولاذية، ويحطمون رأسك بفؤوسهم. تخيل أوربا وهي تمتلئ بهذا النوع من قطاع الطرق. انهم لا يريدون ان يجردوك من ممتلكاتك ولكن يختبرون عقائدهم فيك. احدهم يقدم نفسه كممثل للمجمع المسكوني للكنيسة الخلقونية ويسألك ان تعدد له المجمع المسكونية السبعة واعضاؤها. وتخرج لك مجموعة لتسألك ان تقرأ لهم مزامير داوود، ومحاكم التفتيش يسألونك عن رأيك في الطبيعة الثنائية للمسيح والاقنوم الاوحد، والنازيون الجدد يطلبون منك ان تقرأ خطبة الفوهرر في غدانسك. وهلم جرا. لكي ترى داعش تخيل معدة مليئة بالقمل، أو جسد يتعرق سحالي. داعش هي كم من الكوابيس المتحققة. هي امتلاء مثانة بالبول، دون وجود فرصة للتصريف. او بافتراض اكثر قسوة: داعش هي حصاة في أحليل شرب صاحبه دفعة واحدة عشرة زجاجات بيرة ويريد أن يتبول، لكن الحصاة لا تقبل. مازلت احتفظ بشعور وهي فائق الضراوة: انهم مخلوقات سقطوا من كتاب عتيق وسيعودون إليه. لكني بعد تلك الأغفاء الخاطفة صحت على وجودهم وهم يحيطون بي. ما زالت المدينة تحت قبضتهم. قالوا انهم مستعدون لتزويجي. فتحوا أمامي خارطة للبلاد. أشار أحدهم بالقلم على موضع في العاصمة. قالوا تمعن فيه جيدا، فقرأت عنوان المكان محاطا بدائرة حمراء: الرصافة - مدينة القاسمية. سألوني هل تعرف هذه المدينة او تعرف احدا فيها؟ قلت كلا، قالوا انها مدينة (الروافض) اعداء الله واعدائنا. فتحوا خارطة للمدينة نفسها وبمقياس اكبر. اخبروني ان هناك عرس جماعي في قلب المدينة، سوف يجمع الناس كلهم، اي اكثر من مليون ونصف. في اقل تقدير، فرصتنا ان نهلك ( 50 ) الف منهم في ضربة واحدة. سوف تسافر الى هناك، وتحضر هذا العرس بدعوة مزورة. هناك ( 79 ) زوجا من الروافض سوف يزفوا لبعضهم في يوم واحد. واجبك أن تمنع ذلك. ان توقف ذريتهم. لأن زواجهم يعني المزيد

من اعداء الله واعدائنا على الأرض. كانت الجمل ملتبسة ومتداخلة وفيها قدر كبير من الشعر. هناك تورية تمنع الفهم. فطلبت منهم مزيدا من الأيضاح. سألتهم: ( لكي أتزوج علي ان اقتل من يريد ان يتزوج، هل هذا ما تقصدونه؟).

شرحوا لي العملية من جديد: لكي تتزوج عليك ان تهلك الكافرين أولا. سوف تأخذهم معك وترميهم في جهنم. وستأخذ ماتيسر من اهلهم واتباعهم معهم. كنت حتى هذه اللحظة أحسب انها بلاغة رفيعة المستوى، وتحتمل التأويل. (كيف آخذهم معي وأرميهم في جهنم؟).

عندئذ اخرجوا لي حزاما فيه أربعة جيوب عبؤها بأصابع الديناميت، احاطوا به صدري، وشدوا الحزام بقوة. ودلوني على الزر الذي ينبغي ان اضغط عليه عند اقترابي من مركز العرس.

سألتهم: ( ومتى أتزوج ؟ )

قالوا لي: (سوف تتزوج بعد ان تمنع هذا العرس. سوف تهلكهم جميعا بضغطة من هذا الزر. سوف تتزوج بعد ان ترميهم في جهنم وتواصل طريقك الى الجنة. سوف تجد هناك من ينتظرك، ليس عروسا واحدة، بل عرائس بعدد من تهلكهم من الكافرين). عرفت عندئذ أنهم يقصدون القتل، ان انتحر أولا ثم أتزوج. لم يكن هذا العرض مغريا. العقبة المنطقية يمكن رؤيتها مباشرة: هناك لقاء بين الوجود والعدم في حادثة واحدة. ما عدا ذلك هناك كم من الرفوف الأحادية التي قرأناها سوية يا صديقي: نيتشة وسارتر وماركس و فيورباخ وهيغل وانجلز وبوليتزر. لقد دمرت هذه الكتب فسحة الغيب في داخلي، لم تبق اي أثر للحياة بعد الموت، بل أنها دمرت فكرة الله والفردوس و اليوم الآخر والثواب والعقاب. حين أكملت مراسيم تثبيت الحزام الناسف، ابلغوني ان اسمي من الآن هو: ابو ضباعة الموصلي. ثم ألقوا علي آخر الوصايا:

( لا تنس يا ابا ضباعة، قبل ان تضغط الزر، أحرص ان تأخذ معك اكبر عدد من الكافرين. اذا ذهبت لوحدة الى الجنة ( اي دون ان تهلك كافرا)، فسوف لن تجد من تنتظرك للزواج. نعم ستكون خالدا هناك، تشرب اللبن والعسل، وتضطجع على سرر مرفوعة وزراي ماثوثة، ولكن بدون حوريات).

قلت لهم أعطوني فرصة لأودع أهلي. وما أن أبتعدت عنهم ووصلت أهلي حتى ابلغتهم بالتعجيل في الهرب.

\*\*\*

صديقي العزيز :

لقد نجونا بأعجوبة. تركنا الموصل ونزحنا الى بغداد، واصبح مأوانا مدينة القاسمية - في جانب الرصافة، ونسكن حاليا في بناية مدرسة ( الباهلي ) الابتدائية المختلطة. والحقيقة ان المدرسة كانت قبل اشهر مدرسة للبنين فقط، لكنها تضم الآن جميع الشرائح الاجتماعية وبمختلف المستويات العلمية أضافة الى الطلبة الأصليين طبعاً. يطلقون عليها الآن مدرسة (النازحين). انا وأهلي نسكن في الصف الاول الابتدائي شعبة ( بء). بعد أشهر من وجودنا هنا تم محو امية والدتي، تستطيع الآن أن تقرأ



جملا كاملة. الشيء المزعج هنا هو الاستيقاظ المبكر ولملمة فراش النوم واعادة ترتيب المقاعد لتكون قاعة للدرس. وبسبب البرد علينا الجلوس القسري لاربع ساعات يوميا والأستماع لدروس الألفباء. اما أصعب شيء على امي وأخواتي فهو الصمت وتعذر ( الدردشة). ينبغي ان تتوقف العائلة عن الكلام من الثامنة صباحا وحتى الثانية عشر ظهرا لكي تتيح فرصة للتلاميذ بمتابعة الدرس. سوف أرسل لك صورا عن تفاصيل حياتنا اليومية في المدرسة، وصورا عن المدينة وشخصها واسواقها. اعتقد انها ستوفر لك متعة اضافية، ويمكن ان تعمل منها معرضا مثيرا في النرويج. مع مرور الوقت صار الفرق بيننا وبينهم يتناقص تدريجيا. اما اكتشافني لباص الخشب فهو موضوع لوحده ويحتاج الى رسالة اخرى. هذه الباص المكونة منذ سنين في الحي اصبحت ملاذا لي. استقبلوني بحرارة منذ اللقاء الاول، ورحت اقضي معظم وقتي نديما لهم، ودخلت من خلالهم الى عمق هذه المدينة واهلها. وحصل مايتلج الصدر، فقد لفتت اختي الكبرى نظر فنان تشكيلي، واحد رواد الباص الخشب (جواد نشمية)، فتقدم لخطبتها. وهناك كلام ودي داخل باص الخشب عن بقية اخواتي. اما بشأن زوجي فقد تكفل الاخ راضي سلمان ( صاحب الباص الخشبية) بنشر اعلان عني في موقعه على الانترنت ( موقع راضي للزواج بدون قاضي)، وضمن لي المكان ايضا ( باص الخشب)، حيث لن يكلفني الزواج فلسا واحدا، وبدون اذن من احد.

يونس معيوف الموصلي

عنوان المراسلة الحالي:

مدرسة الباهلي الابتدائية - مجمع النازحين -  
مدينة القاسمية - بغداد الرصافة - العراق.

\*\*\*\*\*

## شفيفة المنجنيقة

فيما مضى، وقبل ان يشيد اول مركز للشرطة في مدينة القاسمية - شرقي دجلة، عاش القطاع الذي يحمل الرقم ( 20 ) حقبة من الطغيان، فرضته نمرة شرسة بذراعين من فولاذ اسمها شفيقة. كانت ام لسبعة بنات، ورثن عنها ذات الازرع. وبهذا يكون المجموع الجبري لقوتها الضاربة ستة عشر ذراعا. يتألف القطاع من الف دار. ابتدأت شفيقة باقرب البيوت. عبر اشتباكات مباشرة راحت بيوت الجيران تتساقط الواحدة تلو الاخرى. لم تكن تعوزها الاسباب. وفي مرحلة لاحقة سوف تكون الاسباب تافهة. ثم لم يعد هناك من سبب سوى فائض القوة المتراكم في ذراعيها. خضعت البيوت القريبة باقل قدر من المقاومة. ثم خطر ببال احدى البنات فكرة المنجنيق. حدثت امها عن ذراع من خشب يفوق في دقة تصويبه ومداه اذرعهن جميعا، قرأت عنه في منهج التاريخ المدرسي، فاتفتت شفيقة مع نجار في شارع الكفاح على صنعه وتركيبه في سطح الدار، فصار بإمكانها اخضاع البيوت الابعد والتي تقع خارج مدى ذراعيها. ولاسباب مالية توقف بناء الطابق الثاني من الدار، وتحول تل الطابوق (القرميد) الى كدس عتاد للمنجنيق. وقد وصلت القذائف الى آخر بيت في الحي. لم تهزم شفيقة مرة واحدة، وكانت تحتفظ في فاترينة خاصة في غرفة الضيوف بشواهد انتصاراتها: مقتنيات (اسلاب) الخصوم في المعارك التي خاضتها: فوط النساء ( جمع فوطة، وهي غطاء الشعر)، عباءات، ثياب نسوية او اجزاء منها، البسة داخلية، خصلات شعر، كلاليب ذهب، خواتم واساور، هراوات، فردات احذية ونعالات، وغيرها. وكما يحدث في معظم الملاحم الشعبية، تتلون الحقيقة بجماليات الهيمنة وعبادة القوة، وتنسب خصائص اسطورية لذراع شفيقة: وانها اقرب الى النابض الحلزوني، حيث لها القدرة على الاستطالة، مثل لسان الضفادع الاستوائية، والوصول الى الفريسة حتى من مسافة بعيدة. وقد اكدت ذلك معلمة مدرسة، تلقت صفعة على خدها من شفيقة وهي على بعد مترين. وهناك حديث (متفق عليه) انها قادرة على قتل بعير بنواة الخوخ، اذا سددت عليه من مسافة مترين. ومما يعضد ذلك الحديث هو حكاية القط الذي دفعه حظه العاثر ان يتسلل الى بيت شفيقة، ويدخل مطبخها و يسرق السمكة التي تهوؤها للغداء، بينما شفيقة مشغولة بعزل نواة الخوخ عن الثمرة لتحضير عصيرها الصيفي المفضل. اضاف

القط الى دناءة النفس قدرا من الكسل، اذ لم يكلف نفسه مشقة الهرب. وفيما هو جالس في غرفة المؤمن يلتهم السمكة على مهل، اذ دخلت عليه شفيقة واغلقت الباب وراءها. كانت على ثقة انها لن تخطؤه، لذلك لم تحمل بكفها سوى نواة خوخة واحدة بحجم جوزة. اقتربت منه حتى وصلت الى المدى القاتل، وبقي الهر في مكانه، ينظر اليها بعينين مفتوحتين والسمكة تتدلى من فمه. لم يكن شاعرا بدنو اجله، جاهلا انه اقتحم بيتا لم يقتحم من قبل، وان نهايته ستكون بنواة خوخة. لم يصدق وهو يراها تخترق صدره وتخرج من قفاه. لفظ القط انفاسه ولعابه الاصفر فوق النصف الغير مأكول من السمكة. شفيقة لم تتركه، وضعت في ماء مغلي وسلخت جلده. ثم جففته وعلقت في فاترينتها.

بعد اربعين عاما على غروب تلك الحقبة، اجتمع ثلاثة من شبان الحي في طاولة خمرية، ليستعيدوا الفصول المذلة التي تعرضت لها امهاتهم على يد شفيقة. تلك المشاهد التي دخلت عيونهم وهم صغارا واستقرت في رؤوسهم الى الابد. راحت الخمرة تمسح الغبار عن تلك الصور، ورفع كل نخب هزيمة امه. وهم على التوالي: جواد (ابن نشمية)، وسمير (ابن لميعة المعلمة)، وراضي (ابن بهية).

\*\*\*

اخضعت شفيقة رجلا لوضعية في الجماع تدعى: (تقعيد المنارة). حيث يتوجب على الزوج (عبد النبي) ان يرقد على قفاه جاعلا من عضوه الذكري منتصبا كمنارة المسجد فتأتي شفيقة لتجلس فوق قمة المنارة، ثم تنساب بثقلها حتى يصطدم العظم بالعظم. وهي لذة من طرف واحد تقريبا، الغرض منها تفريخ البنات. المقام لا يتسع لشرح هذه الوضعية، حيث يمكن للراغبين مراجعة (نواضر الايك في معرفة النيك) للامام السيوطي. لقد كانت نتيجة هذه الوضعية تفريخ سبعة بنات. ولقد فشلت جميع المحاولات الانقلابية للزوج نحو تفريخ الذكور، فقد كانت اذرع شفيقة من البيضة والمتانة بحيث لم تسمح له ولو مرة واحدة ان يركب فوقها. لم يكن الله وحده عليم بما يجري في الليالي المقمرة على سطح شفيقة، بل كانت هناك متلصصة يسمونها (ام خالد) لا يفصلها سوى حائط واحد. ارملة ربطت جفنيها مع خلوة شفيقة المليئة بالعجائب. كانت تراقب من شق عرضي اصغر كثيرا من حجم الجوع الكامن في العينين، وقد فصلت نومتها عن نوم اطفالها بستارة من قماش الخيام. في ساعة بعينها من الليل تصعد شفيقة الى السطح وهي تقتاد زوجها من رقبته بحبل من قنب. تدور به حول المنجنيق وهو على اربع. تجعل من ساقها قوسا ليمر من بينهما ذهابا وايابا. تتركه يتأمل قامتها المديدة، ثم تتعري قطعة قطعة وهي تراقب صعود المنارة. كلما تباطأ الصعود او تعثر تقترب من الوجه الضامر لتمنحه قرصة خفيفة، مرة على الخد الايمن واخرى على الايسر، حتى ترى المنارة في استقامة تامة. تتسلق شفيقة

المنارة وتجلس على قممتها، ويبدأ فصل الصعود والهبوط، حتى يخرج الدخان الابيض من كتفيها، بينما يهطل من فم كلبها الآدمي لسان احمر، جائع ، ووفي الى اقصى حد. تتفجر الدعاميص من القمة، ويتدفق حليب الشهوة، حيث تكون شفيقة قد اعدت مبايضها لتستقبل هذا الفوران المنوي. سوف تنبت اجنة انثوية معدة سلفا للعراك. تهبط شفيقة من عليائها وهي سابحة بالعرق والغطرسة. ويبدأ فصل الاذلال الجنسي. وكان عليه ان يتحمل قرصات اصابعها الفولاذية. تتعاصص معه، تعضه في اذنه، وتحرمه من الصراخ، تلقمه قدميها على التوالي ليبتلعها حتى البلعوم، ثم تبصق في دبره لترطيبه وتمد اصبعها الوسطى فيه حتى تصل نقطة الرحي، وتطلب منه ان يدور مثل دراويش الطريقة المولوية. يرفع يديه ويميل برأسه ويدور، قريبا من سكرات الوجد، يجأر من شدة اللذة. هذا الزوج الذي لايعرف عنه سوى اسمه (عبد النبي)، وتلك النتف المتعلقة بالاعمال المنزلية التي يقوم بها نيابة عن النمرة وبناتها. لقد حولت شفيقة شهوته، وراحت تتلاعب بمقدرات طبيعته البيولوجية، فصنعت منه خليطا من اجناس مختلفة، كان في معظمها مطية لغرائز غامضة. غير ان الجارة (ام خالد) وقد فاض بها الكيل، لم تحتمل لوحدها لذة هذا التلصص الفائق، فحدثت به صديقتها نشمية (ام جواد)، التي لم تصدق ماسمعت، فجاءت بنفسها لترى. وضعت عينيها في ذلك الشق ورأت ما لايرى. في نشمية هناك شيئان اطول من اللازم: لسانها وبجامتها. لاتستطيع نشمية ( ام جواد) ان تمسك لسانها فهو يندلق من فمها تلقائيا. قد يكون وراء ذلك اقتباس او تقهقر وراثي له صلة بالابل. نصحها المقربون ان تذهب الى جراح ليسحب لسانها الى الخلف. غير ان كل ذلك لم يعد نافعا، فقد وقع الفأس بالرأس. اندلق لسان نشمية، واول الذين اوصلت اليهم ما رأت هي صديقتها المقربة بهية (ام راضي)، وهذه وبدورها اوصلته الى جارتها، وراح خبر نشمية ينط من سطح الى سطح حتى وصل الى اذن شفيقة نفسها. ماحدث بعد ذلك متوقع جدا، فقد هربت الجارة اللصيقة (ام خالد ) قبل ان تفقس شفيقة عينيها. باعت بيتها الى دلال وكلفت من ينقل اثاثها. اما نشمية فقد اصبحت الهدف القادم لشفيقة. كانت اصلا مدرجة ضمن قائمة اللواتي يتوجب تأديبهن. فقد كانت الوحيدة في الحي التي ترتدي بجامه، فلقت (ام بجامه). كانت بجامه نشمية تسحل وراءها، وتخفي حتى التراب الذي تسير عليه. وهي عادة غريبة على نساء الحي، اللواتي لم يعتدن اخفاء جزء جميل من القوام وهو السيقان. وفي اليوم المحدد لتأديب نشمية لم يكن ابنها جواد واعيا لبجامه امه، ولا طول لسانها، او وقاحة عينيها. وحين طرقت شفيقة الباب فتح لها دون شعرة من الخوف، فازاحته قليلا ودخلت على امه. لكن براءته لن تعمر طويلا. بعد ثوان سوف يرى مشهدا مفصليا لن يغادر ذاكرته الى الابد. دخلت شفيقة وهي تحمل بيدها كيسا من الطين، وغضبا معبأ في الصدر. لم يستغرق المشهد طويلا. كانت امه في المطبخ. استطال ذراع شفيقة حتى وصل الى عنق

امه. جرتها الى باحة الدار. قلبت عاليها سافلها. حملتها من قدميها مثل دجاجة مذبوحة، وراحت تخضها. ثم رشقتها بالارض. فقدت نشمية القدرة على الصراخ فاستسلمت لمصيرها. فتحت شفيقة كيس الطين. غرفت بكفها وراحت تسد عيني نشمية، ثم غرفت ثانية وملأت فمها فلم يبق اثر للسانها. والحق يقال انه طين حر ومعقم طبيعيا، تصنع منه تنانير الخبز. لم يبق سوى البجامة العتيدة. جردتها شفيقة منها. فظهر ساقان بيضاوان مثل جمار النخل. وبختها شفيقة على اخفائهما. ثم فتشت في صدرها فوجدت زخمة (سوتيان) من زمن العصملي. انتزعتها بخفة. وقبل ان تخرج وضعت دينارا في كف نشمية وقالت لها (اشتري لك زخمة، ولاريد ان اراك بالبجامة بعد اليوم). عادت شفيقة لتعلق المقتنيات الجديدة في الفاترينة. طلبت من ابنتها ان تكتب الاسم والتاريخ والسبب: (نشمية (ام جواد) لسان طويل، وعين وقحة. ترتدي بجامة طويلة. وزخمة عفنة).

\*\*\*

في حياة لميعة فاضل (ام سمير) المعلمة في مدرسة (ذات الصواري) الابتدائية يوم عصي على النسيان، انتقل الى ذاكرة ابنها (سمير). في هذا اليوم مرت السيدة لميعة بباب شفيقة، وهي عائدة من مدرستها بعد انتهاء الدوام الرسمي. كانت شفيقة واقفة عند باب بيتها تستمع الى الموجز الاخباري الذي تعده وتقدمه السيدة (سلمية البوقي) وهي واحدة من ثلاثة ذبول في الحي يخضعن لمزاج شفيقة. لكن المعلمة ارتكبت خطأ جسيما عندما تخطت دون ان تلقي السلام على الواقفات. هذه ليست المرة الاولى التي تفعلها. تصرف غير مسؤول، ولا مبرر له. وقبل ان تدخل بيتها نادى عليها شفيقة. التفتت المعلمة فوجدت أصبع السبابة يشير اليها أن تقترب. لم تمتثل، وبقي الاصبع يتأرجح حتى توقف مثل ذيل العقرب. لم تتحرك المعلمة من مكانها ولا شفيقة ايضا. دخلت لغة التحدي في العيون لتضيف تصعيدا للمشهد. كانت المسافة بين كف شفيقة ووجه المعلمة لاتقل عن مترين. تحلف سلمية البوقي بمغلظ الايمان ان ما رآته لم يكن حلما. وظلت ترويه بقية عمرها. وروته المعلمة ايضا: ان ذراعا امتد من تلك المسافة حتى وصل الى خد المعلمة. لم تكن الصفعة وحدها مفاجئة بل استطالة الذراع. لم تصرخ المعلمة، بل جفلت واصطكت، وخرجت منها صيحة واهنة لم تعبر أبعد من مسامع النمرة وذيلها. أرادت ان تهرب لكنها وجدت كف شفيقة تمسك بها من شعر رأسها وهي على بعد مترين. ثم راحت الذراع تنقلص حتى عادت الى حجمها الطبيعي وهي تقبض برأس المعلمة. كانت ام سمير سافرة (بلا غطاء للرأس) حيث تبيح وزارة التربية لها ذلك. لم تجد شفيقة شيئا سهلا تحتفظ به للذكرى: لا فوطة، ولا شال، ولا منديل. تأخر اطلاق سراح ام سمير بعض الوقت. تركت شفيقة رأس المعلمة، وتحولت الى الفستان الذي ترتديه، أنشبت أصابعها فيه، وانتزعت

أحد الأكمام. دخلت المعلمة بيتها وهي مصعوقة من حادثين: الصفحة وذراعها. تتكلم شفيقة بذراعيها اكثر من لسانها، ولكنها في تلك اللحظة كشفت ما بداخلها قائلة:  
( كان لازم أكسر خشمها من زمان ).

كسر الخشم: تعبير مجازي يقصد به تحطيم الكبرياء. لقد وضع اللوم على المعلمة. هذه ليست أول مرة تتجاهل فيها شفيقة. نقلت السيدة البوقي عبارة البوح الثانية التي خرجت من فم النم ————— رة :  
( شايقة روحها شوفة ) اي تتعالى، وهو عيب في المعلمة سببه الوظيفة. هنالك عملية تأديب علي تعرضت له السيدة لميعة ( أم سمير ). من المحتمل ان يكون السبب أبعد من ألقاء التحية. وحين عادت شفيقة الى بيتها كانت البوقي ماتزال ذيلا يتبعها. دخلت معها ورأتها وهي ترفع الكم (الردن ) لتعلقه في الفاترينة الى جانب فوط وعباءات نساء الحي. نادى على واحدة من بناتها. وطلبت منها ان تدون تاريخ اليوم لتضعه الى جانب الأسم والمهنة وسبب الخصام:

( لميعة (ام سمير). معلمة قليلة الأدب. صلفة. متكبرة. شايقة روحها شوفة )

بعد اربعين عاما سوف يجلس سمير مع اثنين من اصدقاء الطفولة ليروي لهم الجزء الذي رآه مع اخواته، عندما دخلت امه البيت واغلقت الباب وراءها: (دخلت امي علينا بكم (ردن) واحدة، ووجه بلونين : اصفر وازرق نيلى. لم تكن مزحة ولا موضحة جديدة. سألناها: أين كمك يا أمي؟ فلم تجب). في ذلك الوقت كان سمير أصغر من أن يعي فداحة الأمر، لكن وجه امه الملون بلونين لم يغادر ذاكرته ابدًا.

\*\*\*

اما بهية (ام راضي) فقد كانت ضحية لأمانتها في نقل رؤياها عن مستقبل الراغبين في الزواج من بنات شفيقة. كانت العادة (وما زالت) ان يذهب اهل الولد الى الحي الذي تسكن فيه البنت للتحري عنها وعن سمعة اهلها قبل التقدم لخطبتها. وحدث ان كانت ام راضي هي نقطة التحري، والمرجع الذي لجأ اليه الباحثون عن اصل وفصل شفيقة. جاءت ثلاثة امهات وثلاثة آباء مرة واحدة للتحري عن ثلاثة من بنات شفيقة. قالت الامهات ان تلك البنات سلبن عقول اولادهن. لكن بهية (ام راضي) نصحت الامهات ان يرجعن، ويبحثن عن دواء لعقول ابنائهن من خارج بيت شفيقة. لم تراع ام راضي العشق، ولا عدد البنات المتكدس في بيت واحد، وسمحت لنفسها ان تكون عقبة في طريق القسمة والنصيب. حدثتهم بهية عن ذراع شفيقة وملاحمها وفاترينتها وجذور لقبها (المنجنيقة ). اخبرتهم ان

الاولاد الثلاثة في حالة زواجهم سيكونون (كعيدية) بالكاف الاعجمية، وهو اصطلاح يعني ان يسكن الرجل في بيت اهل زوجته. وانهم سيكونون اذرا لشقيقة في معاركها المقبلة، وربما تغزو بهم القطاعات الاخرى. ولكن ماهو افضع من ذلك هو ما اسرت به للامهات وحدهن. ابلغتهن ان اولادهن لن ينجبوا اولادا ابدا، اذ عليهم ان يتقنوا (تقعيد المنارة) لتفريخ البنات. ويستعدوا للسير على اربع، والطواف حول منجنيق شقيقة بحبال في رقابهم وذبول صناعية في مؤخراتهم، وان يستعذبوا قرص بنات شقيقة لهم في اي موضع من اجسامهم. حين انتهت ام راضي، حل الهلع في قلوب الامهات. نفضن عبااءتهن من هذه السيرة المروعة، وحملن ازواجهن وهربن الى غير رجعة. اما الشبان الثلاثة فلم يغفروا لاهلهم ولا لبهية (ام راضي)، ووجدوا فيهما سببا لتعاستهم. ولكي يؤكدوا حسن نواياهم، فقد افشوا سر اللقاء بين امهاتهم و ام راضي الى حبيباتهم. وهن بدورهن اوصلنه لامهن. اعلنت شقيقة الحرب على بهية (ام راضي) وحددت تاريخ وساعة الصفر. تركت خيالها ينتفخ ليستخلص ان سر عطل بناتها يكمن في (هذه الافعى الكامنة وسط الطريق لتعطيل القسمة والنصيب). وقبل يوم واحد من الموعد حاولت احدى الجارات التوسط لمنع العركة، فقبلت شقيقة بشرط ان تسير اليها ام راضي حتى باب بيتها وهي حافية وبلا عباءة ثم تركع وتقبل يدها. لكن ام راضي رفضت ذلك. ودخلت مع بناتها واخواتها (المتزوجات في قطاعات اخرى) حالة التعبئة: عباءات ملفوفة كاحزمة على الخصر، وفوط مشدودة على الرأس باحكام ومزررة بكلايب من ذهب كعلامات للثقة بالنصر. تمثل شقيقة وبناتها (فوج نسوي صرف). كان من العار مشاركة الرجل في (عركة النسوان). يفصل شقيقة عن ام راضي احد عشر بيتا. وبالمنطق العسكري فهو هدف خارج ذراعي شقيقة. كان لابد من دكه اولاً بالمنجنيق لاحداث اكبر قدر من الرعب في صفوف بيت ام راضي. وصل قصف شقيقة القرميدي الى باحة الحوش، فتعالى الصراخ وخرج جحفل ام راضي الى الزقاق لملاقاة شقيقة. حدثت العركة في منتصف النهار ولم تستغرق سوى عشر دقائق. ورغم مرور اربعون عاما الا ان تلك الدقائق مازالت مطبوعة في ذاكرة راضي الصبي الذي لم يبلغ العاشرة بعد. لازال يتذكر ذراعي شقيقة المحاطة باساور الذهب وهي تزيع ستار المدافع لتصل الى امه. امسكت برأسها مثلما تمسك بائعة الخضار برأس الفجل. حاولت احدى خالاته ان تعض ذراع شقيقة، لكنها تلقت لطمة خاطفة اسقطت سنا من فمها. دفعت بنات شقيقة بالخصوم الى التقهقر، وتركن امهن تجر ام راضي بعيدا عن الجمع وهي ترفرف بقدمين سائبتين. خضتها شقيقة بقوة، ثم طرحتها على الارض، وامسكت بفكيها، فتحت فمها وملأته بصاقا، ثم انتزعت فوطة رأسها وتركتها حاسرة، ممددة، فاقدة الوعي. على هذا النحو تكون شقيقة قد افرغت جام غضبها. ثم اعطت اشارة الانسحاب الى بناتها اللواتي كن قد انتزعن فوطتين اخريين بمشابكها الذهبية. عند تلك اللحظة انتهى كل شيء.

بعد سنوات من الفراغ الامني افتتح مركز الشرطة. شاهد الاهالي لأول مرة ممثلي الدولة بملابس خضر ومسدس في الخصر يقفون امام البوابة، بينما جلس مأمور المركز وهو ضابط شاب برتبة ملازم اول في مكتبه لاستقبال شكاوي الحي. اول شكوى وضعت على طاولته كانت ضد (شفيفة المنجنيقة) كما سميتها صاحبة الشكوى، التي تقدمت نيابة عن ثلاثة عشر امرأة من قطاع 20، لاستعادة حاجيات عزيزة لهن سلبتها شفيفة وبناتها. اخبرها الضابط من حيث المبدأ انه مسؤول عن امن الحي (من اليوم فصاعدا، وليس عن حوادث سلفت)، ولكنه مع ذلك سوف يقوم باستدعاء السيدة شفيفة والتفاهم معها. وبالفعل فقد تم ابلاغها بالمثول امام مأمور المركز. في الموعد المحدد ذهبت شفيفة بصحبة ثلاثة من اجمل بناتها. دخلن المركز باذرع مدندشة بالذهب ولا تمت بصلة الى الصفحات السود المنقوشة في ذاكرة الحي. لم يحتمل الضابط صدمة البريق الساطع لثمانية اذرع تتدلى من اربعة عباات مفتوحة بشكل معذب، وساحر، ومحير في حلاوته، وسرعان ما فقد اتزانة الوظيفي. تبخرت الشكوى ولم يبق في رأسه سوى هاجس استيعاب هذا المزج المفرط بين القسوة والدلال. في كتابة المحضر تكلمت العيون اكثر من الألسن. وعادت شفيفة ظافرة تماما. واحسب ان الضابط وقع في حب لايعرف حدوده. فاستدعي النسوة المشتكيات وابلغهن ان شفيفة وقعت على مجموعة تعهدات، غير انها لن تعيد المقتنيات لأنها اصبحت جزءا من تاريخها الشخصي. وقد شاهد الحي باكملة كيف جاء الضابط بنفسه ودخل بيت شفيفة، ومكث فترة طويلة امتدت الى ما بعد الغداء، ومن المؤكد انه رأى الفاترينة. وحين خرج وطاف على البيوت القريبة، اجبر الجميع على توقيع تعهدات بعدم الاعتداء او التشنيع او الانتقام، و(من يخالف ذلك، فسوف يعرض نفسه لاقسى العقوبات). تكررت زيارات الضابط (للاطمئنان) على سريان التعهدات. ودخل اكثر من مرة بيت شفيفة، التي بدأت تتخلص من الكثير من الحذر الذي رافق سيرتها في السنوات الماضية.

لايمكن تبرئة المضمم الصحي المجاز هلال الجابري لما جرى لشفيفة. كان من اوائل الساكنين في الحي. بيته في اول الزقاق، اخرج منه دكانا، متخذا منه عيادة لمداواة جميع الامراض. كان هو طبيب الحي قبل مجيء الدولة ومستوصفها الصحي. وحدث ان اصببت الذراع اليمنى لشفيفة بثآليل (فالول) وانتشرت على مساحة واسعة من كفها وساعدها. ولبشاعة المنظر لم تعد ترتدي ثيابها المعتادة بنصف كم (نصف ردن). اتفق هلال الجابري معها ان يحفرها بمشارطه بعد ان يخدرها موضعيا، ثم يزيلها على دفعات. في الجلسة



الثانية كان مقررا ان يتم ازالة اربعة ثآليل، كل واحدة بحجم حبة الحمص. وكان على الجابري ان يضاعف درجة التخدير الى مستوى الشلل المؤقت في الذراع ليوقف موجات الألم. في تلك اللحظات الحرجة كان هناك سبعة نسوة يتهيان للانقضاض على شفيقة. من المستحسن تسمية الاشياء باسمائها. المؤامرة حيكت خيوطها بعناية فائقة. فما ان اقتلع الجابري الثآليل الاول حتى وجد صبية تستنجد به ان ينقذ اباه الذي ارتفع عنده مستوى السكر، بعد ان التهم ثلاثة كيلو غرامات من التمر، فصارت عيونه تتقلب، وهو يوشك ان يلفظ انفاسه الاخيرة. حمل المضمد عدته على الفور، وابلغ شفيقة ان غيابه لن يطول سوى دقائق، حيث سيعطيه حقنة انسولين ويعود على الفور. بقيت شفيقة لوحدها تحمل ذراعا مشلولاً. حين دخلت عليها النساء السبعة دافعت شفيقة عن نفسها بذراع واحدة مقابل اربعة عشر ذراعا فتيا. وكانت الغلبة للكثرة. خلال دقائق اصبحت شفيقة فريسة. طرحت الى الارض بكامل جذعها الموغل في الاعتداد والاستقامة. لم تنحن حتى وهي راقدة على بلاط الدكان المغلق الابواب. راحت النسوة تنهش بلحمها. وتجردها قطعة قطعة من ثيابها ومقتنياتهما. انتزعت بهية (ام راضي) فوطتها المزينة بكلاّب من ذهب. سحبت نشمية (ام جواد) لباسها الداخلي ومشد الصدر (السوتيان). مدت لميعة (ام سمير) كفها وانتزعت كم ثوبها. اخذت بقية النسوة عباؤها ومشد الخصر وشحاطتها وحزامها واقراطها واساورها وثلاثة خواتم انتزعت من اصابعها. ثم جرت بعنف وتركت في مدخل الزقاق وهي عارية تماما. هنا بدأت صورة العالم تتبدل كليا. في الفسحة الشاسعة الممتدة بين بيتها ودكان المضمد الصحي، عاشت شفيقة افضع دقائق عمرها. من خلف الشبابيك والثقوب (الروازين) المحفورة في اسيجة السطوح كانت العيون تتابع خطوة بخطوة عريها المطلق، بما فيها عيون الصغار. كل شيء كان معدا لصنع يوم شنيع. حاولت شفيقة ان تركض، لكن اقدامها لم تطاوعها. تهرول بضعة امتار ثم تهوي على الارض. تطرق الابواب فلا يفتح لها. تلوذ بالحيطان. هزيمتها فاحشة والغدر مرير. تحاول ان تلتهم المسافة بعينيها. كل ما تتمناه ان لا تدخل على بناتها وهي بهذه الشناعة. رفعت ذراعا مخدرا ولطمت به باب سليمة البوقي فلم تفتح لها. نادى عليها فلم تجب. نطحت جبينها بالباب وبكت بحرقة. صرخت في الارض كي تنشق وتبتلعها. بحثت في الزقاق عن خرم الابرة لتنفذ منه الى عالم الستر. ثم بدأ عواء الذئب الجريح. دخل عواء شفيقة البيوت عنوة. فتح الابواب الموصدة. صعد الى السطوح. مر من الثقوب والشبابيك. مر من نوافذ باص الخشب العتيق. دخل في كل الزوايا المعتمة، مسح الزقاق كله وتركه خاويا، موحشا، وقاسيا اكثر من اي يوم مضى. حين دخلت شفيقة بيتها سمع الحي صرخة، اختنقت بغلق الباب. وعاد كل شيء الى السكون. سكنت الدنيا. لم يبق سوى طنين البرغش، وازيز اليوم الشنيع. بعد يومين من الباب المغلق لم يخرج من بيت شفيقة سوى الزوج (عبد النبي). كان الوقت قد قارب

منتصف الليل. غاب ساعتين ثم عاد ومعه سيارة شحن، اوقفها امام باب الدار. في تلك الساعة المتأخرة من الليل شوهدت شفيقة للمرة الاخيرة. لم تخرج منها كلمة واحدة ولم يقترب منها احد. لملمت عفش بيتها، وحملت بناتها وزوجها، وتركت الحي الى الابد.

\*\*\*

في الجلسة الخمرية تدرجت خاتمة شفيقة مثل كرة من الثلج وارتطمت بخاتمة اكبر منها: شنق السيد الرئيس. كان من الصعب تفادي التقاء المصائر. غير ان شيئا غامضا صعد في رؤوس الشبان الثلاثة، شيء له صلة ببراءة الاعين. فلكي تبقى العين بريئة ينبغي اغماضها في لحظة ازهاق الارواح. من المحتمل انهم يخضعون الى اختبار لثقلهم الوجودي وبراءة اعينهم. حين كانوا صغارا ظلت اعينهم مفتوحة على شفيقة وهي في عريها المطلق، لقد اصبحوا الآن كبارا، بعيون مفتوحة على عنق متطاوّل يلتف حوله حبل غليظ من حبال السفن، فماذا سيكون رد فعل اجفانهم؟ هل ستغلق من تلقاء نفسها؟ حاولوا ان يجدوا مخرجا لهذا الامتحان العسير. قطع الشبان الثلاثة شوطا بعيدا في الخمرة، وضعوا ميزانا: في كفة منه ما فعلت شفيقة بامهاتهم، وفي الكفة الاخرى ما فعلت امهاتهم بشفيقة. الخمرة وفيرة، وليست مغشوشة، والميزان مضطرب، تارة يصعد هنا وتارة هناك. هكذا يبدو ميزان الطغيان، فهو مضطرب على الدوام. كان عليهم ان يتجرعوا هذا التآرجح وغياب اليقين. وفي لحظة سكر فائقة تراجعت حقبة شفيقة. واحتلت الميزان حقبة جديدة من الاستبداد امتدت خمسة وثلاثين عاما، واكلت ثلثي اعمارهم: حروب وهروب وسجون ومنافي. وجدوا انفسهم يتربعون في احدى الكفتين، ينتظرون شنق السيد الرئيس وسقوط جثته في الكفة الاخرى للميزان. كان الحبل غليظا لدرجة انه يكفي لشنق فيلين مرة واحدة، بينما الرئيس مقيدا، يرتدي معطفا اسودا ويحمل قرآنا لن يشفع له. عاريا من سطوته، مفرغا من قواه، باحثا عن قشة الحياة في الد اعدائه، متأملا تخفيف الحكم في اللحظة الاخيرة، او زلزالا يهز الارض، او معجزة تدخل من خرم الابرة، تماما مثل شفيقة في يومها الاخير.

\*\*\*\*\*

انتهت

2016 - هولندا

محسن حنيص شوكت

[shoka57@yahoo.com](mailto:shoka57@yahoo.com)

.....

...